

الروان في معبر ادفو

نقلًا عن صورة زيتية للاستاذ زكي شعبان

مقتطف يونيو ١٩٢٩

انظر صفحة ١٥

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الاول من المجلد الخامس والسبعين

١ يونيو سنة ١٩٢٩ — ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الاعصاب وفلسفة الجمال

انظر الى ازياء النساء من الطبقة العليا والوسطى التي تتغير الآن كل سنة او كل فصل في تفصيل الثياب وعقص الشعور وشكل البرانيط ونوع الاحذية والجوارب . فكلما ظهر زي جديد بعيد عن المؤلف كالترنير الواسع من اسفله . والاكمام المنفوخة فوق الاكتاف . والقبات العالية الى الاذنين . والتنانير الضيقة التي تكاد تمنع لابستها من المشي . والنخينة التي عقت الحصور الضيقة . والثياب القصيرة التي عقت الثياب الطويلة الاذيال . واشكال البرانيط التي بعد ان كانت حوافها منحنية الانحناء الهندسي الجميل يغطيها ريش النعام معها فيه من العلاقة بالظرف والجمال صارت قففاً من الخوص تكب على الرأس حتى تغطي وتغطي اكثر الوجه . فان كل زي من هذه الازياء كان الاكثرون يرونه قبيحاً عند اول ظهوره ثم تألفه العين رويداً رويداً ثم تستحسنه ولا سيما اذا رأت الحسان يتبعنه فتعلق بمنظره بمنظرهن فتستنبط له حسنات تشفع به . او اعتبر ما نشعر به حينما نأكل طعاماً مخالفاً في طعمه كل المخالفة لما اعتدنا اكله . فالسوريون الذين نزلوا هذا القطر استبشعوا طعم الملوخية حينما اكلوها اول مرة وكرهوا طعم الجرجير وحسبوه من انتن البقول . ثم لما رأوا كل احد يستطيب طعمها وكرروا الاكل منها الفوها وصاروا يستطيعونها كاطيب المأكول . والانكليز والاميريكيون الذين اتوا المشرق وذاقوا الزيتون اول مرة تأففوا

كارهين ثم الفوه رويداً رويداً وصاروا يستطيعونه. وكذا مدخن التبغ فانه يكرهه في اول الامر ويشعر بالدوار والغثيان ثم يألفه حتى يصير التدخين من لوازم معيشته. وقارئ اشعار النابغة وابي تمام والمتنبي وامثالهم من ارباب القريض قد لا يفهم لها معنى في اول الامر فيستنقلها وينبوغ عنها ثم اذا كرر قراءتها وتفهم معانيها بمساعدة الشروح والقواميس وسمع الناس يمدحونها ويشيرون الى ما فيها من ضروب البلاغة انفها وصار يرى فيها ما يراه غيره فيستحسن ما كان يستهجنه ويرتاح الى تلاوته ويطرب. ومن هذا القبيل اختلاف الامم في تأثير الانعام. سمعنا بالامس بربياً يقرع طبائنه قرعتين متكررتين لا تالته لهما وهو يز رأسه طرباً واخوانه البرابرة يطربون لهذا القرع المتوالي ونحن كادت آذاننا تمزق. كنا في صبانا نتردد على عائلة اميركية اتت حديثاً الى سورية وكان جلوسنا في غرفة لها كوة تجاهاها مأذنة يؤذن فيها رجل مشهور برخامة صوته وحسن تأذنيه فكان كلما ابتدأ بأذانه الظهر او العصر تنهض صاحبة البيت وتقبل الكوة قائلة ان صوته يخذش اذنيها مع انها موسيقية وكنا نحن نخرج الى شرفة امام الغرفة لنسمع الآذان لشدة ما نسر به

والامثلة التي من هذا القبيل لا تحصى مما يدل على ان سبب الاستحسان والاستهجان ليس شيئاً ثابتاً قائماً في الشيء المستحسن او المستهجن بل هو شيء متغير قائم في نفس المستحسن او المستهجن. ونحن نرى ان هذا الشيء قائم في الدقائق العصبية التي تتأثر بالمؤثرات الخارجية من منظور ومسموع ومشوم وملحوس ومذوق وايضاحاً لذلك نقول

اذا قامت امرأة تمشط شعرها بعد ان خرجت من الحمام وشعرها منفوش معركس مشتبك بعضه ببعض فانها تتألم في اول الامر لان المشط يقتلع بعض الشعر ويجذب بعضه جذباً عنيفاً مؤلماً. واذا استمرت حتى سرح شعرها كله زال الألم وصارت تشعر بشيء من اللذة. ويظهر من بعض المباحث الفسيولوجية ان دقائق الدماغ التي تتأثر بالمؤثرات الخارجية وتنقلها الى مراكز الشعور تقاوم هذا التأثير اولاً كما يقاوم الجسم الساكن كل حركة تحاول تحريكه. وهذه المقاومة تؤلم او لا تسر لانها تزيل بعض القوة وازالتها من قبيل الشعور بالألم ولكن المؤثر الذي يؤثر فيها يحركها في جهة المراكز العصبية التي تشعر بذلك التأثير. فاذا تكرر حدوثه قلت مقاومة الدقائق العصبية له رويداً رويداً لانه يجدها قد صارت منتظمة مستعدة لقبوله كما ينظم الشعر المسرح امام المشط وهناك الارتياح والانبساط



رَجَاءُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ

سكورسكي يثبت على تقلبات الدهر

ايغر سكورسكي من النوابغ القلائل الذين ولدوا وفي افواههم ملعقة ذهبية . نشأ في سعة من العيش وتلقى العلوم العالية في المعاهد العالية . فلم يتجاوز الحادية والعشرين حتى

من الملعة الذهبية الى استنباط طيارة تطير باكثر من محرك واحد الى الفقر المرفق الى مركز الزعامة في صناعة الطيارات التجارية قصة اغرب من الروايات الخيالية تنفتح في السبانه روح العزم والاقرام

وامواله حتى ورسومه الهندسية التي اودعها علمه وخبرته ففر الى فرنسا ثم سافر الى الولايات المتحدة حيث ظل بضع سنوات يعاني مرارة الفقر لا يكسب الا ما يسد به رمقه

ولم تلبث ان تلت سنين الجوع سنين الشبع وهو الآن وقد بلغ الاربعين في المقام الاول بين مهندسي الطيارات وصانعيها وينتظر ان يبني في معمله هذه السنة مائة طيارة برؤية كل منها متعددة المحركات لانه راسخ الاعتقاد ان مستقبل الطيران التجاري لا يقوم الا عليها

وُلد في مدينة كيف من اعمال روسيا سنة ١٨٨٩ من ابوين يعيشان في بسطة ورخاء . وكان ابوه استاذاً للفلسفة العقلية في جامعة كيف متفوقاً في مقدراته على فهم ميول الاحداث وتهذيبهم فكان لابنه اباً وصديقاً في آن واحد يرشده

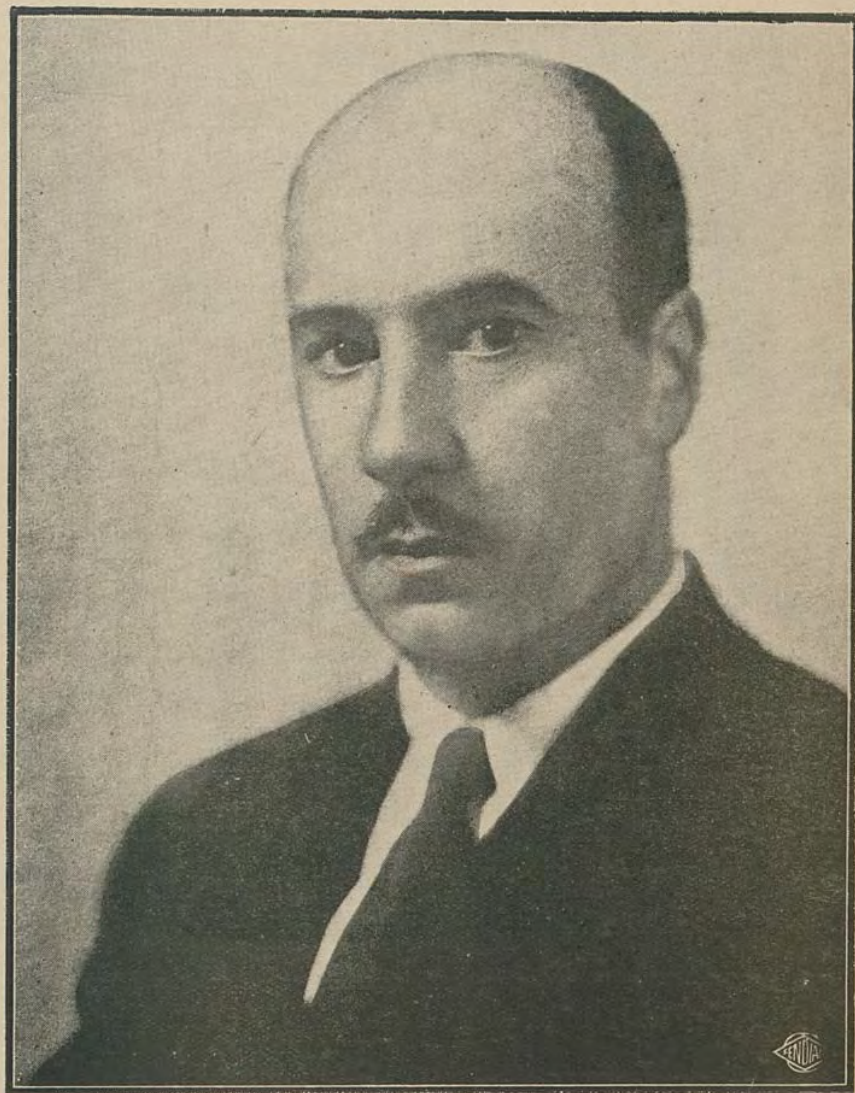
كان قد فاز باستنباط طيارة تطير على حدة بعد محاولات كثيرة . ولما بلغ الرابعة والعشرين كانت روسيا كلها تعهده على حدائنه اباً للطيران الروسي ورائد هذا الفن الجديد وخاصة بعد ما بنى اول طيارة في التاريخ تطير باكثر من محرك واحد . فلما اوفى على الخامسة والعشرين نشبت الحرب الكبرى فأخذت بها روسيا ، من جهة الطيران على غرة ، فالتفت اليه حكومتها ليخرجها من مأزقها الحرج وعهدت اليه في صنع طياراتها الحربية . ثم عصفت بروسيا عواصف الثورة فدكت العرش الصناعي الذي تسنعه وصودرت املاكه

ولا يتعرض لصد الميول والرغبات التي تبدو له ، على غرابتها وخروجها عن المألوف في ذلك الزمان

وكان الفتى سيكورسكي مولعاً منذ نعومة اظفاره بالمسائل الميكانيكية والعجلات والفرامل وما إليها من الادوات التي تخفف عبء العمل اليدوي عن كاهل الانسان . وفي احد الايام كان جالساً امام نافذة في بيته فحانت منه التفاتة الى الخارج فرأى الثياب المغسولة معلقة على الجبل خارج الدار والريح تنفخ في قميص مكوي من قمصان والد ، وتقاذفها فخطرت للفتى وهو في الثامنة عشرة من عمره خواطر جعلته في شبابه وكهولته من رواد الطيران التجاري والحربي معاً . قال الفتى لنفسه اذا كان الهواء يستطيع ان يرفع قميص الاستاذ فماذا يمنع من ان يرفع سطوحاً اخرى . وللاحال انشأ يمتحن آراءه يصنع طيارات من الورق والكرتون . فلم تسفر تجاربه حينئذ عن شيء من النجاح الا ان الخطر ظل يتردد في ذهنه وهو يتلقى علومه العالية في الاكاديمية البحرية ومعاهد باريس ومعهد كيف الصناعي حيث توفّر على العلوم الرياضية والهندسية . ولما اتمّ علومه سنة ١٩٠٧ كانت شعوب الارض قاطبة مهتمة كل الاهتمام بشؤون الطيران على اثر طيران الاخوين ربط الاميركيين سنة ١٩٠٣ واعادة تجاربهما ونجاحها في اميركا واوربا

قال سكورسكي : « ولما قرأت عنهما عزمت في الحال عزماً قاطعاً على ان ابني طائرة . وكنت اتوق الى الاطلاع على رسومها الهندسية افتدأ للوقت . ومع شدة شوقي الى بناء طائرة كنت اردد واحجم عند ما افكر فيما ينبغي لي بذله من الجهد في عمل فرغا منه . على ان امرأ واحداً شجعني وحملني على الاقدام ذلك اني كنت اعلم حينئذ ان الطيران في الامكان » . فذهب الى ابيه وطلب اليه ان يمدّه بالمال لاستئجار المال وابتياح المواد ففعل وبالتفاؤل المأثور عن اكثر النوابغ اخذ سكورسكي يبني نوعاً من الطيارات يحسبه المهندسون الآن اعلى ما تبلغه في ارتقاها واتقانها — نعني طائرة الاوتوجيرو التي تصعد الى الجو عمودياً وتحط على الارض عمودياً كالطيارة التي بناها ده لاشيرفا الاسباني في السنة الماضية بعد ما افنى المستنبطون حياتهم عبثاً في محاولة استنباطها

قال سكورسكي : كانت الفكرة خيالية حين انظر اليها الآن . ولكنها كانت فكرة المعية تستهوي العقول . ذلك اني كنت قد ادركت حينئذ ان اعظم عوائق الطيران قلة الميادين التي تستطيع الطيارات ان تنزل فيها فقلت لنفسي اذا استطعت ان ابني طائرة ترتفع في خط عمودي وتحط في خط عمودي ذلت هذا العائق العظيم وفي سنة ١٩٠٨ اعدت طيارته الاولى المبنية على هذا المبدأ واجتمع جمهور كبير ليشاهدوا



ايغر سكورسكي
مستنط الطيارات متعددة المحركات

مقتطف يونيو ١٩٢٩

أمام الصفحة ٥

الطيارة التي ينتظر ان تحدث انقلاباً في عالم الطيران ! فتقدم اليها سكورسكي وهو فتى لم يناهز العشرين وعلى وجهه امارات الفوز فامتحن الاجنحة والعجلات ثم صعد الى مقدمه وادار المحرك فتحركت الاجنحة ولكن الطيارة لبثت في مكانها. فسرت بسمة السخرية على شفاه اصدقائه الا انه وجم مقطباً وقال في تؤدة وحزم « لقد اخطأت ولكنها تطير في المرة المقبلة »

وعاد الى داره وطلب الى ابيه ان يمدّه بالمال ثانية . فلم يسأله ابوه وهو العالم السيكولوجي العاقل في اي سبيل ذهبت النقود الاولى . وفي ربيع سنة ١٩١٠ حينما اجتاز بلريو الفرنسي بحر المانش كانت طيارة سكورسكي الثانية وهي من نوع الاوتوجيرو ايضا مستعدة لامتحانها . فلما جلس في مقدمه وادار المحرك اهتزت الطيارة وارتجفت وارتفعت نحو خمس اقدام ثم هبطت وتحطم هيكلها على كتفي بابنها وسائقها . فأنخم النقاد الذين جاءوا لينتقدوا ويهزأوا لان الطيارة طارت فعلاً طالبت مسافة طيرانها ام قصرت . ومع نجاحه في تجربته هذه الى حد ما قرر ان اوان هذا النوع من الطيارات لم يئن بعد وحوّل جهده لصنع طيارة من نوع الطيارات المعروفة الآن . وقبل ختام تلك السنة كان قد وضع الرسوم الهندسية لثلاث طيارات كان ابوه عمدته المالية في بنائها . ورقمها S,1 S,2 S,3 وتمكن من ان يطير بثالثها مدة ٥٩ ثانية

اننا نستعرب في هذا العصر ، وقد بلغت فيه اقصى سرعة الطيارات ٣١٨ ميلاً في الساعة ولبثت احداها في الجو اسبوعاً كاملاً ، كيف بذل هؤلاء الزعماء الرواد الجهد الفكري والمالي سنة تلو الاخرى ليحصلوا في ثلاث سنوات على طيارة لا تلبث في الجو اكثر من دقيقة واحدة ! ولكن يجب الا نستصغر الاخطار التي كانوا يتعرضون لها في ايام الطيران الاولى . فالطيارون الذين يجتازون البحار ويطيرون فوق الجبال لا يتعرضون لخطر كالحاطر التي تعرض لها سكورسكي مثلاً وهو جالس بين جناحي طيارته لا يدري ماذا يخبئه له القدر من خير او شر

قال سكورسكي : « لا شك ان الخوف كان يملكني وانا طائر لاني كنت قد اعددت على الورق حركات مختلفة لادارة الطيارة وتغيير وجهتها ولكني لم اكن واثقاً اني اتمكن من تطبيق هذه الحركات تطبيقاً عملياً . وفي الغالب كنت لا استطيع ذلك » . وفي السنة التالية بنى طيارتين حلق بثانتيهما الى علو ٢٠٠٠ قدم وبقي ساعة في الجو يصعد ويخفض ويدور بالطيارة كما يشاء

ثم حدثت احدى تلك الحوادث التي يسوقها القدر لتغيير مجرى التاريخ ذلك انه كان يوماً محلقاً بطيارته فوق مدينة كيف فاذا بالمحرك وهو على ارتفاع عظيم قد وقف عن الدوران فهبطت الطائرة كالجهد صخر وقعت في شارع بين جدار وصف من عربات النقل فخرج من الحادثة سالماً ولكنه خرج بخاطر جديد — لماذا لا نبني طائرة لها اكثر من محرك واحد حتى اذا وقف محرك عن العمل وتعرضت الطائرة للسقوط استعمل المحرك الآخر لحفظ الطائرة في الجو؟ لماذا لا نبني طائرة بمحركين او ثلاثة محركات او اربعة محركات. فكثرة المحركات في طائرة تزيد فيها عامل السلامة والثقة

وكان مديرو احدى الشركات الميكانيكية الروسية يراقبون تجارب سكورسكي عن كثب معجبين ببراعته فدعوه الى ان ينضم الى شركتهم ووعدوه ان يوفر له وسائل التجربة والامتحان فلبى دعوتهم وصنع سنة ١٩١٢ طيارتين كل منها بمحرك واحد فازت اولاهما بالجائزة الاولى في معرض الطيران بموسكو ونالت الثانية الجائزة الاولى في مباراة بترغراد الحرية ومقدارها ٣٠ الف روبل (نحو ٣ آلاف جنيه) وكان عمره يومئذ ثلاثاً وعشرين سنة ومع فرحه العظيم بالحصول على الجائزة والارتفاع على اجنحة ذكرها الى اعلى مقام بين مهندسي الطيران في العالم كان فرحه اعظم واقرب الى تمتعائه يوم دعت الشركة المذكورة الى الشروع في بناء طائرة جبارة تسير بقوة محركات كثيرة وهي الطائرة التي مازالت آماله معقودة على بنائها من يوم الحادثة المذكورة. فبناها وبلغت نفقاتها الوفاً من الجنبات وظن بعض مديري الشركة وغيرهم انها لا تحقق الا مال المعقودة عليها وظن البعض الاخر ان محاولة بنائها مضيعة للقلق والعمل والمال. على ان الذين وثقوا بمقدرة سكورسكي ونبوغه خرجوا من معمعة الجدل باكليل الغار. لأنه بنى في السنة نفسها طيارتين من هذا النوع كانت اولى الطيارات المتعددة المحركات التي صنعت وطار في التاريخ

ومن ذلك الحين تحول الفتي الطامح المعني بشؤون الطيران ايضاً كانت الى رائد عصر جديد من عصور العمران هو العصر الذي صورته تنسن الانكليزي في شعره سنة ١٨٦٥ حيث يقول ما معناه « ونظرت الى المستقبل الى ابعد ما ترى العين البشرية فرأيت... الفضاء حافلاً بالتجارة واساطيل الاشرعة السحرية بعج برواد الشفق القرمزي يرمون الى الارض بالاثم الثمينة »

ثم بنى سكورسكي طائرة كبيرة متعددة المحركات طار بها من بترغراد الى كيف مسافة ١٦٠٠ ميل من غير ان ينزل الى الارض في زمن كان عبور المانش او الطيران فوق انكلترا من غربها الى شرقها بعد عجيبة المجائب. وهكذا اخذ هذا الفتي — وهو في الرابعة

والعشرين— يتقن صنع هذا النوع من الطائرات حتى بنى في السنة التي سبقت الحرب طيارة لها اربعة محركات مجموع قوتها نحو الف حصان وتستطيع ان ترفع حملاً مقداره ١٢ طنًا هنا وقف الفتى ينظر كالشاعر الانكليزي الى اليوم الذي تتشعب فيه من بروجراد طرق المواصلات الجوية تربطها بعواصم الدنيا وحسب ان هذا اليوم على قيد انملة منه وانه هو رائده العظيم . لكنه لم يحسب حساباً للحرب الكبرى التي نثرت احلامه كالوراق الخريف . ففي صيف سنة ١٩١٤ دعا الفرانكوف اسكندر المشرف على شؤون الطيران في روسيا هذا الفتى وهو في الخامسة والعشرين ، وقال « له زريد طيارات لالقاء القنابل من الجو فلا تدع حائلاً يقف في وجهك لك المال والعمال والسلطة الكاملة ولكننا زريد الطيارات . فالنجاح الى حد بعيد معلق بين يديك »

عاد الفتى الى المعمل ليفكر في الامر . ها هي ذي روسيا امة لم تبلغ في الصناعة شأوا عدوتها التوتونيتين وهي لا تملك سوى بضعة مصانع حديثة حولت كلها الى معامل ذخيرة . وليس في البلاد معامل لصنع المحركات التي كان يشتريها من فرنسا وغيرها قبيل الحرب . وليس لها بين ابناؤها طيارون مجربون . العقبات ثني عزمًا من الحديد . ولكن عزم الفتى اصلب من الصلب فالتفت الى عماله وقال

« لنبدأ العمل ! »

بدأ في ذلك اليوم نفسه وظل يعمل ثلاث سنين متوالية . وما حل ربيع سنة ١٩١٥ حتى كانت طليعة اسطوله الجوي تخطر العدو بوابل من قنابلها . ولم يحل ربيع سنة ١٩١٧ حتى كان قد بنى ٧٢ طيارة اخرى بمعداتهما . ومن الطيارات التي صنعها لم تسقط الا واحدة فقط في صفوف الاعداء وذلك لان طيارات الالمان الصغيرة الخفيفة صبت عليها رصاصاً مصهوراً حتى اثقلت فوقعت الى الارض . اما الطيارات الاخرى فكانت تقضي مهمتها وتعود الى صفوف الروس مهما لاقى من الحن . فقد عادت احدى طياراته ، وقد اوقف رصاص الاعداء ازيز محركين من محركاتها وعادت طيارات اخرى بعد ما مزقت قنابل الاعداء نسيج جوانحها ولكنها كلها عادت لانها كلها بنيت على مبدأ تعدد المحركات

ولما استولى الالمان على قرسوقيا عاصمة بولونيا ظلت طياراته تبلي احسن البلاء في حين كان انكسار الجيش الروسي يتحول انهزاماً

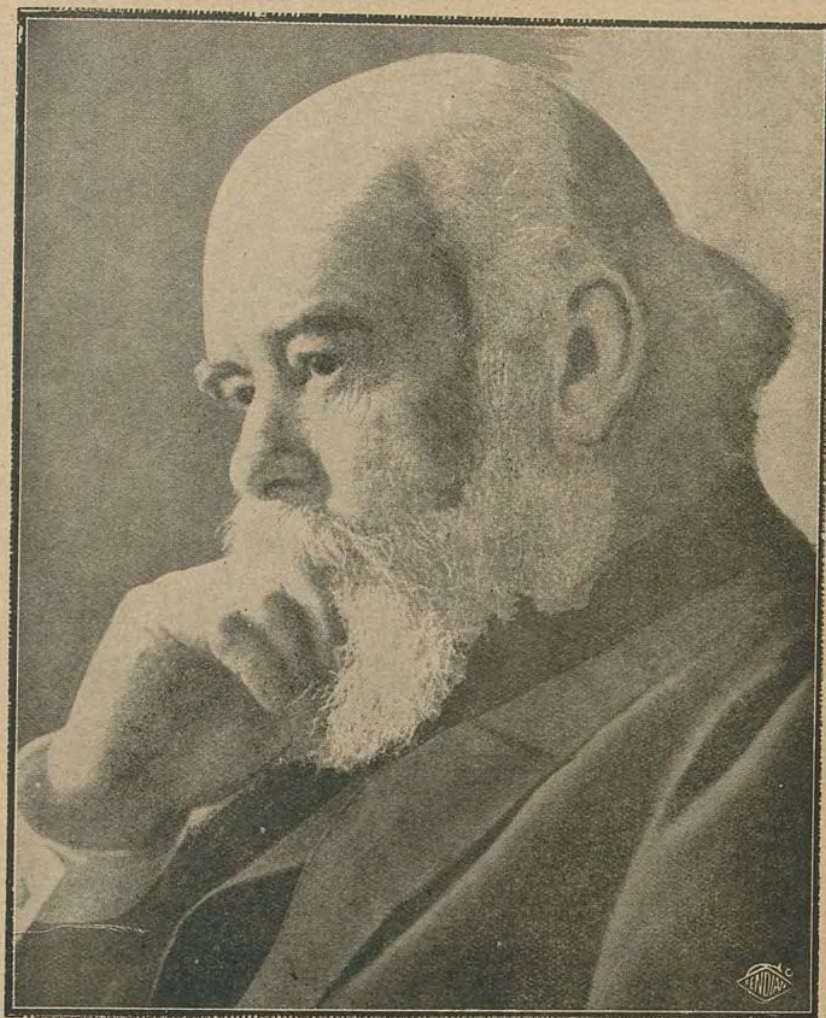
ثم ثارت الثورة الروسية فجرفته في تيارها وكان سخطاً على النظام الجديد فاستصحب رئيس عماله وذهب الى فرنسا . على ان البولشفيك حبسوا عنه رسومه الهندسية فاستعادتها ذاكرته العجيبة بكل تفاصيلها . ولما وصل الى فرنسا عهدت اليه الحكومة الفرنسية

في صنع الطائرات الحربية المشهورة التي استعملها الطيارون الفرنسيون في الميدان الغربي. واذ هو منهمك في عمله هذا وضعت الحرب اوزارها وعقدت الهدنة فتنفس الصعداء وجمع ما له من عقار قليل وذهب الى الولايات المتحدة لانه شعر ان فيها يستطيع ان يبني الطائرة المثلى طائرة المستقبل كما يتصورها.

على ان المصائب لا تأتي فرادى وحتى رجال الصناعة في الولايات المتحدة لم يفسحوا مجال العمل امام هذا النابغ الا بعد خمس سنوات من هبوطه ارضهم. خمس سنوات قضاه في نكد وبؤس لا يكسب الا ما يسد به رمقه. ولبت ينتظر مع مدير عماله يوماً تنقش فيه الغيوم عن عصر الطيران فلما بدأت هذه الغيوم تنقش قليلاً قامت في وجهه مصاعب اخرى كان الفقر اهونها. فلما جمع مبالغاً قليلاً من المال وطائفة من المهندسين الروسين وشرع في بناء طيارته الاولى في اميركا اخذت الجرائد تهزأ منه وتثير عليه وعلى رفاقه عواصف الرأي العام. ولما تحطمت هذه الطائرة اشارت الصحف « الى تبدد شمل المملكين الروسين » ولكنه ظل رابط الجأش شديد الثقة يقول لاصدقائه « اياكم والحد. فالريادة عمل محفوف بالمسكاره. النقد سهل ولكن الشجاعة تقضي بالثابرة »

ولما عهد اليه سنة ١٩٢٦ في بناء طائرة لفونك الطيار الفرنسي المشهور صنعها له مثله المحركات تحمل في احواضها ثمانية اطنان من البنزين فبلغت نفقاتها ٢٠ الف جنيه ولما اخرجها الطيار الجري ليحاول الطيران بها من اميركا الى فرنسا جرت به في منحدر الميدان ولم ترتفع فاصطدمت وانقلبت وتحولت لهيباً. كان تحطمها واحتراقها ضربة قاضية ولكنها لم تقض على ثقة سكورسكي بنفسه وفكرته فضى في عمله غير هيب وصنع لفونك طائرة اخرى. ثم بنى سنة ١٩٢٧ اول طائرة برمئة متعددة المحركات وطار بها وهذه الطائرة كما يستدل من اسمها تستطيع النزول على سطح الارض وسطح الماء على السواء.

ان معامل سكورسكي التي كانت اشباح التحول خيمة عليها لقلة العمل اصبحت تبيع الآن بالعمال ودورها الفسيحة تدوي بدمدمة الآلات المتحركة وينتظر ان يبني فيها في سنة ١٩٢٩ مائة طائرة برمئة متعددة المحركات ثلاثون منها لوزارة البحرية الاميركية لانه اثبت ان هذه الطائرات التجارية تتحول الى طائرات حربية بادخال تغيير طفيف على بعض اجزائها. لقد دارت الايام دورتها فوجدت سكورسكي مستعداً لان يأخذ الفرص من ناصيتها شديد الثقة بالنفس وبفائدة العمل الذي وقف عليه حياته فحلمته على صدر امواجها الى الذروة



Oliver Lodge

السيد اولفر لدج شيخ العلماء المعاصرين

بمقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٩



للسر اولفر لرج

خاصة للمحقق

هل قوَض العلم اركان الفلسفة؟

قيود المذهب المادي

هل يستطيع التوفيق بين طرق العلم ومذاهب الفلسفة

لقد بذلت مساع كثيرة للتوفيق بين الفلسفة والمكتشفات العلمية الحديثة . فرجال العلم الذين يحاولون الكشف عن اسرار الوجود حملتهم مباحثهم على ان ينظروا اليه نظراً ميكانيكياً مادياً لظنهم ان الرأي الميكانيكي قد يكون كاملاً في ذاته او قريباً من الكمال . ومع انهم تقدموا تقدماً كبيراً في هذه الناحية من البحث تراهم خففوا قليلاً من سرعتهم عندما بدت لهم ظاهرات الوجدان والادراك والعقل تتطلب تعليلاً . فساق ذلك طائفة منهم الى الريب في مكنة الاختبار من تفسير الكون تفسيراً صحيحاً متسائلين هل مذاهبنا العلمية الاساليب سهلة لترتيب الحقائق المعروفة وتنظيمها ؟ غير انه صعب عليهم ان يوفقوا بين النظر الفلسفي الكمال المبني على التأمل العقلي وبين مقررات العلم المعينة قياساً وقيمة . كذلك وجدوا صعوبة كبيرة في التأليف بين النظر الفلسفي والرأي القائل ان الكون آلة اوتوماتيكية متصلة الاجزاء منتظمة تكفي نفسها بنفسها وان الظاهرات العقلية مظهر وهمي خارجي لا تعدو انها نتيجة للتفاعل المعقد بين الدقائق المادية . ان زمن «العله والمعلول» قد انقضى في نظرهم ويجب ان يحل محله نظر مجرد الى تتابع الافعال الطبيعية . وان تكيف الغاية للوسيلة والجسم لبيئته اما هو نتيجة لاحوال الحياة والوراثة ولا يدل دلالة ثابتة على وجود غاية او نظام . لانه وان اعترف المفكرون بحقيقة النشوء امكن توفير الادلة على ان كل ما نراه اما هو تغير او تكيف لا مندوحة عنه يقع وفقاً لمقتضيات البيئة من غير ان يفيد زيادة في قيمة النشوء توصلاً الى غاية معينة

ويقولون كذلك ان ما ندرسه بالعلم هو اشياء يستطيع قياسها ووزنها وفي امكاننا ان نضع لها نوااميس كمية دقيقة . ورجاؤنا انه كلما تقدم العلم تمسكن من ان نحول كل شيء ، رويداً رويداً ، الى تتابع ميكانيكي محتوم يمثل فعل جسم مادي في آخر ، على طريقة نظام نيوتن الفلكي

هذا من جهة. ومن جهة اخرى نجد فريق المفكرين الذين يستوقفهم اساس الكون العقلي الكمالي قبل كل شيء . انه يُتَعَذَّر عليهم ان يدركوا تفاعل الحياة والعقل مع المادة وان يفهموا معنى النظام الميكانيكي المادي من الوجهة العقلية الصحيحة . فكأن هناك اختلافاً بين ضدين متنافرين لا يمكن حله . والقول بان النشوء فعل اوتوماتيكي لا معنى له ولا نظام تنبؤ عنه معتقدات جمهور كبير من الناس السذج الذين يصنعون لوحى بديهم . فاذا تعذر التوفيق بين المذهبين تعرض هؤلاء خطأ منهم الى ان يتخلوا عن حقيقة النشوء ذاتها مع توافر الادلة على ثبوتها

وهذا الموقف الاخير ، كيفاً قلبته موقف عقيم

غير ان هذه الصعوبة دعت البعض الى الشك في شهادة الاختبار ، وحثهم على اعتناق فلسفة دينية صوفية تترك كل المظاهر الطبيعية من غير تحليل . كأن حقائق الطبيعة وروح الانسان على طرفي نقيض . فلذلك نرى دعاة الرأي الواحد يتجاهلون دعاة الرأي المناقض فالذين يرون ان « العلة والمعلول » ليسا سوى تنابع زمني ولا يجدون في النشوء سوى تغيير مستمر يقفون في جهة واحدة . انهم تقدموا تقدماً عظيماً في ميدان بحثهم ولكنهم ميالون في الغالب الى ان يحسبوا النظر الكمالي نظراً خاطئاً غير جدير بالعلم وبالطرق العلمية . فالعلم قياس في رأيهم وكل ما لا يستطيع تحويله (او لا يبدو عليه امكان هذا التحويل) الى قواعد رياضية مبنية على القياس غير جدير بالنظر

هذا المذهب الذي يعتنقه اكثر علماء الطبيعة والرياضيات هو ثمرة طبيعية للاتصارات العلمية الباهرة التي احرزوها في هذا الميدان من ميادين المعرفة الانسانية . وقد بدأ يتصل اثره بعلماء الحياة ، فيما يطمحون اليه من الغايات . وفي بعض رسائل نيوتن التي بسط فيها ان غاية العلم العليا هي اسناد الظاهرات الكونية الى تفاعل القوى بين الدقائق ما يدعم هذا الرأي . ولكن يجب ان نذكر انه مهما يكن الرأي الذي يعتنقه علماء الرياضيات في هذا العصر فببذعوه العظام من عصر نيوتن الى الان لم يكونوا قائلين به لانهم شعروا فطرةً انه لم يكن كاملاً وان هنالك طرقات اخرى ابعد غوراً واسمى حكمة للنظر الى الكون . فقد حاولوا ان ينظروا الى الكون في جملته واجزائه واعتمدوا على المشاهدة والاختبار ليقوداهم الى الغاية التي يتوخونها وهي الحق المجرد الخالد

والظاهر ان هنالك شيئاً من العلاقة والاتصال بين عقل الانسان وحقائق الطبيعة بل لقد ذهب بعض المفكرين الى ان نظرنا الى الكون وتعليلنا للنظام الطبيعي ليس الا من مبتدعات العقل البشري وان حقيقة الوجود على ما هي — من غير نظر الى رأي

العقل فيها — يجب ان تبقى سرّاً مغلقاً. ففريق منهم يرتاب في النظام الميكانيكي وفريق آخر يرتاب في الغاية التي وجد من اجلها

ان التوفيق بين هذين الاتجاهين المتناقضين والتوحيد بينهما ثم ادغام الرأي الجديد في قانون عام شامل يجب ان يكون غاية الفلسفة الحديثة وغاية العلم الحديث

مهما تظاهر علماء النشوء بعدم اهتمامهم بالاسباب الاولى ووحدة الكون وفائدة النشوء لا يستطيعون ان ينكروا ان النشوء ليس تغيّراً فقط بل هو تغيّر يصحبه ارتقاء والانواع ترتقي من أشكال دنيا الى اشكال عليا . هذا الاقرار يوجب القول بان « الككل » سائر في سبيل التقدم الى كمال نهائي وان مراحل هذا السير لا يمكن ان تخلو من القصد والمعنى

ولكن اصل الانواع لا يزال سرّاً غامضاً . فالمذهب القديم القائل بالخلق المستقل اي ان كل نوع من انواع الحياة خلق على حدة — ليس حلاً لهذه المشكلة الفلسفية لان طريقة خلق هذه الانواع يجب ان تدخل في دائرة البحث العلمي . وسواء كان النشوء العضوي عملاً متصلاً مستمراً بادت فيه انواع وانقرضت (فصار في سلسلة النشوء كلها حلقات مفقودة كثيرة) او كان هذا النشوء يتم بمحدث تحوّل فجائي يورث للاجيال المقبلة اذا كان مناسباً للبيئة مساعداً على البقاء (وعلى ذلك فليس في سلسلة النشوء حلقات مفقودة) كل هذه مسائل لا تزال مثاراً للجدال بين الباحثين

فالبحث والاختبار يدلان على ان التغيّر والوراثة والتكيف وفق مقتضيات البيئة وتنازع البقاء وبقاء الانسب هي اسباب النشوء الحقيقية. ولكن كيف نشأت وجوه التغيّر في انواع الاحياء وهل التكيف لمقتضيات البيئة يتم بسعي الفرد او بالتحوّل الفجائي الذي لا حكم له عليه، وهل هناك مبدأ اساسي وغاية لعمل النشوء — كل هذه مسائل لا تزال من غير جواب فلكي تتقدم ، ونخلص من التصوف العقيم ، لا بدّ لنا ، ونحن لا نملك علماً راسخاً بهذه الموضوعات ، شي من الايمان — ايمان في ازدياد قيمة الوجود وفي مقدرة العقل البشري على تفهم الحق المجرد وفي فائدة الاختبار كرائد لنا في الوصول الى الحقيقة

ولا اريد ان اقصر لفظ « الاختبار » على كل الادلة التي تقع في دائرة الحواس فقط بل على ما نستطيع استنتاجه بوحى البديهة وبالنظريات التي تستبطن لتأغي بعد ما تساعدنا في الكشف عن حقيقة جديدة . فانا نستطيع ان ندرك الاجسام المادية بالاختبار كما نستطيع ان ندرك الحالات العقلية . وعلينا ان لا نهمل اي جانب من قوى الادراك اذا اردنا ان نفهم « الككل » فهماً كاملاً



اوراق الورد

رسالة الغضبي (١)

تَحَيَّرَ قلبي وهو ممتلي بها كما يملأ المرأة ناظرها ظلاً
بأي مكان فيه قد حل شخصها وأي مكان شخصها فيه ماحلاً؟
لقد غَضِبْتُ وكَرَّ هجرها على وصلها وانشق الزمنُ زمنين أحدهما مثلها غضبانُ
مبتعدٌ وكأنما كان لها خاصَّة فلما ذهبت لحق بها
إنه الحبُّ يَخْلُقُ بها خَلْقاً في وزمنها خلقاً في زمني ليُشعِرَنا بهذا التغير
الخالق المتصرف أننا لا نستحباب في ذاتِ نفسينا بل في الجلال الاعظم الذي منه تُفسى
ونفسى، فاذا تغاضبنا وقسمتنا أهواؤنا رجنا قطعتين من المادة ليس في كليهما إلا
قانونُ الثقل.... وزادت عواطفنا وزناً جديداً من الغيظ
أين زمنها؟ لقد فرغ وقتي منه حتى يَخِيلَ اليَّ أن اليوم الذي هو أربع وعشرون
ساعة لا يكمل لي بعدها عشرين واربعاً. وأنظر في ساعتي، فاذا كانت الساعة مساءً والتي إليها
والثاسعة التي معها (٢) شُبَّه لي وغمَّ عليَّ وحسبتُ أن في هذه الساعة مَنْطِقَةً خارجة
عن الزمن تخطاها العقرب ولا يشير إليها
أهي أَلقت غضبها في أنا أم في حياتي وأيامي؟

كلاً كلاً. لقد غضبتُ لتزيد في أسرار جهاسر الماضي، ولتمرَّ على أيامها اللينة
مسحة من القسوة تخلق فيها إلى جمال الحقيقة جمال الذكري
وكانت.... وتريد أن تأتي في الحب من وراء ما كانت فذهبت. وهذا في فلسفتها هو
الحيي من وراء ما كان
الفرح بالجمال لذة تقتل نفسها. ولا يمسك على الجمال روح النعمة خالدة في القلب إلا
الحزن به أحياناً، كيوم الغيم ترى في سمائه قطعاً كأنها الهاربة من الليل تحتجب الشمس فيها
ثم تسطع من بعد سطوعاً يخيل اليك أنها ما توارت في خيمة الغمام إلا لتنضو غلائلها
الشفافة وتتمرى

(١) لما تغاضبنا كتب هذه الرسالة فيما كتب لنفسه (٢) كانت ساعات اللقاء على ما يظهر....

يريد الجمال المعشوق أن يثبت فينا فيغيب عنا إذ كان بذله يُفني منه على قدر ما يعطي . فإذا هو امتنع وعزّ مناله كان جمالا في نفسه بمعانيه وجمالا فينا بالمعاني التي هي فينا ، وكان له من اجتماع الحالتين حالة جمال ثالث هي في ألم الرغبة المستعرة أو ألم الغيظ المجنون . ومتى خلق لنا الجمال من قصر الزمن طول الزمن ، ومن المتاع بالحسن العذاب بتمنيه ، ومن الحبيبة الراضية حبيبة هاجرة ، ومن الحاضرة غائبة ، فقد ارتفع عن انسانيتنا وجاءنا من ناحية سرّه الالهي

كلّا كلّاً . لقد غضبت لأحبها صورةً مبهمّة ليس فيها إنسانة بل حبُّ إنسانة ، وانزعجت نفسها مني بمدّ ان انزعجت لنفسك كلّ معانيها التي جعلتها ماهي . ألا يا ثمرّة افرغت في قلبي عصيرها الحلو ! لأن بقيت ثمرّة في لغة نفسك فانك القشرة في لغتي أنا إنه ليس معي الا ظلالها ولكنها ظلال حية تروح وتجيء في ذاكرتي . وكل ما كان ومضى هو في هذه الظلال الحية كأن لا يفنى . وكما يرى الشاعر الملهّم كلام الطبيعة بكلمة مترجماً الى لغة عينيه ، أصبحت أراها في هجرها طبيعة حسن فائق مترجمة بجملتها الى لغة فكري . كان لها في نفسي مظهر الجمال ومعها حماقة الرجاء وجنونه ثم خضوعي لها خضوعاً لا ينفعني فبدّلني الهجر منها مظهر الجلال ومعها وقار اليأس وعقله ثم خضوعها لخيالي خضوعاً لا يضرّها

كلما ابتعدت في صدها خطوتين رجعت اليّ صوابي خطوة

كلّا كلّاً . فلا صواب مع مادة الفتنة ، وهل يفتن الانسان الا حين يظهر مجنوناً بأسمى ما فيه من العقل ؟ أنا عاشق أضمت الطبيعة في مهجتي مُصَغَّرَةً فأنا الأكبر ان هذا لجنون ولكنّه عقل . وأنا عاشق أفهم الطبيعة في هذه الحبيبة الجميلة فهي الأجل ان هذا لعقل ولكنّه جنون

وقد كانت لهذه الحبيبة نظرة معنوية هي مفتاحها في قلبي . وها هي ذي غضبت نافرة لأراها ولا تراني ولكن المفتاح لا يزال يدور في قفله أجنون هذا أم عقل ؟ وهي الحبيبة ولكنها كالعِدْوَة صورة من أفسى ما في الطبيعة جاءت تمضي في قانوناً من عقوباتها . أعقل هذا أم جنون ؟

لن يقال في الذي تجمله عاصفة وتطير به إنه مسافر في طيارة

ولا في الذي رأى صورة دينار في مرآة فحطم المرأة لياخذ الدينار إنه وجد شيئاً .
ولكن يقال في الذي دلّ به الجمال إنه في نعيم الهوى
وفي الحب الذي يحطم قلبه على امرأة إنه وجد الحب

كلاً كلاً يا قلبي . إن الغضب يجمع جنون الحب من شخصين في شخص واحد . هأنذا
يحوطني الآن هدوء الأشياء وابتسام الجمال الأزلي المفتر عن نور الدنيا . أنا في كل ذلك
ولست في هدأة ولا ابتسامة ، غريق في البحر ولا يبتل
لعمري لو غضب قاع الأقيانوس غضبة حب لا تنفخ به الغيط حتى يعلو فوق الماء
جزيرة جافة فلا يتندى ولا يرق ولا يعود إلا خلقته غيظ
فليكن ما طأوع مني هو الذي يأبى وما أحب هو الذي يينض ولتأت على الحب غبرة
الدهر وأخرة الليالي

لقد أصبحت أرى ألين العطف في أقسى الحجر ولن أَرْضَى بالأمر الذي ليس بالرضا
ولن يحسن عندي ما لا يحسن ولن اطلب الحب الا في عصيان الحب . أريدها غضبي
فهذا جمال يلائم طبيعتي الشديدة وحب يناسب كبريائي . ودع جرحي يرشش دماً
فهذه قوة الجسم الذي ينبت ثمر العضل وشوك الخشب
أريدها لا تعرفني ولا أعرفها لا من شيء إلا لانها تعرفني واعرفها تتكلم ساكتة
وارد عليها بسكوتي . صمت ضائع كالعبث ولكن له في القلبين عمل كلام طويل
أما والله ما أدري أحاجتي في حبها كانت الى عزيمة أم الى صبر أم نسيان أم خضوع ؟
يارواحف صدري ! كل ذلك ليست منه فائدة ترجي فان حاجتي ان لا اكون عرقها من قبل
وياقلب ! ما هي المعجزة التي يمكن أن تمنع الامر الذي وقع بعد ما وقع ؟

كلاً كلاً . ما ذهب الحب وان الذي يكذب حبه باظهار غيظه من الحبيب ليكذبه الغيظ .
واذا انتهى أمر من الامر وبقي في نفسك حياً فما انتهى !
كلاً كلاً . ما استوفيتك بارسالة الحجر فما اكشرك عندي فنونا وما اوسعك معاني في نفسي
كلاً كلاً . فلو اني كتبتك ملأ ليل مظلم طال على محموم ، ثم اطلعت هي عليك فأغضبها
ثم جاءت جاءت تسألني تسألني اكتبته هذه ؟
آه تالله إن اجبتها إلا « كلاً كلاً » (نسخة طبق الاصل)

سُعر التصوير

الرُّواق : في معبد ادفو

الصورة للاستاذ الفنان شعبان زكي

نَظَرَةٌ مِنْكَ لِلرُّوَّاقِ بِرِسْمٍ
 إِنَّمَا الْفَنُّ خَالِقٌ وَإِلَيْهِ
 هَذِهِ لَوْحَةٌ الْجَمَالِ فِرَاقِبُ
 تَجِدِ الدَّائِيَّ الْمَهِيْبَ بِظَلٍ
 يَتَلَاقِي الظَّلَامُ فِيهِ وَأَصْبَا
 وَخُطُوطٌ طَلَّاسُمٌ هُنَّ لِلْأُخْ
 وَإِذَا السَّقْفُ فِي الضَّخَامَةِ وَالْمَجْ
 وَتَرَى النُّورَ وَهُوَ يَنْصَبُ مَا يَبْ
 سَالَ فِي صُفْرَةِ النُّضَارِ أَوْ الْوَرْدِ
 وَكَأَنَّ الضَّخْمَ الْعَمُودَ يُرَاعِي
 يَحْرُسُ النُّورَ مِثْلَ كَنْزِ حَوْتِهِ
 وَتَرَى هَذِهِ السَّبَائِكَ تَفْتَرُ
 وَتَرَى النُّورَ مِنْ بَعِيدٍ كَسَهْمٍ
 وَتَطِيلُ التَّأْمُلُ الْحَرَّ حَتَّى
 فَذَا أَنْتَ بَنِي مُخْتَلَفِ الْأَضْوَاءِ
 وَإِذَا أَنْتَ رَهْنُ (مَعْبَدِ إِادْفُو)

سَجَلُ الْفَنِّ فَوْقَ نَظَرَةٍ رَائِي
 تَتَنَاهَى رَوَائِعُ الْأَشْيَاءِ
 هَذِهِ الْعُمْدُ فِي حُلْمِي مِنْ رُؤَا
 جَامِعِ النَّقْشِ مِنْ عَجِيبِ الْأَدَاءِ
 غُ كَسِيرٍ مِنَ الضِّيَاءِ الْبَنَائِي
 رَى وَعَهْدٌ حَوَى ضَمِينَ الْفِدَاءِ
 بِدِ عَزِيزٍ ، وَالْعُمْدُ عُمْدُ السَّمَاءِ
 نَ فَنَاءٌ لَهَا عَدِيمُ الْفَنَاءِ
 سِ مَسِيلُ الشَّعَاعِ فِي الصُّبْحَاءِ
 هَا بِصَوْنٍ مِنْ خَشْيَةِ الْأَعْدَاءِ
 حِينَمَا كُلُّهَا كُنُوزُ الْبَقَاءِ
 بُوْحِي كَعَجَزِ الْأَنْبِيَاءِ
 يَتَنَاهَى فِي شَقٍّ ذَاكَ الْفَضَاءِ
 لَفْتَدِي كَالْأَسِيرِ لِلْقَدَمَاءِ
 وَالظِّلِّ عَابِدُ الْأَضْوَاءِ
 قَرَبُ (هُورَاس) خَاشِعٌ فِي احْتِفَاءِ

ابو شادي



اينشتين المفهوم

وهناك اينشتين غير المفهوم ، وهو صاحب الفروض الرياضية التي قيل عنها انها ألغاز مغلقة لا يفهمها الا اثني عشر عالماً من كبار علماء الرياضيات في العالم كله ، وقيل بل لا يفهمها الا واحد فرد لا ثاني له وهو اينشتين صاحب تلك الفروض . ونقول نحن ولا ذرة من الريب عندنا فيما نقول : بل لا يفهمها أحد على الاطلاق لا اينشتين ولا غير اينشتين لانها غير قابلة للفهم بطبيعتها فلن يحيط بعلمها أحد من بني الانسان . نعم ان يحيط بعلمها أحد من بني الانسان منذ كانت تتعلق بالبعد الرابع وحدود الكون وحقيقة الزمان والمكان وكلها اشياء لا يتناولها العقل الا بالفرض على طريقة الرياضيين او بالايان على طريقة المتعبدن ولا فرق بين الطريقتين في اساس الفهم لان الفرض الرياضي والايان الديني كلاهما اساسه التسليم

من ظن ان اينشتين حين يتكلم عن البعد الرابع يفهم ما هو هذا البعد الرابع أو يتخيله أو يستطيع ان يتوهم له شكلاً قريباً من خيره له ألا يجهد نفسه بقراءة شيء عن مذهب الرجل المفهوم أو غير المفهوم لانه بعيد جداً عن طبيعة هذه المباحث منصرف جداً عن الناحية التي يتجه اليها هذا الضرب من التفكير . فالفهم الرياضي شيء والفهم العلمي شيء آخر مختلف اشد الاختلاف . الفهم الرياضي فرض يربك من المسألة المجهولة بعلامة واحدة فاذا هي داخلية في حساب المدركات الرياضية تبني عليها النتائج وتقام عليها القضايا وتقيّد عندك كأنها كم محصور وان لم تكن هي بالكم المحصور ، اما الفهم العلمي فشيء آخر كما قلنا لانه توضيح لامر محصور فعلاً متمثل للذهن والحواس فعلاً فلا سبيل الى البحث فيه الا بعد الاحاطة به من جميع جوانب الادراك التي يعرفها بنو الانسان

ان كتابة شيء بالعلامات الرياضية ليس معناها العلم بذلك الشيء والنفاذ اليه اذ كثيراً ما يكون معناها الجهل به والعجز عن تصويره والرغبة في اقصائه جانباً ريثما تتسنى الرجعة اليه . ومن هذا القليل البعد الرابع الذي يتحدث به اينشتين وتلاميذه . فقصارى الامر فيه انه علامة موضوعة لكم مجهول سيظل مجهولاً الى ابد الابد ، وقد يلوح الآن انه أصعب فهماً من مذهب الجاذبية الذي ينقضه ويفسر الحركات السماوية بتفسير غير تفسيره — اما الحقيقة فهي ان فهم الجاذبية ليس باسهل من فهم البعد الرابع لاننا

لن نفهم الواسطة التي يتحتم بها الجذب ولن تفهنا هذه الكلمة عن افتراض المجهولات التي لا تقل في غموضها عن مجهولات اينشتين، وغاية ما هنالك ان الناس ما برحوا يسمعون من عهد نيوتن — وقبل نيوتن — ان الارض تجذب الاجسام اليها فألقوا ذلك وكفوا عن البحث فيه وانهم لم يألفوا البعد الرابع بعد فهم لهذا يبحثون فيه ليدركوه وما هو من الادراك بسبيل

قال برتراند رسل الرياضي الفيلسوف : ان الرياضيات علم لا يعرف القائل فيه ما يقول ولا يدري أصحح ما يقول ام غير صحيح (١)

وهذه قولة جد في ثوب من المزاح ، فكل فرض تفرضه ويسير معك الى نهاية المسألة في هواة وسهولة فهو صحيح او كالصحيح ، واكبر ما عدوه من دلائل الصحة لمذهب النسبية انه فرض استطاعوا به ان يفسروا انحراف السيار عطارد على وجه اكمل من تفسير القائين بمذهب الجاذبية. فما القول اذن وقد اخبرنا الاستاذ استيفان كرسيسكو ان نتيجة اينشتين مطابقة تمام المطابقة للتعليل الذي ارتآه فون سولدر احد الفلكيين الحاملين من علماء الالمان في سنة ١٨٠١ بغير التجاء منه الى البعد الرابع ولا اعتماد منه على هندسة غير هندسة الابعاد الثلاثة ؟ (٢)

فسواء صح مذهب اينشتين أو لم يصح فالأمر المحقق الذي لا شبهة فيه هو انه مجرد تعليل لا يخرج ولن يخرج من دائرة الفروض ولا يتعدى بنا ولن يتعدى نطاق المفهومات الانسانية التي قد تسعفنا في مجال التعليل ولكنها لن تنفذ بنا الى حقائق الاشياء ودخائل الأسرار كان اسكندر مذكسكي يجادل اينشتين في طبائع الاشياء والمدى الذي يستطيع البلوغ اليه في بحث تلك الطبائع فسأله : وهب انه كان من المستطاع ان تكشف عن جميع الطبائع التي في حبة الرمل فهل يتأدى بنا ذلك الى معرفة كاملة بالكون كله ؟ الا يبقى اذن اي لغز غير محلول من الغاز الوجود ؟ فكان جواب اينشتين ان هذا السؤال يجاب بتوكيد لا تحفظ فيه « لاتنا اذا عرفنا معرفة علمية كاملة كل ما يجري في حبة الرمل فان يتأتى لنا ذلك الا على اعتبار واحد وهو اننا قد احطنا بجميع القوانين والحركات التي يشتمل عليها الزمان والمكان »

وهذا معنى يتفق فيه حكم العلم والهوام الشعر ونسمع تيسسوف يقول في مثله مخاطباً

(١) صفحة ٣٣ من كتاب حياة المكان لموريس مترلك وصفحة ١٦٥ من كتاب خلاصة المعارف الانسانية لمؤلفه كنت وود طبعة ريشارد

(٢) ص ٨ - من كتاب حياة المكان لموريس مترلك في الترجمة الانكليزية طبعة انون

الزهرة قبل اينشتين باكثر من جيل : ايه اينها الزهرة في الجدار المصدوع ! انني اقطفك من تلك الثقوب واضمك هنا كلك بجملتك وتفصيلك في راحة يدي ، وما انت كلك الا زهرة صغيرة . ولكني لو أتيج لي ان اعرف ما كنتك وما انت بجملتك وتفصيلك لكنت حقيقاً ان اعرف ما الله وما الانسان »

ذلك هو في الحق أقصى مدى المعرفة الانسانية . فنحن لا ندرك البعد الرابع الذي لا زاء ولا ندرك حبة الرمل ولا الزهرة المحصورة في ايدينا من جميع الجهات . والا فقد عدونا طور الانسان وادركنا كل شيء في الوجود وهذا هو المطلب الذي لا يرام . هذا هو المستحيل

سلام اذن على اينشتين الذي لا يفهمه الا اثني عشر على اكثر تقدير او الذي لا يفهمه أحد على اقل تقدير . وحسبنا الا ان اينشتين الذي يعيش معنا في ابعادنا الثلاثة ولا يروغ منا بين الارقام الكثيرة في بعد رابع بعيد القرار !

عاش مزكفسكي الذي سبقت الاشارة اليه زمناً وجيزاً مع اينشتين في عزلة عن الناس فسمع منه واخذ عنه وراقب احواله وحفظ كلماته ثم جمع ذلك في كتاب سماه « اينشتين الباحث ^(١) » فكان من احسن الكتب التي عرفت القراء باينشتين الصميم . وهذا هو الرجل الذي نعنيه باينشتين المفهوم ونود ان ننقل بعض احاديثه الى قراء المقتطف الذين سمعوا كثيراً عن اخيه « غير المفهوم » وسيسمعون عنه كثيراً بعد ما سيكتبه الكتاتون عن رصد الكسوف الاخير عند جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية وجزائر الفيليبين

ما رأي صاحب النسبية في اللغة ؟ انه رأي أقرب الى التعميم منه الى النسبية ، فهو يقول « في رأيي ان قيمة اللغات التعليمية مبالغ فيها كثيراً »

قال مزكفسكي . فسمحت لنفسني ان أستشهد بكلمة لا تزال مسلّمة عند بعض الاساتذة وتلك هي كلمة شارل الخامس الذي قال : ان كل لغة جديدة تكتسبها انما هي شخصية جديدة وقال باللاتينية ما ترجمه الالمان في مثلهم المشهور « اللغة المضافة حاسة مضافة »

فقال اينشتين : اشك في صدق هذا المثل واعتقد انه لم يثبت قط على التمهيص . فالتجارب جميعها تنقضه . والا وجب علينا ان نحول المكانة العليا بين المفكرين اناساً من

جسارة اللغويين متريداتس ومتسوفاتي ، في حين اننا نستطيع ان نقيم البرهان على نقيض ذلك وهو أن امثال اصحاب الشخصيات العظيمة والذين كان لهم اوفى نصيب في حركة التقدم لم تكن مضاعفة احساسهم متوقفة على علم واسع باللغات بل أخرى ان يقال انهم كانوا يحاشون ان يثقلوا اذهانهم بما يرهق الذكرة

واستطرد الى التعليم فقال ان الانسان ينبغي ان يتعلم ليربي له عضلات ذهنية وان التمرينات اللغوية فائدتها في هذا الباب اقل بكثير من فائدة التمرينات التي تعنى عناية خاصة بشحذ ملكات التفكير. وانتقل الحديث الى صعوبات التعليم فقال اينشتين : « لا ادري هل الصعوبات قائمة على نقص الاستعداد في التلميذ او على غير ذلك . فاني اميل الى القول بانها آتية من نقص الاستعداد في المعلم ، اذ يغلب بين المعلمين ان يضيعوا الوقت في اسئلة يراد بها اظهار ما يجمله التلميذ وكان الأصح ان يراد بالاسئلة اظهار ما يعرفه او هو قادر على معرفته »

ودار الحديث مراراً على الادب فكان الذي استخلصه مزكفسكي من كلام العلامة في هذا الباب انه على رأي عمر بن الخطاب الذي يروى عنه انه أمر باحراق مكتبة الاسكندرية لانها اما ان تحتوي ما احتواه القرآن فلا حاجة اليها واما ان تحتوي ما ليس محتويه فالخير في احراقها . . . وهكذا ينظر اينشتين الى مكتبة الادب بخذافيره على ما استخلصه مزكفسكي من مجمل كلامه . الا انه يعجب بشكسبير وجيتي ويذكر اسميهما بنعمة تحالطها التجلة والمحبة ، ويطرب للفنون طرباً لا يجده في سواها . وقد قرأ « الاخوان كرمازوف » لمؤلفها دستوفسكي ففتن بها وسأله صاحبه عن طربه للفنون هل يعني بها غير الموسيقى ؟ فقال : اني في هذه اللحظة كنت افكر في الادب بصفة خاصة فعاد صاحبه يسأله : هل تعني الادب على الجملة او لديك كاتب بعينه تفكر فيه حين ذكرت ما تسميه من السعادة في مطالعة آيات الفنون ؟ فقال : اني عنيت الادب على الجملة ولكنك اذا سألتني عن الكاتب الذي آتق له في هذه الساعة قلت لك انه هو دستوفسكي وكرر اسمه مرات يزداد فيها التوكيد مرة بعد مرة

قال مزكفسكي : « وكأنما اراد ان يعرب عن اعجابه اعراباً يقضي على كل اعتراض محتمل فقال ان دستوفسكي اعطاني اكثر مما اعطانيه اي عالم ، اعطاني اكثر مما اعطانيه جوس وهو عالم رياضي كبير

« قلت بعد سكوت يسهل تعليله : يا استاذ ! انك بذكرك هذين الاسمين العظيمين

في نفس واحد على ما بينهما من الاختلاف في طبيعة المواهب الفكرية أما تفتح المجال لبحث لا يتيسر الفصل فيه بكلمة وكأنك حين تقول ان دستوفسكي اعطاك اكثر مما اعطاكه جوس تشعر بانك ما كنت لتجد « الاخوان كرمازوف » بغير وجود دستوفسكي ومن ثم تخسر ثمرة من ثمرات الحياة لا تعوض . اما جوس فانه لو كان اخفق في كشف بعض نظرياته في علم الجبر لكان من الجائز ان يظهر جوس آخر يتولى كشف هذه النظريات ، ولهذا زداد قيمة الآيات الفنية في روعنا لاننا نشعر باننا معتمدون في خلقها على فرد واحد لا سواء . قال الاستاذ : نعم ولكن بشيء من التحفظ فان احسن ما استنبط جوس كان من ثمراته التي لا يشارك فيها بحيث لو لم يخلق لنا هندسة السطوح التي اتخذها ريمان اساساً له لشق علينا ان نتخيل كيف يخلقها سواء . وأصرح لك — ولا اتردد — ان سروراً كهذا السرور من بعض الوجوه قد يتولانا حين نستغرق في بعض المسائل الهندسية »

ولعمري ان اعجاب اينشتين بالاخوان كرمازوف ليدل على ذات نفسه اضعاف ما تدل عليه جميع نظرياته وفروضة وارصاده . فقد يكون الرجل رياضياً عظيماً وليس فيه الا آلة فكرية او بداهة لونية ، ولكنه لا يقرأ دستوفسكي ويأنس بعبقريته الا وهو انسان حق الانسان واسع العاطفة بعيد الغور يتلقى وحي النفس الانسانية من جميع مهابطه ويتسع قلبه لآلام المعذبين وعيوب المنبوذين وضروب الخلائق التي تعيش في عالم الشهادة وكأنها تعيش في عالم الخفاء ويمت الى الحياة بسبب وثيق من قرابة الاحياء وللحياء

يقول فيثاغوراس ومريدوه ان للكواكب السيارة في دورانها انعاماً كأنعام العידان وان العدد هو اساس الرياضة وهو اساس الالحان وكل ما في هذه الاكوان — وهو قول عميق الصديق مهما يظهر عليه من المجاز الشعري والتصوف الفلسفي فهو في اعتقادنا بين الصحة من ناحية واحدة على الاقل وهي ناحية الاتصال الحميم بين الملكة الرياضية والملكة الموسيقية ثم الاتصال الحميم بين هاتين الملكتين معاً وبين سليقة التصوف والايمان . فللبداهة في جميع هذه الملكات دخل كبير وللرياضي والموسيقي مدد من وحي البصيرة والهام السريرة اكبر من المدد الذي يأتيها من تجارب الحس وحقائق المشاهدة . وليس بالنادر بين الاطفال من ينبغ في العزف

على الآلات الموسيقية او ينبغ في اجراء العمليات الحسابية لان بداهة الطفولة في هذا المعرض لا تحتاج الى التجربة والمعلومات ، وليس بالتأثير بين الموسيقيين والرياضيين من يؤمن بالغيب ايمان التسليم والانتقال لان كنز البداهة عندهم زاهر بالاطياف والاصداء التي يعبرون عنها بالانغام والارقام . وصاحب النسبية مصداق لما نقول ودليل على ان الالهام الرياضي والالهام الموسيقي قريب من قريب ان لم نقل انهما ينبوعان يفيضان من متفجر واحد . فانه شب من طفولته الاولى كلفاً بالالحن ينظم الاناشيد في الثناء على الله ويلحنها ويرتلها في خلواته وصلواته . وهو الى اليوم مشغول بالموسيقى يحيد العزف على القيثارة ومشغول بالحركة الصهيونية يقوم لآبناء دينه في بعض المواقع مقام أبحارهم الاقدمين . وليس في ذلك كله غرابة عندنا لاننا نعتقد كما قلنا في غير هذا المقال ان الالهام صاحب الفضل الاول في الرياضة وفي الموسيقى وفي الدين او بعبارة أصح واشمل في «حاسة الدين» لان المرء قد يكون مطبوعاً على التدين وهو لا يأخذ بالظواهر التي تجري عليها بعض شعائر الاديان

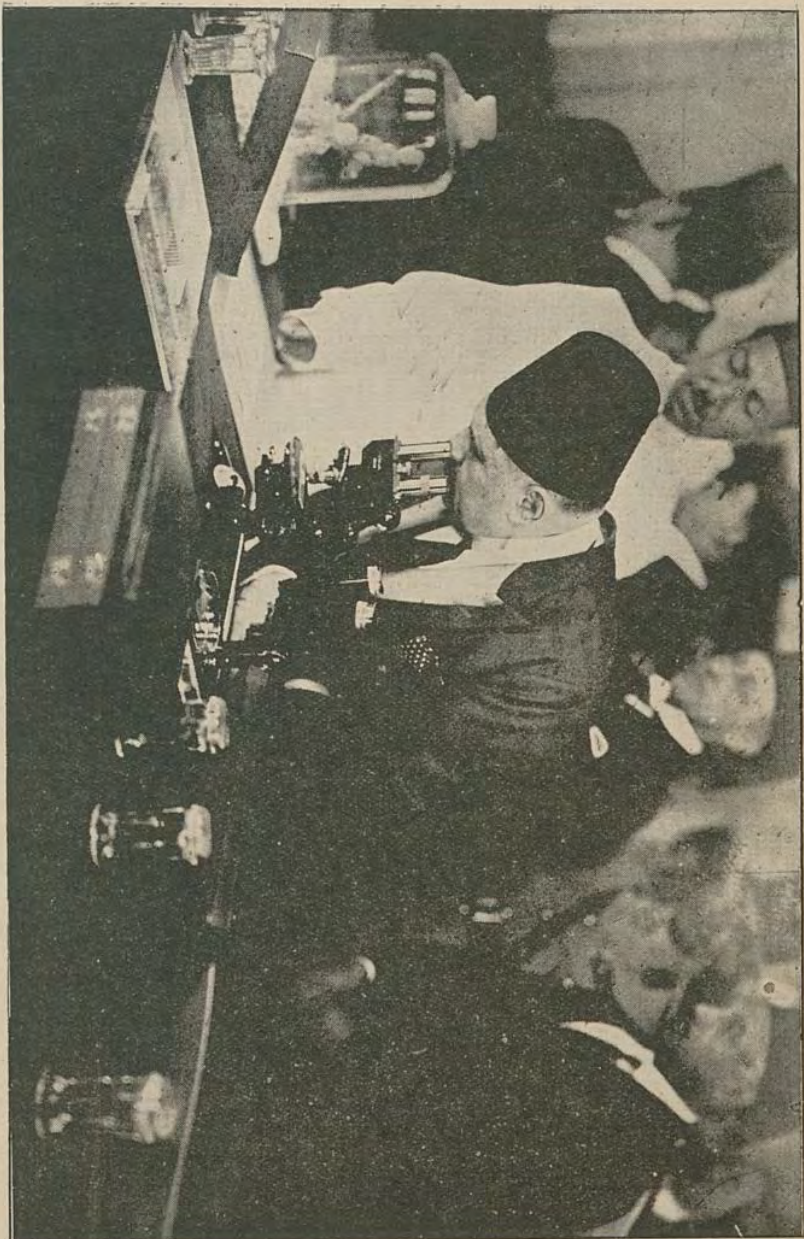
واينشتين — وهو احد ابطال العالم الكبار — يحب البطولة العلمية ويعرف تقديس الابطال وتأليههم على منهاجه في التقديس والتأليه . ولكنه لا يحب ذلك الاعجاب الذي يزين لأكثر الناس ان ينخلوا ابطالهم ما ليس لهم من المآثر والمعجزات . وهو على حق في هذه الخصلة لان الاكثار من اسناد الفضائل الى الابطال الذين نعجب بهم نقص في تقدير الابطال ونقص في تقدير الفضائل . كاننا لا نرى في فضائلهم الحقيقية الكفاية التي يستحقون بها ما نزيده لهم من الاعجاب والحب والتقدير

ذكر له ماركسكي ما يذاع عن معجزات ليناردو دافنشي وكوبرنيكس وغيرها من كبار المفكرين وما يقال عن سبقهم الى تقرير الفروض العلمية وانفرادهم بالاعمال التي يعجز عنها الكثيرون ، فكان رأي اينشتين ان انصار هؤلاء المفكرين يبالغون في تقديرهم وينسون ان بعض المآثر المنسوبة اليهم قد ترجع الى واحد قبل واحد من السابقين حتى تؤول في النهاية الى القدماء الأولين . فيصح ان يقال مثلاً ان كوبرنيكس الحقيقي هو هياركس النيق ، واذا رجعنا مائة سنة الى الوراء — اي الى ما قبل النفي سنة من هذا التاريخ — الفينا ان ارستاركس السامي كان يقول بدوران الارض حول محورها ودورانها حول الشمس في تلك الايام . وليس هناك من ضرورة تدعونا الى الوقوف هنا في رأي اينشتين

فان الاحتمال لا يمنع ان يكون ارستاركس مستمد من المصادر المصرية التي سبقته

على ان اغرب الاتفاقات التي رويت في حياة اينشتين وكان لها معنى كمنى النبوءة الالهية تلك القصة التي جاءت عرضاً في احاديث اينشتين وذكرها مزكفسكي في مستهل كلامه على ترجمة الرياضي العظيم صاحب الآراء الطريفة في الكهرباء والمغناطيس . وذلك حيث يقول : « وحرى بالتنبية ان اول شيء استرعى التفات الطفل كان اداة من ادوات العلوم الطبيعية . اراه ابوه وهو في مهده ابرة مغناطيسية لغير غرض الا ان يلاعبه ويسليه فكانت الابرة المعدنية المترجحة اول ما استيقظ له ضمير الطفل ابن الخامسة ليدهشه من غرائب المجهول . وكانت دهشته تلك كما هي شاخص يومى الى روح البحث التي ما برحت مستكنة في اعماق خلده . ولتذكر هذه الواقعة النفسية دلالة فيما صار اليه اينشتين اليوم ، فهو على تيقظه للمشاهدات التي مرت به في طفولته لم يذكر انه التى بالاً لسقوط الاجسام التي لا تعتمد على عمد ، وانما كانت التفاته الى الابرة المغناطيسية والى الابرة دون غيرها . فكأنما كانت هذه الآلة تخاطبه بلحن الغيب وتوسى له الى ميدان الكهرباء والمغناطيسية الذي اهتدى فيه بعد ذلك الى نتائج بحثه المفيد » ونقول ان هذه الحادثة من اغرب الاتفاقات التي رويت في حياة اينشتين لانها تشير الى علاقة المزاج بالافكار التي نعلل بها اسرار الوجود . فلا ريب ان التفات الطفل اينشتين الى الابرة المغناطيسية وقلة التفاته الى سقوط الاجسام مسألة من مسائل المزاج لامن مسائل التفكير . ولكنها انتهت الى ان تجعل اينشتين الكبير معرضاً عن تفسير حركات السماء بمذهب الجاذبية ومقبلاً على تفسيرها بما بدا له من القوانين في ميدان النور والكهرباء وحياة اينشتين بعدد قليلة الغرائب لا يستخرج منها امهر الروائيين المشوقين قصة مقروءة في فصل صغير . وكذلك حياة معظم المفكرين الذين يعيشون في عالم الافكار ولا يعيشون في عالم الحوادث . وكأنما بلغت الطبيعة في اختصار رواية اينشتين فليل عنه ان حياته المدرسية كانت خلواً من كل ما يلفت النظر وانه كان تلميذاً وسطاً في جميع الدروس الا في المحفوظات اللغوية فكان دون الوسط وكانت آفته الملائمة انه قلما يحفظ الكلمات . ولعل هذا سر ذلك الرأي الاول الذي ارتآه في اللغات . فلا يقل الناظرون في الكلام « انظر الى ما قيل لا الى من قال » فانك لن تفقه ما قيل وان تعطيه حقه ومعناه الا حين تعرف من قاله وتعرف لم قال ما قاله

عباس محمود العقاد



حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد ينظر بالكرسكوب في زيارته الحسنية الى قسم الجيترات بوزارة الزراعة

مقتطف يونيو ١٩٢٩

العام الثانية ٢٣

ندوة مديشيل انظر لجلالة « كل شيء والعالم »



اشهر الجمعيات العلمية المصرية

ونصيب جلالة الملك في انشائها واحيائها

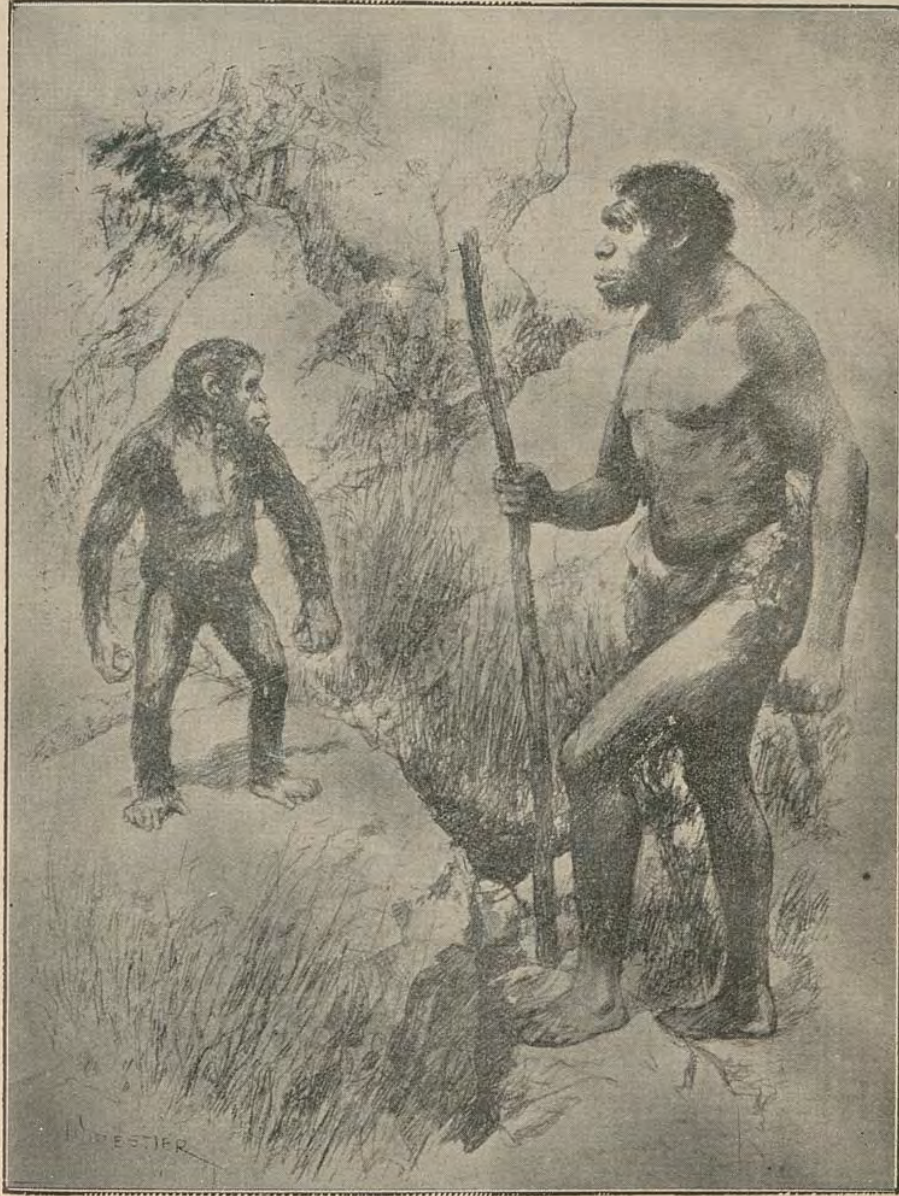
على ذكر سفر جلالة الى اوربا

يضيق بنا المقام هنا لو حاولنا بسط النتائج التي اسفرت عنها الجهود الخاصة التي بذها جلالة الملك وهو امير في سبيل تعميم الجمعيات والهيئات العلمية والانسانية النافعة وفي مقدمتها مساعيه التي كللت بالنجاح وادت الى تأسيس الجامعة المصرية فنقول انه ما كاد جلالة يرتقي العرش حتى وجه عنايته الى تنظيم اعمال الجمعية الملكية الجغرافية التي انشأها ساكن الجنان والده وما فتى سموه يرعاها باهتمامه لما كان اميراً . فعادت الى اذاعة نشراتها الدورية العلمية وطبعت مطبوعات شتى وزعت على الجمعيات الجغرافية في البلدان الاجنبية ، واستطاعت بمعونته جلالاته ومعاضدته ان تطبع عدة مؤلفات قيمة كالسفر الذي اعدّه المسيو جونديه عن ميناء السويس ، والمؤلف الذي وضعه عن ميناء الاسكندرية ، والاطلس التاريخي الذي عني برسمه لاطهار الادوار المختلفة التي تقلب عليها ميناء الاسكندرية منذ القدم ، وقد اهديت هذه المطبوعات الى كبار علماء الجغرافيا في الاحتفال الذي اقيم في باريس في سنة ١٩٢١ للاحتفاء باقضاء مائة عام على تأسيس الجمعية الجغرافية الفرنسية فاثنوا على الجمعية الجغرافية المصرية ووضعوها في المنزلة الاولى بين الجمعيات الجغرافية الدولية . واشتغل المسيو ديلارونسيير — وهو من كبار علماء الجغرافيا في العالم — ثلاث سنوات كاملة في وضع مؤلف يتضمن حالة القارة الافريقية من الوجهة الجغرافية في العصور الوسطى وذلك باقتراح من جلالة الملك وبتشجيع متواصل منه فجاء المؤلف من انفس المؤلفات وقد عرض على المؤتمر الجغرافي الدولي حين التأم في القاهرة في سنة ١٩٢٥ فنال استحساناً عاماً لم يقل عنه الاستحسان الذي ناله كتاب المسيو جورج دمران الموظف بشركة قناة السويس وهو الكتاب الذي سماه « اسطول بونايرت عند شواطئ مصر » ولم يقصر جلالة الملك عنايته على الجمعية الجغرافية بل شمل بها ايضاً معهد الاحياء المائية وهو المعهد الذي كانت فكرة انشائه قد خطرت لجلالاته في سنة ١٩١٢ ولم يستطع يومئذ اخراجها الى حيز التنفيذ لصعاب شتى اعترضت له فعكف على تذليلها واحدة فواحدة الى ان اتيح له في سنة ١٩١٥ الشروع في تحقيق هذه الفكرة بصفة جديدة فما حلت سنة ١٩١٧ حتى كانت جميع الاعمال التمهيدية لانشاء المعهد قد تمت فانهز جلالاته

فرصة اعتلائه العرش في اواخر تلك السنة واصدر مرسوماً ملكياً في ٢٨ يناير سنة ١٩١٨ اعلن فيه انشاء معهد الاحياء المائية رسمياً وشمله بالرعاية الملكية السامية وفي سنة ١٩٢١ اضاف اليه جلالتة بناية جديدة لتستعمل كمكتبة ومتحف للمعهد ولكي يثبت جلالتة حبّ المباحث المائية في نفوس ضباط البحرية المصرية الحق به ضابطين من ضباط اليخت الملكي « المحروسة » ليشتركا في دروسه ومباحثه ويكونا صلة الاتصال بينه وبين زملائهما من ضباط البحرية . واخيراً عهد جلالتة الى البروفسور سانز الايطالي في وضع رسوم دار جديدة تشيد لهذا المعهد

وكان بديهاً ايضاً ان يهتم جلالة الملك برفع مستوى جمعية الاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع فهو الذي اقترح تأليفها ، وهو الذي عمل بنفسه على انشائها ، وهو الذي وضع اهم مبادئ البرنامج الذي تضمن الاغراض التي بعثت على تأسيسها ، فكان من نتيجة هذا الاهتمام الذي ما انقطع جلالتة عن ابدائه نحو هذه الجمعية بعد اعتلائه الاريكة الملكية ان عدد اعضائها والمنتسبين اليها ما برح يزداد كل سنة . وتنفى ادارة الجمعية على الدوام باعداد محاضرات نفيسة في مختلف المسائل المتعلقة بالاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ثم تعدد الى نشر هذه المحاضرات في مجلتها الدورية التي تصدر بانتظام باللغة الفرنسية باسم l'Egypte Contemporaine وقد استطاعت في السنوات الاخيرة ان تبني لمكاتبها داراً فخمة في شارع الملكة نازلي معتمدة على هبات جلالة الملك الذي حرص على ان تعقد لجان مؤتمر الملاحة جلساتها في غرفها تعزيراً لمنزلتها وتوحيها بمكاتبها

وليس في مصر بين المثقفين من يجهد قيمة الفائدة العلمية الجليلة التي يجنيها طلاب العلم بوجود جمعية علمية نافعة كالجمعية الطبية المصرية التي انشئت في سنة ١٩٠٨ واستطاعت بعد زمن قصير من انشائها ان تضم اليها عدداً كبيراً من اطباء المصريين . فلما جاءت الحرب العظمى اضطرت الجمعية ان توقف اعمالها في انشائها ولكنها ما لبثت ان عادت الى استئناف نشاطها بعد عقد الصالح على منوال نال ارتياح جلالة الملك ففضل في سنة ١٩٢٤ وشملها برعايته واصدر مرسوماً ملكياً اجاز لها فيه ان تطلق على نفسها اسم « الجمعية الملكية الطبية المصرية » وهو نفس المسلك الذي سلكه جلالتة تجاه جمعية الحشرات ، فانه غداة تربعه في دست الملك شمل هذه الجمعية برعايته وعكف على تشجيعها وتعزيز مواردها وفي شهر مايو سنة ١٩٢٣ اصدر جلالتة مرسوماً ملكياً وضع فيه جمعية الحشرات الملكية تحت رعاية الحكومة المصرية ونفعها من الهبات ما ساعدها على تشييد دار كبيرة خاصة بها الى جانب الدار التي شيدها جمعية الاقتصاد السياسي في شارع الملكة نازلي بالعاصمة



رسم تخيلي فالشخص الكبير يمثل صاحب جمجمة روديسيا (١٩٢٢)

والصغير صاحب جمجمة تونغز بجنوب افريقية (١٩٢٥)

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٥



أصل الإنسان ومنشؤه

تاريخ أشهر الجاهم التي وجدت ودلائلها
العلاقة بين الإنسان والقردة

يقف الإنسان على قمة « الحاضر » ينظر منها الى الوراء الى الامام ، ليتعرف أصله ومنشأه وليتمكن بمستقبله ومصيره . على ان العلوم تتفاضل في فائدها المادية . فمنها ما لا يمكن الاستغناء عنه كالعلوم الطبية التي بها حفظ الصحة ودفع المرض . والعلوم الزراعية التي بها احياء الارض وتكثير غلتها . والعلوم الآلية التي بها تسهيل الاعمال وتقليل المشاق . ومنها ما فائدته اديية ترتاح لها النفس في الغالب وان كانت لا تخلو من فائدة فلسفية عملية كالبحث عن اصل الانسان وكيف وجد وفي اي زمن وهل طوائفه كلها من اصل واحد . واهتمام الغربيين بهذه المباحث عظيم جداً يجمعون لها النقود وينشئون المتاحف ويرسلون البعثات الى اقاصي الارض للبحث والتنقيب . فهل يتاح لنا يوماً ما ان ينشأ بيننا من يعنى بهذه المباحث بعض عنايتهم بها ؟

دلالة الاعضاء الأثرية

في جسم الانسان اعضاء كثيرة لا وظيفة لها الآن . ولا يستطيع تحليل وجودها تحليلاً معقولاً الا اذا حسبنا ان الانسان منحدرٌ او بالحري مرتقٍ من حيوانات كانت تأوي الى اغصان الاشجار . ولكثرة هذه الاعضاء وضع الاستاذ ودورد جونز كتاباً خاصاً بها سماه « الانسان الشجري » حتى لقد قيل انه لو لم توجد الاشجار لما وجد الانسان على حالته الراهنة

فاذا كان هذا الاستنتاج صحيحاً تطلعنا بحكم الطبع الى القردة العائشة الآن لنفهم حالة الاحياء المنقرضة التي تسلسلنا منها . فالعلاقة التي بين الناس والقردة لها اساس علمي ولا تعتمد على خيال بعض المفكرين فقط . على ان العلم لا يعترف قط بان القردة الحية الآن هي سلالة القردة التي نشأ منها الانسان من غير ان يطرأ عليها تغيير ما . لانه كما ارتقى الانسان على مرّ العصور حتى اصبح منتصب القامة هكذا ارتقت القردة فصارت اعظم براعة في تسلق الاشجار . والاصل الحيواني العام الذي نشأ منه فرعاً القردة والانسان لم يكن

منتصب القامة كالانسان ولا بارعاً في تسلق الاشجار كالقردة الآن . وما يقال في هذه الصفة يقال في صفات كثيرة اخرى امتاز بها الانسان او امتازت بها القردة بعد انفصال فرعيهما من اصل عام . فالعلم اذاً يشير الى اصل حيواني عام متغلغل في التاريخ نشأ منه الانسان والقرد في خطين منفرجين يزيدان انفراجاً كلما نشأت صفات جديدة في ابناء كل فريق منهما تختلف عن صفات الفريق الآخر . والمرجح ان هذا السلف العام كان يسمى قرداً لو كان حياً الآن الا ان تسميته كذلك ليست الا على سبيل التجوز لانه يختلف كل الاختلاف عن القردة المعاصرة

على ان الحيوانات التي انقرضت في العصور الغابرة لم يحفظ منها في طبقات الارض سوى الاجزاء الصلبة من اعضائها التي تقاوي انياب الدهر وتقاوم فعل الانحلال . لذلك يتعذر علينا ان نجد من آثار اسلاف الانسان والقردة شيئاً سوى بعض العظام والاسنان . ومن هذه الآثار يستطيع العلماء ان يستنتجوا وصف الاعضاء التي انحلت وفنيت وان يتصوروا شكلاً عاماً للقرد او للانسان التي وجدت آثاره

اسلاف القردة والانسان

ان ما يعرف عن القردة التي نشأ منها فرعا الانسان والقردة المعاصرة نزر واقدم الآثار المعروفة بعض فكوك سفلى صغيرة وبعض انياب ضعيفة وجدت في مصر . ويلها في القدم فكوك واسنان لنوع من القردة يدعى الجبون وسعادين حجمها قدر حجم الشمبازي وجدت في اوربا الوسطى وفرنسا واسبانيا . ولم يوجد من هياكل هذه الحيوانات سوى عظمة واحدة هي عظمة فخذ . ثم عثر على فكوك واسنان كثيرة في الهند ولكنها خاصة بانواع مختلفة من القردة . وقد وجدت حديثاً جمجمة غير تامة لحیوان حديث السن في بلدة تونز بجنوب افريقية . وصفات هذه الجمجمة لا تختلف اختلافاً كبيراً عن صفات قرد معاصر حديث السن . الا ان فراغها في حالة لا تمكن الباحث من موازنة علمية دقيقة ان مميزات الهيكل العظمي في طائفتي القردة والناس خاصة بكل نوع منهما لذلك يسهل تمييز هيكل الواحد عن هيكل الآخر . وفراغ الجمجمة في القرد حيث يستقر دماغه اصغر من فراغها في جمجمة الانسان . وعظام الوجه بالنسبة اليها اكبر في القرد منها في الانسان واكثر بروزاً . أما جمجمة الانسان فاكبر وجهته عالية عريضة . ثانياً ترى عظم الحجاج فوق العينين في جماجم القردة اكثر بروزاً وتكاد لا ترى لبروز اثرها في جهة انسان معاصر كما ترى في الصورة العليا . ثالثاً ترى عظم الذقن في القردة مرتدداً الى الوراء والانياب كبيرة متراكبة كما تراها في فم كلب او قطة . اما في جمجمة انسان حديث فترى عظم

الذقن بارزاً والاياب غير كبيرة وتتنظم مع باقي الاسنان كأنها جبات في سبط . رابعاً في كل انواع القردة حتى نوع الجيون تجد السلسلة الفقارية مستقيمة . اما في الانسان الحديث فهي شبيهة بحرف S وذلك لتمكن الانسان من الانتصاب . خامساً في كل انواع القردة الحية تجد الذراعين اطول منهما في الانسان اذا حسبت النسبة بين طول الذراعين وطول بقية الاعضاء . والابهام الاكبر في رجل القرد معدة للمسك كالابهام في يد الانسان . سادساً ان عظمة الفخذ في القرد مقوّسة قليلاً على الغالب وعظم القصبه قصير ونحني وفقاً لمقتضيات القامة المقرفصة . أما عظمة الفخذ في الانسان الحديث فمستقيمة لانه متصب القامة

فاذا كان الرأي القائل بان اصل الانسان والقرد يرجع الى اصل قردي سابق لكليهما وجب ان تكون اقدم الهياكل العظمية الانسانية التي يعثر عليها اكثر مشابة لهياكل القردة في الامور المتقدم ذكرها من هيكل الانسان المعاصر . اي انه لا بد لنا من ان نجد بين الاحافير حلقات مفقودة . ولكن درس آثار الحيوانات المتحجرة تدل دلالة واضحة على اننا لن نستطيع العثور على سلسلة مطردة الارتقاء من الهياكل العظمية تصل بين القرد القديم والانسان . وما ينتظر العثور عليه اما هو اشكال مختلفة يقترب فيها الانسان القديم في صفات مختلفة من مميزات القردة . والخلاصة ان نوع الانسان الذي يملك الارض الآن اما هو نتيجة محاولات مختلفة حاولتها الطبيعة لتخلق نوعاً من الاحياء يستطيع بدماعه الكبير المعقد التركيب ان يقوى ويسيطر على سائر اشكال الحياة

انسان جاوى

والصعوبة في البحث عن اصل الانسان قلة الآثار التي وجدت والتي يرجع تاريخها الى زمن قبل الزمن الذي تعلم فيه الناس دفن موتاهم . قبل ذلك الوقت لم يتيسر لآثار انسان ما ان تحفظ الا اذا اتفق لها ان تقع في ثقب من الارض او قعر نهر او بحيرة حيث يتراكم عليها الطمي والرمل والحصى فتحفظ كذلك . وقد عثر حتى الآن على آثار عظمية لاربعة او خمسة من هؤلاء الناس الذين اتيج لهم ان تحفظ عظامهم اتفاقاً

واول هذه المكتشفات تم على يد الاستاذ اوجين ديوى سنة ١٨٩٢ في قعر نهر قديم بجزيرة جاوى ووجد معها وبقرها في طبقة الارض ذاتها آثار انواع منقرضة من الفيل ووحيد القرن وغيرها من الحيوانات المماثلة لها التي تمت بصلة القرى الى بعض الحيوانات التي لا تزال حية الآن في جزائر الهند الشرقية . وأعظم قطعة عظمية وجدها الاستاذ ديوى كانت القطعة العليا من جمجمة حجمها حجم رجل صغير ولكن

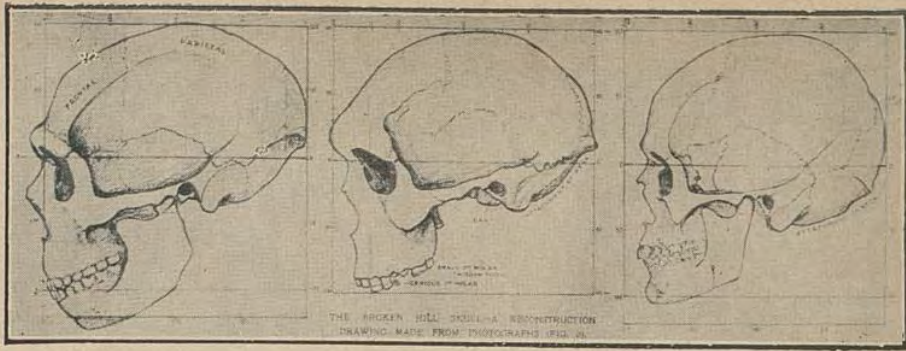
عظم حجاجيها فوق العينين كبير شديد البروز يشبهُ حجاج القروء على ان آثار الدماغ في باطن الجمجمة تدل على ان صاحبها كان بشرياً في صفته الاساسية . ووجد سنان ليسا مثل الاسنان البشرية ولكنهما شبيهان باسنان الجيرون الذي يقطن بعض غابات جاوى الآن . أما عظمة الفخذ التي وجدت فستقيمة كعظمة الفخذ في انسان معاصر ولكنها مصابة بداء من طرفها الاعلى وقد يكون صاحبها منتصب القامة . فاذا كانت كل هذه الآثار العظمية تخص شخصاً واحداً ، وهذا مرجح ، فهي تمثل نوعاً من اسلاف الانسان كان قريباً من القردة بحجاجيه البارزين واسنانه او هو يمثل حيواناً كان له دماغ اكبر من ادمغة الجيرون في الغالب . لذلك ادعي صاحب هذه الآثار « بيثا كانثروپوس » اي « القرد الانساني » والآثار محفوظة الآن في متحف تايلر بهارلم من اعمال هولاندة

انسان هيدلبرج

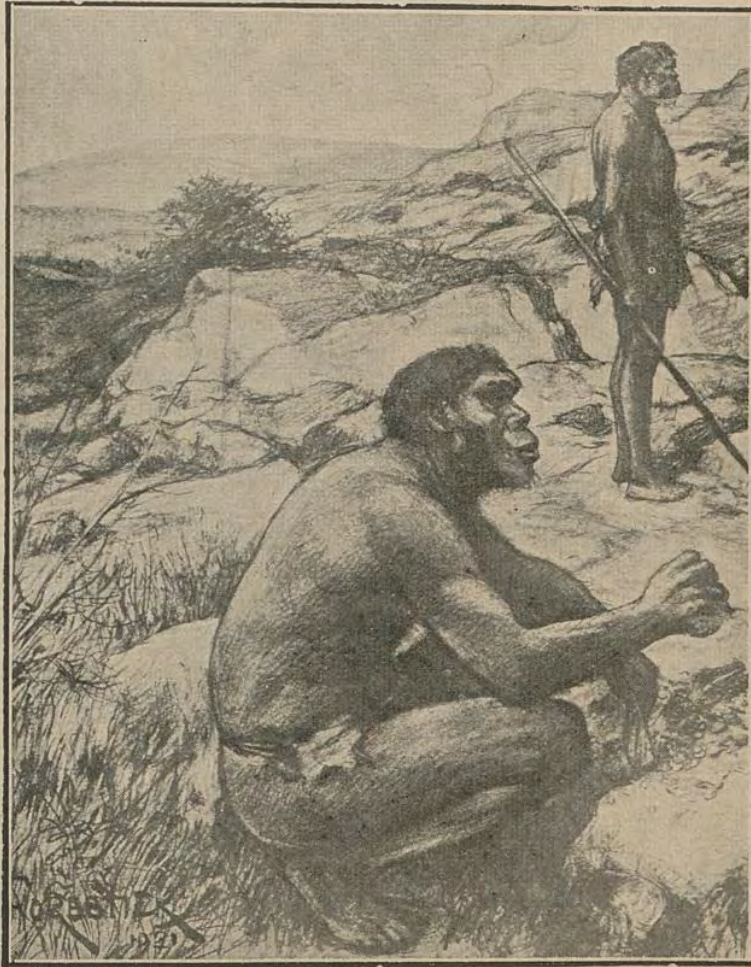
وقد تمّ الاكتشاف الثاني لآثار انسانية مطمورة في طبقات الارض يرجع تاريخها الى قبل العهد الذي تعلم فيه الانسان ان يدفن موتاه ، على ايدي الاستاذ اوتوشويتسناك الالماني سنة ١٩٠٧ في طبقة كثيفة من الرمل رسبت في قعر نهر بلدة مور قرب هيدلبرج ومن ثمّ نسب صاحبها الى هيدلبرج . والاثر المهم الذي وجد كان فكاً اسفل مع عظام واسنان يرجح انها لفيل ووحيد القرن وفرس النهر وغيرها من الحيوانات التي كانت تقطن اوربا في عصر البليستوسين . والفك كبير ضخّم ومع انه يماثل الفكوك البشرية في اكثر مميزاته الا انه يختلف عنها في ارتداد ذقنه الى الوراء فبماثل في ذلك فك القرد . ولكن وجدت في الفك اسنان مثل اسنان الانسان منتظمة انتظاماً حسناً وانيابها متناسبة في حجمها مع باقي الاسنان . فهذا الاثر يمثل نوعاً من الناس ادعي هومو هيدلبرجنسس اي انسان هيدلبرج ولكنه لم يكن قد ارتقى كلّ الارتقاء بعدُ بدليل ارتداد عظمة ذقنه . وهذا الفك محفوظ الآن في المتحف الحيولوجي بجامعة هيدلبرج

انسان بلتدون

ثم كشف الاستاذ تشارلس دوصن سنة ١٩١٢ عن آثار في قصر نهر قديم في بلدة بلتدون من مقاطعة صسكس الانكليزية ويعود عهدها الى عصر البليستوسين في مفتحه . وكانت الآثار مؤلفة من قطعة من جمجمة انسان ونحو نصف فك اسفل فيه ضرسان وناب واحد ومعها آثار فيل وفرس نهر . اما الجمجمة فتشبه حجاجم بعض الاقوام المنحطة الحية في ان عظمها كثيف ولكنها فريدة في ان بناء العظم خلوي يمكنه من مقاومة اللطم وتحمله . وهي كذلك خالية من ارتفاع عظمي الحجاجين فوق العينين فتشبه من هذا القبيل



جمجمة انكليزي معاصر جمجمة روديسيا (١٩٢٠) جمجمة لاشابل (١٩٠٧)



صورة مبنية على الخيال والعلم للانسان الافريقي

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٩

جمجمة انسان حديث وجهتها عالية ولكن اعلى الرأس واطىء. وكذلك عظمة القفا عريضة وواطئة اما الدماغ فالمرجح انه كان بشرياً في مميزاته واكبر من اصغر دماغ بشري معروف الآن في مقدارم . على ان الجمجمة على العموم غريبة والمرجح ان صاحبها كان انساناً يختلف كل الاختلاف عن الانسان الحديث . اما الفك الاسفل فضعيف ولكنه مستطيل يستدل منه على ان وجه صاحبه كان كبيراً وعظمة الذقن مرتدة الى الوراء تماثل تقريباً ذقن القروود كل الماثلة فهو اقرب الى القروود من ذقن انسان هيدلبرج

اما الضرس فشبيه بالاضراس البشرية ولكنه يفوق المعتاد في حجمها وطولها. ويستدل من مكان الثآليل انه يطبق على الثآليل الذي في الفك الاعلى وهذا منميزات القروود لانه يساعدها على تمزيق الفريسة الا انه يختلف شكلاً عن انياب القردة المعروفة وبشبهه على الاكثر انياب البين في الانسان الحديث . والحق يقال ان انسان بليتدون يرجع عهده الى فجر الجنس الانساني ولذلك دعي ايوانثروپس اي « انسان الفجر » وهذه الآثار محفوظة في قسم الحيولوجيا بالمتحف البريطاني

جمجمة روديسيا والجليل

وفي سنة ١٩٢٢ وجد المعدنون في روديسيا بجنوب افريقية كهفاً فيه كثير من عظام الحيوانات ومعها ادوات صوانية تدل على ان ذلك الكهف كان مسكناً للانسان منذ عهد غير بعيد لان الحيوانات التي وجدت عظامها هناك من انواع الحيوانات العاشية الآن او تفرق عنها قليلاً . في هذا الكهف وجدت جمجمة بشرية تكاد تكون كاملة وهي تمثل سكان افريقية الاقدمين الماثلين للذين وجدت جماجمهم في اوربا وكانوا فيها في العصر الجليدي الاخير الذي يرجع علماء الحيولوجيا انه كان فيها منذ خمسين الف سنة الى ثلاثين الفاً وهم المعروفون بالجنس النيندرتالي نسبة الى وادي بروسيا حيث وجدت اول جمجمة وصفت من هذه الجماجم . الا ان المكان الذي وجدت فيه جمجمة روديسيا يبعد نحو اربعة آلاف ميل عند جنوب اوربا حيث وجدت جماجم النيندرتال . وشكلها يدل على ان سكان روديسيا الاقدمين كانوا احط في السلسلة البشرية من الذين وصلوا الى اوربا لما كانت متصلة بافريقيا . الا ان الاستاذ ودورد الحيولوجي يرى ان الجنسين مختلفان كثيراً والروديسي ارقاها

ثم وجد في رواسب منضدة في كهف تبعة قرب طبرية بالجليل القسم الامامي من جمجمة بشرية قديمة جداً ومن مزاياها بروز حجاجي العينين وغور الجبهة كما في الشبازي هذاو يطابق طراز جماجم نيندرتال الاوربية التي لم يعثر على ما يماثلها من قبل في قارة اسيا . والمرجح ان تاريخها يرجع الى العصر الحجري القديم



السلطان محمود ومحمد علي الكبير

موازنة تاريخية بينهما

ربما عرت القارئ الدهشة لأول وهلة لاقدام تابع يحكم ولاية واحدة على مناجزة متبوع عظيم يتولى امر سلطنة مترامية الاطراف تمتد من خليج العجم شرقاً الى البحر الادرياتيک غرباً وله فوق شرف الانتساب الى سلالة قامت باعباء الملك احيالاً طوالاً عظيمة الخلافة التي تنحني امامها رؤوس المسلمين في الخافقين اكباراً واجلالاً . على ان كثيرين من الاحياء يذكرون ان مثل هذه الدهشة عرت فريقاً كبيراً من الناس في اواخر القرن الماضي عند ما اقدمت اليابان على محاربة الصين وعدد اليابانيين حينئذ لم يتجاوز عشر عدد الصينيين . وجرى ما يقرب من ذلك في اوائل جيلنا الحاضر عند وقوع الحرب بين روسيا واليابان وقد كانت روسيا الى ذلك العهد غول اوروبا لها الموقع المنيع والجيش الذي لا يقهر . ومع هذا فان اليابان الصغيرة فازت على جارتها العظيمة وكان لمزايا القواد وميزات الانظمة القول الفصل في تقرير مصير المتحاربين . فهذه العوامل نفسها رجحت كفة الميزان الى جانب محمد علي في نزاعه مع السلطان محمود ان كلا من التابع والمتبوع المتنافسين بذل ما في وسعه في سبيل الاصلاح واراد لبلاده مجارة البلدان الغربية في نظاماتها ومباراتها في مضمار الرقي والعمران غير ان محمد علي كان امضى عزيمة من مولاه واوسع منه حيلة واكثر خبرة واقتداراً على تصريف الامور كما ان المصاعب التي قامت في وجه السلطان محمود لم يقم مثلها في وجه محمد علي فالملك كانوا اعظم العقبات المحلية التي كان على محمد علي ان يتغلب عليها وهؤلاء الملك كان قد هلك اكثرهم وانهكت قواهم في وقائعهم مع جيش بونابرت وبعد ذلك دب ديب الشقاق بين زعمائهم وانحاز فريق منهم الى جانب محمد علي ثم مات زعيم الحزبين وانتشرت الفوضى في صفوفهما فهان امرهم على محمد علي . وحيث رأى ان لا امان عليه من مكايدهم عزم على البطش بهم والقضاء عليهم جميعاً دفعة واحدة . فدعاهم الى حضور حفلة في قلعة الجبل في اول اذار (مارس) سنة ١٨١١ ودبر من اغتالهم كما هو مشهور ولم تبق بازائه في مصر قوة يخشى معارضتها لان الشعب المصري لين العريكة مطواع لحكامه كما انه كان قد استعبد بعض الاستعداد لتبدل الاحكام في اثناء اقامة الحملة الفرنسية في مصر

وزادت شهرة قواد جيشه وثبت ما للجنود المنظمة من المزايا على الجنود غير المنظمة اما السلطان محمود فارتقى الى عرش السلطنة في سنة ١٨٠٨ وادارة البلاد وجنديها في حالة فوضى وسلطته اسمية في الاقاليم البعيدة لانتشار النظام الاقطاعي

وتغلب حكام الولايات القاصية ك مصر وسوريا وبغداد والباينا وغيرها ونحو الروح القومية ما بين الرعايا المسيحيين في اليونان وولايات البلقان الذين كانوا يلاقون معاونة وتشجيعاً من الدول والشعوب الاوروبية فهذه الاحوال القلقة في مختلف انحاء السلطنة مع الاخطار الدائمة التي كانت تهدده من جهة الروسية جعلت

ووجد في حكومة محمد علي من الانتظام ما لم يجد مثله في عهد المماليك . ثم ان البلاد المصرية ضيقة النطاق منبسطة الارض سهلة المسالك ولها من النيل خير وسيلة لتقريب المواصلات بين عاصمة البلاد وقواعد اقاليمها كما ان الارتباط بين ولي الامر وحكام

الاقاليم كان وثيقاً واوامره نافذة وفي كل ذلك ما يحول دون نشوب الثورات ويسهل قمع اي انتفاض على سلطة الحكومة قبل استفحال امره

تولى محمد علي الحكم في مصر سنة ١٨٠٥ فلما عوّل على غزو سوريا في سنة ١٨٣١ كان قد وطد اركان الامن والاصلاح في بلاده فنظم الادارات

هذا فصل من كتاب نفيس موضوعه « ابراهيم باشا في سورية » وهو يدل على موضوعه اي فتح سوريا على يد ابراهيم باشا وقيام حكومة محمد علي فيها . وفيه فصول خاصة وبحث مستفيض في ترجمة محمد علي . وطموحه الى التوسع والاستيلاء على سوريا . والتهديد لغزوة سوريا . واسباب الحملة عليها وحالة تركيا وسوريا عند حصول الغزوة . وتفصيل وافية عن الوقائع من حصار عكا الى معركة قونية ثم موقعة نرب الشهيرة وبيان عن حكومة محمد علي في سوريا وترتيباتها الادارية والقضائية والمالية — والثورات التي عقبها . وتتخلل الكتاب فصول سياسية عن تدخل الدول الاوربية في اثناء النزاع بين السلطان محمود ومحمد علي واطهار مرامي كل واحدة منها . ثم تدخلها عسكرياً وانسحاب ابراهيم باشا من سوريا الخ وهو تحت الطبع

مهمته الاولى تقوية السلطنة المركزية باخضاع العناصر المشاغبة . فنجح في قهر كثيرين من الولاة العصاة وارباب الاقطاعات واستعصى عليه اخضاع الباقيين كثوار اليونان ومحمد علي فكان له في كل ذلك وفي حروبه مع الروسية ما يحول دون

الملكية والعسكرية وانشأ المدارس والمصانع وكانت جيوشه قد خاضت حروب الفتح والتأديب في بلاد العرب والسودان وابلت احسن بلاء في مقابلة ثوار اليونان في المورة وكريت ونالت في جميع هذه الحروب انتصارات باهرة فبعد صيت محمد علي

الاصلاح الذي كان ينشده ويستنزف اموال الدولة ويضعف جنديتها. على ان ذلك لم يزرده اقتناعاً بوجود الاسراع في اصلاح طرق الحكم وادخال الانظمة الاوربية في الادارات الملكية والعسكرية لكن كان له من مصاف الانكشارية خصم عنيد وخصومة الانكشارية حينئذ كانت شديدة الخطر لانهم بعد ان كانوا في ما مضى جيش الدولة الدائم ومصدر قوتها وحاملي رايات النصر من قطر الى قطر كثر عدد الرعاع في صفوفهم وضعفت فيهم الروح العسكرية وارتخت روابط النظام فصاروا ثورة فساد ومصدر اضطراب وخطراً دائماً على السلطان ووزرائه ورعاياه يتدخلون في مختلف شؤون المملكة ويقاومون كل اصلاح بقوة السلاح وكانوا يسومون الاهلين صنوف العذاب وليس في الدولة قوة تردعهم فاصبحوا ولهم الامر المطاع حتى اذا ما قاموا بمظاهرة ضد الحكومة نفسها شاركهم الاهلون في ذلك مكرهين بدون ان يعرفوا سبب التظاهر. ومن غرائب اعمالهم انهم حاولوا مرة ان يرفعوا الى كرسي الحكم على احدى الولايات حلاقاً من عامة الناس لمجرد كونه صديقاً لهم. فجندياً هذا شأنها لم تبق ذات قيمة حرية بازاء الجندي الاوربية التي كانت تتقدم في التنظيم العسكري تقدماً سريعاً. وكان السلطان سليم الثالث قد شرع في تنظيم جيش جديد على النمط الاوروبي فاسيخظ الانكشارية عمله فناروا عليه وخلعوه ثم قتلوه وبقيت هذه حالتهم من التمرد والاستبداد الى عهد ابن عمه السلطان محمود فصمم على التخلص منهم لكنه تريت الى ان ضج العلماء والوزراء وعامة الشعب من طغيانهم والنفوا حوله للانتقام منهم. وكان قد اتم تدريب وتسليح فرق من رجال المدفعية على الطراز الجديد فتألبت جميع الطبقات على الانكشارية وبطشوا بهم في سنة ١٨٢٦. وكانت ثورة اليونان حينئذ حامية الوطيس وتخللها تدخل الدول الاوربية تدخلاً عسكرياً وتلتها الحرب مع الروسية فاودت بالبقية الباقية لدى السلطان من المال والرجال فحق له ان يقول عندئذ

ولو كان هم واحد لاحتملته ولكنه هم وثان وثالث

بل واكثر من ذلك لان العقبات السابق ذكرها على خطورتها لم تقم وحدها في سبيل الاصلاح. بل ان العلماء وهم حفظة الدين والمتسلطون على عقول جموع العامة الساذجة كانوا يقاومون الاصلاح لاعتقادهم ان كل جديد بدعة وجاراهم في ذلك جيش الموظفين الجرار وبينهم اكثر الوزراء وحكام الاقاليم وكبار القواد فهؤلاء كانوا يحسبون ان في ادخال الانظمة الاوربية ضرراً بمصالحهم الشخصية وانقادت عامة الشعب اليهم والى

العلماء فاعتبرت التجدد كفرًا وقاومته أشد المقاومة . نعم ان السلطان محمود قام ببعض
الاصلاحات لكن لم يظهر منها للعيان الا ما كان سطحياً كتغيير ازياء الموظفين ورجال
الجيش اما غير ذلك فنظراً الى اتساع نطاق السلطنة وصعوبة مواصلاتها ذهب كقطرة في
بحر . كما ان قيادة الجيش العليا والمناصب الرفيعة في الولايات بقيت في ايدي رجال العهد
القديم الذين لو شاءوا تنفيذ الاصلاح لما استطاعوا ذلك لجهلهم طرفة وعدم وجود مأمورين
في دوائر حكمهم عارفين بالنظام الجديد . وكانت الحكومة المركزية ضعيفة بازاء الشعب
ورجال الدين ومن الامثلة على ذلك أن حكومة الاستانة شاعت تسمية شوارع العاصمة
ووضع الارقام على منازلها لكنها احجمت عن اجراء ذلك خوفاً من ثورة الاهالي عليها
وشاء السلطان محمود ان يستخدم لتعليم ولي العهد استاذاً فرنسويّاً واسع الاطلاع على
اللغات الشرقية غير ان المفتي رأى عدم جواز ذلك فاضطر السلطان الى الرجوع عن عزيمته
ولزيادة ابضاح رأي عامة العثمانيين في السلطان محمود واصلاحاته نورد خلاصة حديث
لرحالة اوروبي مع احد اغاوات الاناضول . قال صاحب الحديث ما خلاصته : ساقني الحديث
مع آغا « دركلداغ » الى الكلام عن ملابس السلطان محمود فسألني هل كنت متأكداً
من ان السلطان يرتدي ملابس الكفار فاجبته بالايجاب وقلت له ان ذلك غير محصور
في السلطان وحده بل ان رجال جيشه وجميع المسلمين الداخلين في خدمة حكومته يرتدون
الملابس الافرنجية . فقال الاغا : « ان محمود الثاني مجنون لا يفكر في مستقبل امته . ان
رجوع مياه قيرل إيرمق (النهر الاحمر) صعوداً الى منبعها لا يسر من حمل العثمانيين على احتذاء
مثال الغربيين — انه يريد تجديد السلطنة العثمانية لكن ألم تر انه منذ شروعه في التجديد
المزعوم لم يكن نصيب السلطنة سوى الضعف والفشل ؟ ان تركيا الجديدة تركيا ذات
الاصلاح قد غلبها على امرها ثأر من رعاياها ! ففي اي زمان من تاريخنا بلغ السلطان من
الضعف مبلغاً اعجزه عن تأديب تابع ثأر ؟ ان محموداً سليل عثمان ووارث الخلفاء سلطان
السلطين وخاقان الخواقين مانح التيجان المسيطر على البحرين الابيض والاسود ومالك
بر آسيا والبلاد العربية وافريقيا واوروبا اخا الشمس وابا النجوم وابن عم القمر وظل الله
الظليل على الارض . ان محموداً هذا خاف ان يسحقه ذلك الباشا المقدم الجالس على
ضفاف النيل فاستغاث بالروسية لتحميه من محمد علي . وما ادراك ماذا ستجرب هذه الحماية
من الويل على البلاد ؟ فمن ذا الذي يجهل مطامع المسكوب في سلطنة آل عثمان ؟ فوا أسفي
على هذه السلطنة الناعسة الجرد . ان المصائب تهددها بينا حكامها لا يدركون الخطر

المحقق بها . وقد روى صاحب هذا الحديث أنه سمع مراراً عديدة في أثناء تجواله في الاناضول مثل الآراء التي ابداهها آغا در كلا داغ

ولا بد من ذكر عامل آخر كان من اشد العوامل في نجاح محمد علي واخفاق السلطان محمود وهو اعوان كل منهما . فقد كان اكبر اعوان محمد علي اولاده واحفاده وانسابه وابناء جلدته او غيرهم من الذين نشأوا تحت حكمه او ممن احسن اختيارهم من الافرنج والارمن والسوريين . فكل واحد من هؤلاء عرف ما فطر عليه محمد علي من حب التوفيق في العمل والسهل على تنفيذ الاوامر والاحكام وتحقيق ايضاً ان في البلاد ارادة واحدة طاعتها غم ومخالفتها غرم وهذه الارادة هي ارادة محمد علي فعمل كل في دأريته على تنفيذ مشيئة مولاه بدون تردد ولا ابطاء ووجدوا بالاختبار ان في إنجاح مشروعات مولاهم سعادة لهم لانه كان يغمر رجاله المصلحين بالنعام فكثيرون منهم صاروا من اصحاب المقامات الرفيعة والثروات الطائلة بما نالوه من المكافآت على اخلاصهم في الخدمة والنجاح في الاعمال التي قاموا بها . ففي هذا التضافر على تنفيذ مشيئة محمد علي في الاصلاح كان السر الاعظم في تكلل مساعيه بالنجاح . اما السلطان محمود فلم يسعده الحظ باعوان كاعوان محمد علي مع انه لم يكن اقل منه حباً بالاصلاح واهتماماً به ورغبة في رفع مقام شعبه الى مستوى الشعوب الراقية . لكن حب الاصلاح شيء وتنفيذه شيء آخر . واني للسلطان محمود ان ينفذ مشيئته وهو عاجز عن اختيار استاذ قدير لتعظيم ابنه في وسط قصره . او كيف يستطيع القيام بتجديد واسع النطاق في سلطنته مادامت حكومته في حالة من الضعف تمنعها من تسمية شوارع العاصمة وتبليغ منازلها خوفاً من ثورة الاهالي عليها . وقد قال اللورد بونسونبي (Ponsonby) سفير انكلترا في الاستانة عن السلطان محمود انه كان حسن القصد شديد الرغبة في اصلاح بلاده لكنه لم يجد حوله من يستعين به على انجاز الاعمال الاصلاحية التي كان راغباً في القيام بها

ان هذه الامور وامثالها كانت معروفة لدى محمد علي معرفة تامة لانه كان واقفاً على احوال السلطنة العثمانية مطالعاً على ما اصابها من التضعف والاختلال ولهذا اقدم على محاربتها وهو غير هياب ولا وجل



تاريخ المسكرات عند العرب

واقوال شعرائهم فيها

من تصفح كتب متن العربية رآها اغنى اللغات باسماء الخمر واوصافها واستدل من ذلك على ان العرب كانوا من اشد الناس معاقرة للخمر ومن امهرهم تفشناً في استخراجها وتعليقها فانهم كانوا يستخرجونها من العنب والشعير والذرة والقمح والزبيب والتمر والبسر والكشوث والاثمار على انواعها اي من كل ما يجتمهر كأنهم كانوا يستخرجون السوائل من هذه المواد ويقلونها وييقونها الى حين الحاجة اليها فاذا حفظت من الاختمار شربوها شراباً حلواً والآخر شربوها خمرأ. وكانوا يطيبون الخمر بالافاويه ويعتقونها ويبردونها ويقلونها حتى يذهب نصفها او ثلثها. والادلة قاطعة على ذلك كله في كلمات اللغة وهي اثبت تاريخ وادل دليل فمنها قولهم الصهباء وتفسيرهم اياها « بالخمر المعصور من العنب الايض » وقولهم ابنة الكرم وابنة العنب ونحو ذلك مما يدل دلالة واضحة على انهم كانوا يعصرونها من العنب ولعله كان كثيراً في البلاد التي احتلوها من العراق الى البتراء وهي الآن قفار جرداء

ومنها قولهم الغبراء وتفسيرهم اياها بخمر الشعير والذرة ومنه قول الحريري وزارعاً ذرة حتى اذا حصدت صارت غبراء يهواها اخو الطرب وقولهم الكسيس وتفسيرهم اياه بنبيذ التمر وفي ذلك يقول الباس ابن مرداس فان تسقى من اعناب وج فانتا لنا العين تجري من كسيس ومن خمر وقال ابو حنيفة الكسيس شراب يتخذ من الذرة والشعير

وقولهم البتع وتفسيرهم اياه بنبيذ العسل. وفي الحديث سئل النبي عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام. وعن ابي موسى الاشعري انه خطب فقال خمر المدينة من البسر والتمر. وخمر اهل فارس من العنب. وخمر اهل اليمن البتع وهو من العسل. وخمر الحبش السكركة وقولهم السكر وتفسيرهم اياه بالشراب المتخذ من التمر والكشوث. قال ابو حنيفة السكر يتخذ من التمر والكشوث يطرحان سافاً سافاً ويصب عليه الماء

ونقل صاحب التاج ان عمر فسر الانبذة فقال البتع نبيذ العسل والجمعة نبيذ الشعير والمزهر من الذرة والسكر من التمر والخمر من العنب. ويسمون الشراب المطيب بالافاويه

مطياً او مفوهاً والذي ذهب ثلثاهُ مثلثاً والذي ذهب نصفهُ نصفاً

وكانوا يصفون الخمر بالروقة والصافية ومنهُ قول ابي نواس

قامت بباريقها والليل معتكراً فلاح من وجهها في البيت لآلاء

وارسلت من فم الابريق صافية كأنما اخذها للعقل إغفاء

رقت عن الماء حتى ما يلامها لطافة وخفي عن شكلها الماء

ويجلبونها من بابل وقرطبل وغيرها من شاسع الاقطار قال ابن سناء الملك

شهدتُ بان الشهد والمسك ريقهُ وما كنت لو لم اختبرهُ لاشهدا

وان السلاف البابلية لحظةً والآن سلوا انسانهُ كيف عربدا

وقال المتنبي

سقتني بها القطرُ بُليّ مليحةً على كاذب من وعدها ضوء صادق

ويديمونها في دنائها حتى تصفو وتعتق ومن ذلك سميت بالمدام قال ابن المعتز

اهلاً بفطر قد انار هلالهُ فالآن قاغداً الى المدام وبكر

وبالمدامة قال غنرة العبيسي

ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

بزجاجة صفراء ذات اسرةٍ قُرننت بازهر في الشمال مقدم

وبالمعتقة وهي التي عتقت دهرأ طويلاً ومنهُ قول ابي نواس

معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل دررٍ ما لناظمها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر اصلحه السبك

ويروقونها حتى تصفو ويزول عكرها ومنهُ قول العمري

يدير حياهُ على كل ناظر باقداح احداق مداماً مروّقا

ولا نطيل الكلام في هذا المعنى لان ما ذكرناه منه كافٍ للدلالة على ما قدمناه وهو

ان العرب كانوا يعرفون انواعاً مختلفة من الانبذة وكانوا يعلونها ويشربونها قبل

الاسلام وبعده. ولما جاء الشرع الاسلامي حرّم الخمر مطلقاً وقال انها والا زلام والميسر

رجس من عمل الشيطان لكن العلماء اختلفوا في اطلاق تحريمها قال ابن الرومي

اباح العراقيُّ النبيذ وشربه وقال حرامان المدامة والسكر

وقال الحجازيُّ الشرابان واحد خلّت لنا بين اختلافهما الخمر

ساخذ من قولهما طرفهما واشربها لا فارق الوازر الوزر

وجاء في كتاب المحاضرات للراغب الاصهاني ان الحسين بن موسى استحضر ابن

عباش ابن ادريس فسألها عن النبيذ فقال ابن عباس حلال وقال ابن ادريس حرام فقال ابن عباس ادركنا ابناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونها في الولاثم حلالا كانت او حراماً وبكأؤنا على الدين اشد من بكأئنا على النبيذ

وليس من غرضنا الخوض في هذا الموضوع وانما نقول ان تاريخ الخلفاء من بني امية وبني العباس واكثر الذين جاءوا بعدهم يدل على ان الناس عامتهم وخاصتهم لم يرتدعوا عن المسكر . فقد جاء في المحاضرات ان الوليد كان يشرب يوماً ويدع يوماً وسليمان يشرب في كل ليلة وهشاماً يسكر في كل جمعة ويزيد بن الوليد يدمن الشرب فكان دهره بين سكر وخمار . وكان المنصور يشرب عشية اثلاثاءات والمأمون يشرب الثلاثاء والمعتصم لا يشرب الخميس ولا الجمعة . وكان ابن المعتز لا يشرب الا قليلا ويقول الليل امتع لا يطرقك فيه خبر فاطع ولا سبب مانع والنهار ابرص لا يتم فيه سرور . وقال بشار ما نام واش وغاب ذو حسد فاشرب هنيئاً خلا لك الجو واكثر ابن المعتز من ذكر الشراب في اشعاره ومن قوله فيه اشرب عقاراً كأنها قيس قد سبك الدهر تبرها فصفا ييدي لئام الابريق من دمها كأنه راعف وما رعفا ومنه

أيا عاذلي هلاً اشتغلت بسامع كما انا مشغول بكاس عن العذل
وكان العلماء والفضلاء ينهون عنها ويشددون الملامة على شاربيها وذلك يدل على تهافت الناس عليها والا لم يكن الى اللوم سبيل . قيل حضر نصيب عند عبد الملك ابن مروان فدعاه الى الشراب فقال اني لم اصل اليك بنفسي ولا بحسن صورتي وانما قربت منك بعقلي فان رأى الامير ان لا يحول بيني وبينه فعل وقيل للعباس ابن مرداس لو شربت النبيذ لازددت جرأة فقال ما كنت لاصبح سيد قومي وامسي سفيهم وادخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي وقال الوليد للحجاج هل لك في الشراب فقال « لا يا امير المؤمنين وليس بجرام ما احلته ولكني ا منع اهل عملي منه واخاف ان اخالف قول العبد الصالح وما اريد ان اخالفكم الى ما انها كم عنه » . وسأل الخليفة المنصور ابا بكر الهذلي عن النبيذ فقال تبادت فيه السفهاء حتى كرهته العلماء . وقال الخليفة المأمون اشرب النبيذ ما استبشعته فاذا استطبتة فدعه . ولما وقع الخلاف بين الامين والمأمون كان المأمون يخطب بخراسان بمساوى الامين ويقول في مساوئه وما ظنكم بخليفة يقتني شاعراً ينشد بحضرته جهاراً نهراً في مجلسه هذا القول ألا فاسقني خمرأً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرأً اذا امكن الجهر

ولقد فتحنا كتاب حلبة الكعبت لشمس الدين محمد بن الحسن النواحي عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشحون بما تحمّر منه وجنة الادب ويندى له جبين الفضل. من ذلك ما روي عن حماد الراوية قال «كنت محباً للوليد بن عبد الملك فلما تولى اخوه يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فيينا انا في المسجد الاعظم اذ اتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال اجب الامير فدخلت عليه فقال ورد كتاب امير المؤمنين بمملك اليه وبالباب نحيبان فاركب احدهما ودفع اليّ كيساً فيه الف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن ودخلت عليه فاذا هو جالس في دار مبلطة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز احمر في وسطه قبة حمراء من خز وفرشها وكلما فيها من خز احمر وعلى رأسه جارتان عليهما ثياب حمراء بيد كل واحدة ابريق وفي يد واحدة نبيذ احمر والاخرى نبيذ ابيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد عليّ وقال ادن يا حماد اندري فيم بعث اليك قلت لا قال في بيت شعر ذهب عني اوله فقلت من اي عروض وقافية قال لا ادري الا انه بيت فيه ابريق فقلت في نفسي ان نفعتني الرواية يوماً فلا ان وفكرت ساعة ثم قلت نعم يا امير المؤمنين لعله في قول تبع الياي

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي اما تستفيق

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق

لست ادري اذ كثروا العذل فيها اعدو يلومني ام صديق

ثم نادوا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية اسقيه فسقتني كاساً اذهب ثلث عقلي ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقيه فسقتني الكاس الثانية ولما شربت ذهب ثلث عقلي الثاني ثم استعاد مني الشعر وشرب وقال يا جارية اسقيه فقلت قد ذهب ثلثا عقلي يا امير المؤمنين فقال سل حاجتك قبل ان يذهب الثلث الاخر فقلت احدي الجاريتين قال هما لك وما عليهما ومائة الف درهم يحسن بها سيرك ثم ناوتني الجارية كاساً فشربتها ونهضت وقد ذهب عقلي فعدت الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يوقد والجاريتان ترصان الامتعة والبغال تحمل مالهما من اثاث وغيره واصبحت وقد قبضت المال وانصرفت وانا ايسر اهل الكوفة

ومنه ان الخليفة هرون الرشيد قال للفضل بن يحيى بلغني انه قدم اسمعيل بن صالح وانا اريد ان اراه قال يا سيدي اخوه عبد الملك في حبسك وقد نهأ ان يمضي الى احد قال

فاني اتعلل حتى يأتي عائدًا فقال الفضل لاسماعيل الا تعود امير المؤمنين قال بلى فضى به اليه وكان اخوه قد وجه اليه انهم انما يريدونك لتشرب معهم وتغني لهم فان فعلت فما انت اخي فلما دخل على الرشيد رفعه واكرمه وقال اني وجدت بك راحة واشتهيت الطعام فقدمت المائدة فاكلوا ووصف الطبيب اقداح الشرب فقال الرشيد والله ما شربنا حتى يشرب اسماعيل فقال له اتق الله يا سيدي فان علي ميمناً ان لا افعل شيئاً من ذلك فقال لا بد من الشرب فشرب ثلاثة اقداح وسقاه مثلها ثم مدت ستارة وخرج بعض الجوارى يضربن وبعض يغنين فطرب الرشيد واسماعيل وتناول الرشيد عوداً ووضع في حجر اسماعيل وكان في يد الرشيد سبعة فيها عشر قطع اشتراها بثلاثين الف دينار فوضع السبعة في عنق العود وقال غن وكفر عن يمينك بضمن هذه السبعة فاندفع اسماعيل يغني ويقول

لعمرك ما اهويت كفي لرية ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلي رأيت عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة من الدهر الا قد اصابته فتى قبلي
فطرب الرشيد وقال الرمح يا غلام فعقد له لواء على مصر قال اسماعيل فوليها سنتين
واوسعها عدلاً وانصرفت منها بخمسمائة الف دينار

وفي ذلك كله اذلة قاطعة على ان الامراء والعظماء كانوا يشربون الخمر ولا يتهنون بنهي الشرع وتواريخ العرب مشحونة بوصف الشراب ومجاسسه وندمانه ودواوينهم مملوءة بلاشعار الخمرية مما ابدع فيه الشعراء بوصف الخمر وآنياتها الى ما ارتكبوا فيه مما لا تقدم عليه امة مؤدبة با داب شرع شريف كالامة العربية. ولا يختص ذلك بالمتهمين من الشعراء كابن نواس بل هو شامل لسراة القوم كعبدالله بن جعدان وحسان بن ثابت (قبل الاسلام) وامير المؤمنين ابن المعتز وصفي الدين الحلي وابن السهك وغيرهم

ولم تكن معاقرة الخمر قاصرة على اهل المشرق بل شاعت عند اهل المغرب ايضا ويظهر لنا ان هؤلاء اقبلوا عليها اكثر من اقبال اهل المشرق
اخذنا كتاب نفح الطيب لنذكر منه بعض الشواهد على ما تقدم فوقع في يدنا الجزء الثاني منه ففتحناه فانفتح عند الصفحة ١٦٥ وفيها آيات يقول ناظمها

افدي اسماء من نديم ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا في السهاد منها وهي اعمرى من العجائب
قالوا الرقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكب

وقصة هذه الايات على ما في نفح الطيب ان ابا عامر ابن شهيد حضر ليلة عند الحاجب ابي عامر بن المظفر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ولم تزل تسهر في خدمتهم الى ان هم جند الليل بالانهزام وكانت تسمى اسماء فمجب الحاضرون من مكابدها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع هذه الايات ارتجالاً . ويتضح من ذلك انهم كانوا يشربون الراح من المساء الى الصباح . غفر الله لهم

وفي الصفحة التالية ان الوزير ابا العلاء دخل على الامير عبد الملك رزين في مجلس انس وبين يديه ساق يسقي خمريين من كاسه ولحظه وييدي درين من حبايه ولفظه
وفي الصفحة التالية ان عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة دخل على الامير محمد ابن عبد الرحمن الاموي ملك الاندلس وبين يديه غلام حسن الحاسن فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا فقال عقار ينقد الدنان ويؤنس الغزلان فاستضحك الامير ثم امر بمراتب الغناء وآلات الصهباء

فقلبنا صفحات قليلة فاذا نحن بنونية ذي الوزارتين بن زيدون في ولادة بنت المستنكى الاموي وقد ابدى فيها من الوجد والحنين ما يعذرهُ عليه الشعراء الى ان قال
نأسى عليك اذا حنت مشعشة فينا الشمولُ وغنانا مغنينا
لا اكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيما ارياح ولا الاوتار تلهينا
فوقفنا عند هذا الحد ولم نزد خوف الاطالة على غير طائل ورجعنا عن كتب اللغة والادب واثقين ان الذين كانت بيوتهم عامرة بالجواري والوصائف لم يكونوا يمتنعون عن الراح وان ذوي السعة منهم كانوا يشربونها ويقولون فيها ما قاله عبد الله بن جعدان

شربت الخمر حتى قال صحبي الست عن السفاه بمستفيق
وحق ما اوسد في مبيت انام به سوى الترب السحيق
وحق اغلق الحانوت دوني وآتست الهوان من الصديق
ويصفونها لاخوانهم كما وصفها الصفي الحلي بقوله

خذ فرصة اللذات قبل فواتها واذا دعتك الى المدام فواتها
واذا ذكرت التائبين عن الطلى لا تس حسرتهم على اوقاتها

لكن جمهور العمال والمسترزقين لم يكونوا على دين ملوكهم من هذا القبيل ويقتينا ان العلماء الفضلاء كانوا يتجنبونها ولذلك لم يبلغ الناس من معاورة الخمر في ممالك العرب ما بلغوه في ممالك الروم ولا في ممالك الافريج



وسائل النقل والتلغرافات والتلفونات

في القطر المصري

لحضرة صاحب المعالي عبد الحميد سليمان باشا وزير المواصلات

٢

(٥) التلغراف والتلفون

اما مصلحة التلغراف والتلفون (وفيها قسم للتلغراف « الاسلكي ») فهي جزء من ادارة السكك الحديدية الاميرية ويشرف عليها « مفتش عام » هو مسؤول عن الادارة كلها الى المدير العام . ولقد كانت مصلحة التلغرافات في مصر مرتبطة دائماً ارتباطاً وثيقاً بالسكك الحديدية الاميرية . فاقسام السكك الحديدية المختلفة تقوم باعمال شتى لمصلحة التلغراف تتعلق بالشؤون القضائية والطبية والحسابية وغيرها . ومصلحة التلغراف تقوم بدورها بارسال جميع التلغرافات التي تحتاج اليها ادارة السكك الحديدية . وتم تصفية الحساب المتبادل بين هاتين المصلحتين بتعيين مبالغ (اعتمادات) خاصة في الميزانية السنوية اما في المحطات الصغرى فيقوم عمال مصلحة السكك الحديدية باعمال مكاتب التلغراف

واجور التلغراف في مصر معتدلة جداً واقل اجرة تتقاضاها المصلحة هي قرشان اميريان عن الكلمات الست الاولى مع اضافة نصف قرش عن كل كلمة اضافية تزيد على ذلك اما فيما يتعلق بالتلغرافات الخارجية فالبلاد مقسومة الى منطقتين وفي كل منطقة تحجب ضريبة تعادل خمسة عشر سنتياً ذهباً عن كل كلمة اعتيادية . وجميع خطوط التلغرافات الاميرية تستعمل لنقل التلغرافات باللغة العربية واللغات الاوربية وهي تستعمل رموز مورس مع بعض التوسع فيها باستعمال رموز للحروف العربية التي لا يوجد ما يماثلها في اللغات الاوربية واذا استثنينا جهاز هويتستون السريع وجدنا ان مصر لا تستطيع ان تستخدم في الوقت الحاضر نظام التلغراف الاوتوماتيكي المعروف بالحماسي وهناك اجهزة مزدوجة لارسال التلغرافات البعيدة المدى وهي تتصل بالخرطوم وياقا والقدس وبيروت

وقد عقدت مصر مع شركة تلغرافات الايسترن طائفة من الاتفاقات منحت بموجبها حق امتلاك الخطوط التلغرافية التي تصل مصر بالخارج للشركة المذكورة . وتأخذ الحكومة

مقابل ذلك جملاً معيناً عن جميع التلغرافات التي تنقلها الشركة على خطوطها الخاصة وعن التلغرافات التي تنقلها بالاشتراك. وقد منحت الحكومة شركة ماركوني اذنًا بإنشاء المواصلات اللاسلكية مع البلاد الاجنبية بشروط شبيهة بشروط الامتياز الممنوح لشركة الايسترن . ولشركة ماركوني هذه محطة في ابي زعبل للتلغرافات الصادرة واخرى في المعادي للتلغرافات الواردة

واذا نظرنا الى نظام التلغراف الدولي وجدنا مركز مصر على اعظم ما يكون من الشأن لان مصر نقطة الاتصال بين الشرق والغرب وقد افادت الاجهزة التي انشأتها شركة تلغرافات الايسترن في مصر وفي غير مصر في تسهيل نقل التلغرافات والاسراع بها . ولا حاجة الى شرح ما لمحطة تلغرافات الاسكندرية من الشأن للملاحة . على ان هذه المحطة ليست مقصورة على الشؤون البحرية فقط بل تتناول البر ايضاً . وامام الحكومة الآن عدة مهام (مشروعات) خاصة باستخدام النظام اللاسلكي في داخلية البلاد

اما في مصلحة التلفون فان الهمة تبذل لادخال احدث وجوه التحسين واستعمال افضل العدد والآلات . من ذلك تشييد ابنية جديدة في عدة مواضع . ولن تمر مدة طويلة حتى يعم التلفون الاتوماتيكي مدن القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والسويس والمنصورة . وقد طلب من بعض الشركات الاجنبية تقديم بعض الآلات المطلوبة . اما طنطا وغيرها من المدن الكبرى فستجهز بتلفون من النوع المعروف « بذي البطارية المركزية » . وسيمد خط تحت الارض للمخاطبات التلفونية بين مصر والاسكندرية ويكون هذا الخط تسعة وستين فرعاً . وقد انشئت الصلات التلفونية بين مصر وبعض مدن فلسطين . والوزارة تبحث الآن جدياً في وصل مصر باوربا بالتلفون اللاسلكي . ولا يخفى ان تنفيذ برنامج كهذا يقتضي نفقات عظيمة جداً . وقد انفق في سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ مبلغ ٩٩٧٠٠ جنيه مصري على ان هذا المبلغ سيزيد في السنين المقبلة الى ان تتجزأ اعم اجزاء هذا البرنامج

(٦) ادارة البريد

اما ادارة البريد فهي جزء من وزارة المواصلات ويرجع الفضل في انشائها الى محمد علي الكبير فانه انشأ في اول الامر مصلحة لنقل الرسائل الاميرية ثم انشأت احدى الشركات الخاصة فيما بعد مصلحة صغيرة لنقل الرسائل الخاصة . وفي يناير سنة ١٨٦٥ ابتاعت الحكومة هذه المصلحة واخذت توسع نطاقها بالتدرج الى ان اصبح عدد مكاتب

البريد في القطر المصري في الوقت الحاضر ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلثمائة مكاتب تقوم بأعمال البريد على اختلاف أنواعها كنقل الرسائل الاعتيادية والرسائل المسجلة والمؤمنة والرزم « والحوالات » المالية بالبريد وبالتلغراف وتبادل صكوك (اذونات) البريد البريطانية وترويج الادخار (صناديق التوفير) وهلم جرا . وهناك مركبات للبريد مردفة بالقطارات الكبرى التي تسير بين انحاء القطر

(٧) ادارة الموانئ والمنائر

تشرف هذه الادارة على جميع المنائر المقامة في الموانئ وعلى انسواحل المصرية وهي ايضا جزء من وزارة المواصلات . ويبلغ عدد المنائر على السواحل المصرية عشرين منارة منها خمس من الطراز الاول . وفي ميناء الاسكندرية سبع منائر من جملتها منارة في رأس التين يبلغ ارتفاعها مائة وثمانين قدماً ويرى نورها عن بعد عشرين ميلاً . اما منارة بورسعيد المعروفة عند الكثيرين والتي تمكن رؤيتها عند الدنو من ترعة السويس او الخروج منها فيبلغ ارتفاعها مائة وخمسة وثمانين قدماً ويرى نورها عن بعد اربعة وعشرين ميلاً واقصى منارة في سواحل مصر الجنوبية هي منارة سنجنيد على سواحل البحر الاحمر وهذه المنارة ايضا من الطراز الاول

(٨) الملاحة

ان اقبال السياح على مصر ورواج التجارة في القطر ووقوع البلاد عند ملتقى الشرق والغرب — كل ذلك قد ادى الى اتساع نطاق الملاحة في الموانئ المصرية ويبلغ عدد شركات الملاحة الكبرى التي تسير سفنها بين مصر والبلاد الاجنبية عشرين شركة على الاقل معظمها بريطانية . وقد بلغ عدد السفن التي دخلت الموانئ المصرية في سنة ١٩٢٦ ثمانية آلاف سفينة كان مجموع وسقتها سبعة وعشرين مليوناً ونصف مليون طن . والوزارة تبحث الان في تحسين ميناء الاسكندرية من عدة وجوه . وقد شرعت منذ مدة في انشاء ميناء جديد للسويس

(٩) وسائل النقل والانتقال

وقد اعدت شركة مركبات النوم قطاراً للسفر من مصر الى اوربا بطريق البر وهذا القطار يسير الآن مرتين في الاسبوع من القاهرة الى القنطرة فيخافا لاسانة ومنها الى نفق سمبلون . وسيجعل سفر هذا القطار من القاهرة في المستقبل يومياً

ولا يخفى ان وسائل النقل الجوي تتقدم اليوم بسرعة في جميع انحاء العالم . ولاشك ان مصر ستكون بفضل موقعها الجغرافي نقطة اتصال عظيمة الشأن للخطوط الجوية الدولية

وقد عازمت الحكومة المصرية على انشاء ميناء جوي في الاسكندرية وعلى تسهيل كل ما يحتاج اليه الطيارات الجوية والمائية لكي تكون الاسكندرية محطة للطيارات التي تجتاز البحر الابيض المتوسط والطيارات التي تذهب الى الهند والشرق الاقصى والتي ستطير في المستقبل الى جنوبي افريقيا . وقد بدى بالعمل التمهيدي لانشاء هذا الميناء الجوي وسيبدأ بتشديد المباني اللازمة حالما يتم انشاء الميناء

وقد وقع الخيار على ميدان في القاهرة لجعله ميناء جويًا للطيارات ولكن هذا الميناء لن ينشأ حتى يدل نشوء نظام النقل الجوي على الحاجات التي يجب الاحتياط لها وفضلاً عن ذلك ستنشأ مراسٍ للطيارات المائية على النيل اذا دعت الحاجة الى ذلك . وقد ارسل بعض الشبان المصريين الى انكلترا ليدرسوا فن الطيران المدني من الوجهين الاداري والفني ليتمكنوا في المستقبل من شغل المناصب التي ستنشأ في مصلحة الطيران المدني بوزارة المواصلات

وفي شهر ديسمبر سنة ١٩٢٦ اجازت الحكومة المصرية لشركة المواصلات الجوية الامبراطورية انشاء خط جوي بين مصر والهند على ان تستخدم مؤقتاً مطار الجيش الانجليزي بهليوبوليس . وستقام المحطة النهائية لهذا الخط في المستقبل في مدينة الاسكندرية لتتصل بالخط الجوي الذي يمر فوق البحر الابيض المتوسط الى اوربا وطيارات هذه المصلحة تطير اليوم مرة في الاسبوع من القاهرة الى البصرة وبالعكس والعمل سائر منذ انشاء الخط في شهر يناير سنة ١٩٢٧ بانتظام تام من دون ان يلحق اي ضرر او خطر بالمسافرين او بالبضائع

وامام الوزارة الآن اقتراحات تبحث فيها لانشاء مصلحة للنقل الجوي بين الاسكندرية وايطاليا . ومن المحتمل ان يبدأ في القريب العاجل بالجزء الشمالي من الخط الجوي الذي سيخترق افريقيا من الشمال الى اقصى الجنوب

فترى من جميع ما تقدم ان الحكومة قد سارت على خطة من شأنها ان تجعل نظام المواصلات في مصر كفيلاً بسد حاجات الشعب المصري وحاجات الذين يفدون على مصر وجديراً بنظام المواصلات الدولي المتشعب المناحي والذي تتوقف عليه حياة العمران





متى تُرى الطائرات المصرية حلقة فوق وادي النيل ؟
 بمقتطف يونيو ١٩٢٩
 امام الصفحة ٤٤



نقم القتال نعم السلام

التوسل بالغازات الحربية الفتاكة الى مقاومة الاشرار في زمن السلم . طريقة استخدام الكيماويين في الولايات المتحدة سموم الخنادق لقمع اللصوص وابادة الحشرات واخماد النيران والمعاونة على استتباب الامن العام

حدث منذ بضعة أشهر ان قصدت سيارة ذات قوة كبيرة الى بنك بمدينة في اقليم متوسط من أقاليم غرب الولايات المتحدة — وكان وصولها الى هناك في الغداة بُعِيدَ ميعاد فتح البنك . فوثب من السيارة ثلاثة شبان حسنو البزّة وظلّ رابعهم فيها قابضاً على زمام دولاب تسييرها — وما لبث اولئك الشبان الثلاثة أن اقتحموا ابواب ذلك البنك الدوّارة . وكان صراف البنك الماليّ وقتئذٍ يُنسّق رزماً مرتبة من الصكوك الخضراء المذهبة الظهور — وفيما هو دائب على عمله ذلك إذ رأى شبحاً يخيم على نوافذ سياج حظيره النحاسي ، فشخص ببصره ليستطلع من ذا المقبل عليه لعله عميل أمين فرأى شاباً واقفاً تجاه النوافذ فسأله الصراف حاجته كعادته قائلاً — « عفواً سيدي ! أتريد أداء أي واجب لك ؟ » فبادره ذلك القادم المجهول بأن صوّب غدارته الاوتوماتيكية « اي العاملة بنفسها نحو صدر مخاطبه الصراف قائلاً له بصيغة الأمر الناهي : — « ألا فلتقض الطرف عن هذه الصكوك ، واركها وشأنها »

فوجم الصراف هنيهة ولم يسعه في أنفائها إلا أن عمد في الحال الى زر كهربائي كامن تحت الطبقة الرخامية لناقذة المعدة فضغطه بقدمه ضغطاً شديداً ، لم يحدث صوتاً ولا صياحاً ولا صفيراً ولا جلجلة كاتقي تحدث من الادوات والاجراس المنبهة وانما نجم عنه تواء غمامة قائمة خيمت في سماء المصرف كأنها ضبابة دخان التبغ — فسعل الاص في الحال واغرورقت عيناه بالدموع وحينئذٍ ألقى بغدارته على الارض صاغراً وأخذ يمسح عبراته بيديه كتيههما . وما عم ذلك الشرير أن ولول واستغاث برفيقه الوغدین قائلاً « وبحكما لقد أصبت بالعمى » فلم يسعهما نجدة لانهما شغلا عنه بمسح عيونهما المتألّمة أيضاً وعندئذٍ أخذ اللصوص الثلاثة في التسكع حتى وصلوا الى باب المصرف إذ كانوا طوراً بصطدمون بالمنضدات ، وتارةً بالاثاث الثابت بالردهة ، مستمرين على مسح عيونهم وتلمس طريقهم حتى وافاهم الشرطة حيث اقتحموا ابواب المصرف وكبّلوا اللصوص الثلاثة بالاغلال

فسلموا أنفسهم طائعين . وما أفاقوا واستعادوا أبصارهم بعد نصف ساعة في مركز الشرطة حتى شعروا بالتهاب طفيف في عيونهم وعرفوا أنه لم يصيبهم غير ذلك من الأذى . فتساءلوا قائلين ماذا حداكم على المجيء بنا الى ههنا ؟ « فاجابهم ضابط برتبة جاويز . وهو يستشيط غضباً — « أيها الارذال لقد دهمكم بعض الغاز المسيل للدموع فحتمونا مولولين كالاطفال »

اذن كان إخفاق مشروع هذا السلب من ذلك المصرف دليلاً على فلاح خبراء مصالحة (الكفاح الكيماوي) التابعة لجيش الولايات المتحدة في استخدام الغاز الحربي السام لنفع الانام في أزمان السلام . ويرأس المصلحة المشار اليها القائم مقام أموس ا . فرايز وقد نجحت ثلثه نجاحاً باهراً في أعمالها إذ سخرت الابخرة السامة ومرشات الغاز التي خلفتها الحرب العظمى في عشرات من وجوه الخير العام

ومما قاله الجنرال فرايز لكاتب هذا المقال الاميريكي في فوائد الغازات السامة : — « لقد شرعت البنوك وجماعة الجوهرين في اميركا تعد المعدات سرّاً لتركيب أجهزة الغاز المثير للدموع في عماراتها بحيث يكاد يستحيل على الرأي ، وان يكن نقاداً الاهتداء الى فوهات الانابيب التي ينساب منها ذلك الغاز لانها مستكنة بحذر كي تتوارى عن العيان باختلاطها بنضائد الحجر التي تودع فيها . ويمكنك ان ترى في بضع ثوان ذلك الغاز منتشرّاً في المكان المراد وقايته من المهاجمين فيخفق بانتشاره كل مشروع يقصد به السلب والنهب ، وقد أخذت جماعتنا على عاتقها ارشاد البنوك والاندية الى أجود أصناف الغاز الذي يستعمل لهذا الغرض وابطاح أمثل الطرق لاستعماله »

بيد أن الاجهزة التي يتذرع بها لوقاية العائلات تختلف كل الاختلاف عن غيرها . فان كانت الدار مثلاً واقعة في أحد الاقاصم الغربية بالولايات المتحدة أو بقرب نبع غاز يسهل على ربة الدار استعمال الغاز الطبيعي في طهو طعامها بموقد الطبخ الغازي في مطبخها من غير ان تتعرض لخطر استنشاقه لان رائحة الغاز الطبيعي القالت لا تخفى على أحد . ولكن أنواع الغاز الصناعي الكثيرة الاستعمال في أيامنا هذه هي نفسها غاز سام وهذا كلما قلّ فوح رائحته تفاقمت أخطاره . وكمن حوادث ثابتة تدل على أن السيدات اللواتي أصبن بالغيوبة في أثناء قيامهن باعداد الطعام كنّ يجهلن أن ريحاً هوجاء هبت فاطفات اللهب المتولد من فوهة أنبوب الغاز فانتشر الغاز في المطبخ واستنشقه السيدة وهي لا تدري . وهذا هو الخطر المقيم الذي تكفلت مصلحة الكفاح الكيماوي بالقضاء عليه

أما الغاز الذي يثير العطاس فركب يهيج أغشية الانف ، أُنسب في غضون الحرب الكونية وانجبت إليه أنظار الجماعة الكيماوية الآتفة الذكر. وهذا إذ استعملت منه مقادير طفيفة فلا ضرر منه . وعملاً بأرشاد مصلحة الكفاح الكيماوي قد شرعت شركات الغاز الصناعي في اضافة مقادير ضئيلة من الغاز المعطس الى كل ألف قدم مكعبة من الغاز الصناعي المستعمل وقوداً . وبناءً على ذلك يقول الجزال فرايز « ومن الآن فصاعداً اذا تركزت فوهة أنبوب غاز مفتوحة خطأ من غير ان تكون مشعلة احدث الغاز المعطس المضاف الى غاز الوقود ، عطاساً حاداً يندر العاطس بالخطر الذي يهدده . وعلاوة على ذلك قد يتنبه من تأثيره الاشخاص النيام فتضاعف منافعه بهذه الطريقة وسبب ذلك أن الغاز المعطس اذا احترق لا تفوح منه رائحة الغاز

واستنبطت جماعة الكفاح الكيماوي غازاً آخر اسمه الغاز الظرباني نسبة الى الحيوان المتن المسمى بالظربان فاخذت شركات الغاز في استخدامه كمنبه ينبه على النضح الذي يحدث في الانابيب . وهذا لاخطر منه البتة . ورأى خبيثة ولكنه اذا احترق زالت تلك الرائحة الكريهة منه . وبناءً على ذلك يعتبر من الوسائل التي تثبط عزائم الشارعين في الانتحار بفتح انابيب الغاز الصناعي واستنشاقه منها فتحملهم الرائحة الخبيثة عن المضي في تنفيذ عزمهم الا اذا كان معتمد الانتحار من اشد الناس يأساً من بؤس الحياة فينتحر باستنشاق الغاز السام غير مهم بالرائحة الخبيثة التي تفوح منه

ووقع من عهد قريب ان شنت الارانب البرية الغارة على الضياع في الاقاليم الغربية من الولايات المتحدة فهب اصحابها لمقاومتها وقاية لمزروعاتهم من غائلتها فباءوا بالخسران وحينئذ تجلس فائدة جديدة للغاز السام — إذ شاهد اولئك الفلاحون غلات اراضيهم تلهمها الارانب فاستغاثوا من شرها برجال الحكومة المتخصصين لدرء الآفات الزراعية فأصاخ هؤلاء لشكواهم واتفق وقتئذ أن كان لدى جماعة الخبراء الكيماويين مقدار يسير من غاز الخردل . وهو الغاز الرهيب الذي استخدم في الحرب الكبرى حيث كان يحرق رئات الذين ينتابهم من جنود الاعداء بتجفيفها . وبأشر الزراع بكل حذر رش الحقول حيث توجد آثار اقدام الارانب بمرشات مملوءة بغاز الخردل تحت اشراف اولئك الخبراء . وما سقط ذلك الغاز على الارض حتى تحول نقطاً صغيرة كأنها قطرات الندى . وجاءت الارانب كعادتها للانتجاع سائرة في سبيلها المطروقة من قبل التي رُش عليها الغاز الخردلي فلصقت قطراته بقوائمها فلعقتها كدائها فهلكت . فزال بهلاكها « غائلة الارانب » ولما وضعت الحرب اوزارها خلفت من معداتها مقادير كبيرة من غاز الهيدروسيانك

أي البروسيك « غاز سام مركب من الهيدروجين والكاربون والنيتروجين بنسب متساوية »
 قرأى الخبراء الكيماويون الاستفادة بها في زمن السلام — وهذا الغاز ذو خاصيات مهلكة
 تبيّنت في القنابل الفرنسية في خلال الحرب العالمية وهي احدث شلل في الجهاز العصبي
 يتبعه الموت الزؤام — وهاتيك الخصائص نفسها هي التي جعلت ذلك الغاز مطهراً عظيماً لتطهير
 بواطن البواخر بطريقة التبخير — تطهيراً مفيداً من كل الوجوه الاً وجهاً واحداً — لانه
 يقتل الفيران وما يعلق بفرائها من البراغيث التي تنقل جراثيم الطاعون والحمى التيفوسية
 ولكن واأسفاه قد حدث منه ذات مرة ما لم يكن في الحسبان — واليك البيان :

قدمت من اوستراليا في يوم ما باخرة فرضة سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة
 وعند وصولها صعد اليها أحد مفتشي مصلحة الصحة العمومية ليستوثق من العمل بالقوانين
 الموضوعة لتطهير البواخر بالبخار — وما انقضت بضع ساعات على قيامه بمهمته وتحققه
 من نفاذ الانظمة الصحية كالمراد حتى عثر عليه ميتاً واأسفاه في جوف الباخرة وظهر ان
 سبب الوفاة وجود آثار من غاز الهيدروسيانك — وهذا ليس له خصائص تم على
 وجوده في المكان الذي يطلق فيه فتسمم المفتش وقضى ضحية للواجب

وحدثت عدة وفيات من هذا السبب فلم يسع الجنرال فرايز الاً مزج غاز
 الهيدروسيانك القتال بأحد انواع الغاز المثير للدموع وهو كلورور السيانوجين ثم جرب
 تجارب شتى في مراكز الجيش ومخازنه حتى ايقنوا من فائده للغرض المقصود فمهدوا
 الى مصلحة الصحة العامة استعماله في السفن فصار استعمال انغاز الهيدروسيانك مأمون
 العواقب اذ انه يدل على وجوده بنفسه في حينه باثارة الدموع وهذه نذير للنجاة. هذا
 فضلاً عن استخدام غازات القتال السامة لابادة الحشرات التي تلثم المزروعات. وما
 يروى في هذا الصدد : ان جندياً محنكاً يسمى چونسون تهيأت له فرصة تمكن فيها من
 الاعراب عما يخالجه من الاطباب في مدح ذلك الغاز اللعين وهو عينه الذي كان يتأوه
 منه في ميدان الحرب . وتفصيل الخبر ان هذا الجندي اصيب باحتقان رئوي فاستصوب
 ديوان الجنود القدماء مكافأته على بلائه في الخدمة الحربية الطويلة فمهد له سبيل الفلاح
 بالسفر الى جزائر هواي حيث يباشر استغلال اشجار الاناناس ففعل . وحدث انه لما
 بلغ تلك الجزيرة وطفق يعمل في الزراعة ناء بمشاقها لان رأس ماله كان زهيداً وجابت
 حاصلاتها مخيبة لآماله وكابد زملاؤه ما كابد من الشقاء فجأروا بالشكوى الى كباولي
 الحكومة مسترشدين بهم الى انتاج اقوم المناهج لاستغلال اراضيهم ففحص الخبراء الشكاوى
 فاستدلوا منها على مكان الداء فاذا هي طفيليات سماها الكيماويون (نيماتود) تغشى جذور

اشجار الاناناس فتمتص عصاراتها الحيوية فتذوى ثم تموت
 فاستورد الكيماويون من واشنطن طائفة من الاسطوانات المحتوية على غاز
 الكلورويبيرين المضغوط وهو صنف سريع التبخر من الغاز المثير للدموع وهو الغاز الذي
 طالما تألمت منه عينا صاحبنا چونسون في القتال بالميدان الغربي فأرشدوا الزراع الى رش
 بعض قطيرات منه حول جذور كل شجرة اناناس فما كادت النواحي الجذرية أن
 ترعرع حتى هلك ما كان فيها من الطفيليات. وعقب هذه العملية ان جاد محصول الاناناس
 وقال الجنرال فرايز « وانا نخو هذا النحو في استخدام المواد الكيماوية لآبادة
 دودة القطن التي تلتهم اللوز وكذلك الحشرات التي تفتال الفاكهة من البساتين ، متوسلين
 الى بغيثنا هذه بالطيارات فتقوم برش مساحات واسعة من الاراضي المصابة بمرشات من
 الطراز الذي استخدم في زمن الحرب لاحداث غمامات الدخان

« ولدنا اختراع آخر وهو الغاز السام المستعمل لوقاية دعائم احواض السفن من
 نخر الديدان البحرية . وهذا يتركب من الكريوزوت والغاز الحربي السام المسمى
 (ديفني — لاميني — كلورارسين) ونحوهما من المواد الكيماوية المتعددة

واسفرت التجارب التي قمنا بها في الدعائم التي عولجت بهذا السائل عن كونها تبقى
 سليمة من ان تخربها الديدان مدة ثلاثة اعوام اي من عهد اجراء التجربة الى حين كتابة
 هذه السطور — وقد استنبطت مصلحة الكفاح الكيماوي حديثاً دهنأ ساماً آخر لصيانة
 قعور البواخر من الدويبات البحرية التي تعيش لاصقة بها

واستطرد كاتب المقال الانكليزي فقال : — ومن اغرب ما ابغني إياه الجنرال فرايز
 قوله « إننا على اهبة استخدام الطيارات لرش الغاز السام من الجو لاطفاء الحرائق »
 وقد حملهُ على ذلك انه لما طاف في الصيف الماضي في الاقاليم الغربية بالولايات
 المتحدة وشاهد الدمار التي تحدثه الحرائق في الآجام والحراج هنالك وظهر له أن
 الاجهزة الحالية المستعملة لمقاومتها غير كافية بالمرام — تذكر في الحال أنه في نهاية زمن
 الحرب قامت مصلحة الكفاح الكيماوي باختراع مرشة غازية تعلق بالطيارات لرش جنود
 الاعداء بغاز الخردل بمقادير كبيرة فجاءت الهدنة مانعة لاستعمالها في الميدان الغربي كما كان
 ينتظر فظلت تلك المرشات الحديثة الصنع لدى المصلحة بلا جدوى . قال الجنرال فرايز
 « وزى الآن الاستفادة منها بأن نشحنها بسائل مطفئ للحرائق مثل تيترا كلورور
 الكربون وهو السائل المنزلي المؤلف المستعمل لاذابة الادران — وهذا عند ما تبخر تتكوّن
 منه غمامة غازية لا تؤثر فيها النار فتخمد اللهب ، فاذا ما تسنى لمصلحة الغابات تجهيز

اثنى عشرة طائرة برشات من هذا الطراز استطاعت تقليل عدد الحرائق الى ادى حد .
ولقد تبين لي من البحث ان الطائرة التي تحمل مضخة اطفاء الحريق قد تكون عند ابلاغها
نبأ شوب الحريق طائرة على بعد مائة ميل او مائتي ميل مثلاً فتقصد في الحال الى مكانه
وتحلق على ارتفاع ملائم كي لا تندلع اليها أسنة الهميب فيتاح لها اخماد الحريق بالمضخة
بما ينهر منها من القطرات الكبيرة التي لا يستطيع الهواء تجزئها فتطفئ النار اطفاء تاماً في
بضع ساعات على حين ان الوسائط الحالية لا تتمكن من اخمادها الا في بضعة ايام . آه منقولاً
عن مجلة العلم العام الاميركية

وكان الكلور اول الغازات السامة التي استعملها الالمان في ميادين القتال ثم جعل
بعدئذ اساساً بنيت عليه انواع مختلفة من الغازات السامة الاخرى . والكلور غاز ثقيل
اخضر ضارب الى الصفرة له رائحة خائقة فاذا استنشق في مقادر قليلة اضر بانسجة الحلق
والرئتين وشعاهما واذا استنشقت منه مقادير كبيرة كان سبباً للموت . ولذلك استعمل
في القتال لابطال جنود الاعداء

على ان له صفات اخرى تجعله من افيد العناصر في الصناعة . فهو من اقوى المطهرات
اذا اضيف الى الماء قتل ما فيه من ميكروبات الامراض واذا اضيف قليل منه الى الماء
الذي ترش به الشوارع قتل ما يكون فيها من الميكروبات ايضاً . وهذه الصفة جعلت
الاقبال عليه عظيماً لاستعماله في تطهير مياه المدن من الميكروبات . ففي اميركا الآن ٢٥٢٥
مدينة وبلدة بمجموع سكانها يزيد على اربعين مليوناً يستعملون الكلور لتطهير الماء الذي
يشربونه وكان من أثر ذلك ان قلت وفيات التيفوئيد فيها نحو ٧٠ في المائة عما كانت عليه
قبل الحرب الكبرى . واما في الارياض حيث لم يستعمل الكلور لما استعمل له في البلدان
المشار اليها فتوسط الوفيات بالتيفوئيد لم يقل الا نحو ١٠ في المائة . وكان كلوريد الجير
يستعمل قبلاً في تطهير المياه فيقلت منه الكلور ويفتت بالميكروبات اما الآن فيستعمل
الكلور السائل . ومما يستعمل له ايضاً تطهير مجاري العواصم الكبيرة قبل اطلاقها في بحر
او نهر فتؤمن كذلك مغبتها . كذلك يستعمله اصحاب المدافع في ازالة الروائح الخبيثة والقائمون
على صحة الفرض البحرية لتطهير مياه الشواطىء حيث يستحم الناس . وكل مستشفى حديث
يجب ان تكون فيه اسطوانة من غاز الكلور تستعمل في صنع سائل خاص لتطهير الجروح .
وغاية احدى التجارب التي تجرب الآن استعماله لحفظ اللحوم والثمار من الفساد



اركان التفكير الصحيح

اساليبه و عيوبه

ليس اليق بالانسان ، على ما اعتقد ، من نعتيه بنعت الحيوان المفكر . فليس هنالك ، على التحقيق ، من صفة مفردة تجعل الانسان يقف هذا الموقف المنعزل وتميزه هذا التميز الواضح المعالم ، في عالم الحيوان ، كهذه الصفة — صفة التفكير . واختلافه فيها عن الحيوان هو اختلاف كيف لا اختلاف كم ، على ضد باقي الصفات التي يشترك فيها والحيوان على درجات من التفاوت . فالانسان ليس بالحيوان الاجتماعي الفذ ، كما يريد البعض ، وهو ليس بالحيوان الناطق الوحيد ، كما يريد البعض الآخر ، فان كثيراً من الحيوانات له ، على وجه التعميم ، شيء من احدى هاتين الصفتين او من كليتهما قل او كثر هذا الشيء . اما ان الانسان هو الحيوان المفكر الوحيد فهذا لا شك فيه . على ان هذا لا يعني ان كل انسان ، بحكم الضرورة ، يفضل الحيوان من هذا القبيل . فان كثيرين ممن سقمت افهامهم واعتلت مداركهم يقفون مع الحيوان عند درجة الادراك الحسي ، فلا يفضلونه في شيء ، ويفضلهم في اشياء . وثم فئة اخرى لا تحب ان تجسّم نفسها مشقة التفكير الصحيح فتسير في ادمت الطرق والين المسالك ، وهو ضعف شائع في كثير من الافراد والطبقات . ولكن بالرغم من هذا كله فان الانسان يظل ، بما اختص به من مواهب التفكير ، كائناً منعزل النظر . فالبحث في التفكير بحث في اسمى الصفات الانسانية واجملها خطراً

اسلوبان للتفكير

التفكير من حيث الاسلوب ، على نوعين : التجريبي والعلمي . اما الاسلوب التجريبي فهو الاسلوب الذي سار عليه علماء الشرق القديم عصوراً طويلة . وهو علة البطء في تقدم العلوم طيلة هذه العصور بالقياس الى اتساع المدة . ان علماء الشرق استطاعوا التنبؤ عن اوقات الخسوف والكسوف ، ولكن دون ان يدركوا العلة الطبيعية لذلك ، وقدروا ان يضبطوا الى حد كبير من الدقة ، حركات القمر والشمس والسيارات ، ولكن دون ان يفقهوا ذلك النظام الشامل الذي يهيمن على حركات هذه الاجرام . وقد اهتدى هؤلاء العلماء الى هذه الحقائق من الملاحظات المتكررة بتكرار هذه الظواهر . فالراجح الذي يهدي اليه الاستقراء انهم لم يتمكنوا من تعيين اوقات الخسوف

والكسوف الا بعد ان تكررّت هذه عشرات المرات ، ولذا فلم تكن معرفتهم في هذا الشأن نتيجة للدرس المنظم والتنقيب العلمي ، بل نتيجة للمصادفة والمشاهدة المجردة عن التفكير المبني على مقومات اذا اجتمعت لا بد ان تؤدي الى نتيجة معينة كما هو معلوم وكان علم الطب يسير على هذه الطريقة فقد علم الاختبار وطول الممارسة اطباء هذه الطريقة ماذا تكون النتيجة لبعض الامراض دون ان يفقهوا لذلك سبباً تركن اليه النفس

هذه هي الطريقة التجريبية وهي وان صدقت في كثير من الاحيان لها عيوب كثيرة. فهي توجب ان يكون كل ما يتكرر حدوثه بعد حدوث امر آخر نتيجة لازمة له ، وناشئاً عنه مباشرة ، في حين قد يكون السبب الحقيقي غير ما يظن انه السبب مثال ذلك أنه لعهد قريب كان الاعتقاد السائد ان حمى الملاريا ناشئة عن هواء المستنقعات ، وذلك لما كان يرى من شديد الصلة بين وجود المستنقعات في قطر ما وتفشي هذا الداء فيه . والامثلة من هذا النوع كثيرة في عالم الطب وغيره . ومن عيوب هذه الطريقة انها تقود الى الكسل والحمول . وتأثيرها السيء في الدماغ يفوق خطورة تأثير النتائج المغلوطة التي قد يتوصل اليها العقل عن طريقها . وذلك ان التفكير بحسب هذه الطريقة يسير في جادة واحدة في جميع الاحوال المتشابهة ، مما ينتهي بزوال المشقة التي كانت ترافق التفكير في ادواره الاولى ، على نحو ما يفعل النهر في تكوينه اذ يكون في بدء تكوينه محتاجاً الى العنف والقوة حتى يشق له طريقاً في الأودية والسهول ثم يأخذ يسير سيراً هادئاً بطيئاً . وما يرافق هذه الطريقة البطء . فانا اذا كنا لا نود تقرير قواعد الكسوف والكسوف الا بعد ان تكررّت هذه عشرات المرات فانا نحتاج الى وقت كثير وصبر طويل للوصول الى النتيجة التي يحصل عليها الفلكي في هذه الايام في بضع دقائق باستعمال حساباته الدقيقة وقواعده الشاملة

﴿الاسلوب العلمي﴾ ما هي اركانه وما هي مقوماته ؟ هذان سؤالان اذا احبنا عنهما نكون قد رسمنا صورة مجملة لهذا الاسلوب الذي يصح ان يطلق عليه اسلوب العلم الحديث كالأسلوب التجريبي ، يبدأ هذا الأسلوب بحاجة تلمس ، او وضع يرغب في تغييره او ظاهرة يراد اجتلاؤها ، او هدف يسعى اليه . ثم يتلو هذا سلسلة من الجهود تصرف في الدرس والتنقيب وجمع الحقائق التي يرجى ان تعد الطريق للوصول الى هذه الرغائب ومن ثم يرى هل فيما جمع وما درس ما يصح ان يكون اساساً لغرض او تصحيح او نظرية او غير ذلك من ضروب الاستنتاج . فاذا وفق الى شيء من ذلك ، فانا ننقل الى دور التطبيق وهو ان يؤتى بالاستنتاج ، ويرى ماذا يمكن ان يحدث اذا طبق تطبيقاً فعلياً على احوال محسوسة فاذا اختبر هذا الاستنتاج وكانت نتائج الاختبار كالمتوقع فيحكم بصحة

الاستنتاج أو أنه أكثر تعقيداً مما كان يظن ، أو ان الاستنتاج كان خاطئاً في ذاته ولكي تؤمن مغبّة الزل في التفكير على هذا الأسلوب يجب ان تتخذ جملة احتياطات منها ان يعيد النظر في الاستنتاج اشخاص غير الذين وصلوا اليه لا ول مرة ، فيرى مقدار ما بين النتائج التي توصل اليها الباحثون جميعاً من التشابه ويكون ذلك مقياساً لصدق الاستنتاج ومن هذه الاحتياطات ما يدعى بالاختبار المقيد وذلك ان يجتهد ، لدى اجراء الاختبار لقياس صحة الاستنتاج ، في ابقاء جميع العوامل التي يتكوّن منها هذا الاستنتاج ثابتة ما عدا واحداً ، فتلاحظ عندئذ نتيجة التغير في العامل الواحد بوضوح اتم مما لو كان الاختبار تتغير فيه جميع العوامل في وقت واحد . ومما يحتاط به ايضاً ان يعيد الاختبار شخص غير المختبر الأول ، فينظر في النتائج التي وصل اليها كما انه يجب الا تهمل ما يظهر لنا من شذوذ في طبيعة الاختبار ، مهما يكن نوعه ومهما يكن طفيفاً فقد يكون هذا الشذوذ ناجماً عن عامل غير الذي يظن انه سبب للنتيجة الاجمالية

مما تقدّم يتضح لنا ان الاختبار هو اهم دعامة في الاسلوب العلمي ، بل هو على الحصر الاسلوب العلمي بذاته . واهميته تظهر جلية من ان كثيراً من النظريات التي كانت تظن انها خالدة قد دكت دكا لدى عرضها عليه . مما يحكى عن اديسن انه كانت له ثلاثة آلاف نظرية مختلفة في الضوء الكهربائي ، وكل من هذه النظريات كان يبدو معقولاً بمحد ذاته ولكن حينما كان يسلط على احدى هذه النظريات نار الاختبار كانت تذوب كما يذوب الثلج في وهج النهار ولم يثبت على الامتحان الا نظريتان من كل هذه النظريات فتأمل

عوائق التفكير الصحيح

اذا شئنا تعداد هذه العوائق واحداً واحداً يضيق بنا المقام ، ولذا فاننا سنقتصر على ذكر ما نظنه الاهم منها . من هذه العوائق خطأ القضية المراد بحثها خطأ اساسياً فقد يطلب منك تحليل ظاهرة لا اساس لها او حل معضلة مبنية على خطأ في المشاهدة ، فتنشأ تمحل من التفاسير لايضاح هذه الظاهرة ، وتجرب من الحلول لحل هذه المعضلة ما يستغرق وقتاً طويلاً ، ويستنفد منك جهوداً كثيرة على غير طائل وكثيرون يذكرون قصة الملك شارل مع الجمعية الملكية حينما سأل اعضاءها في السبيل الذي من اجله لايزيد ثقل السمكة المائنة في ثقل الدلو العائمة فيه فشرع اعضاء الجمعية من حينهم بحثون عن السبب لهذه الظاهرة العجيبة بكل جد وورصانة والعائق الآخر هو التصلب في الرأي . وضرر هذا العيب الفكري لا يقف عند حد . ان المصاب به يصم اذنيه عما لا يوافقه من آراء ومعتقدات ، وان تكن صحيحة ، بل هو يعدو ذلك الى ان المصاب به يصعب عليه ادراك تلك الآراء والمعتقدات ادراكاً صحيحاً .

ذلك ان المتصلب في آرائه يصعب عليه ادراك مواطن الضعف في هذه الآراء — على حد قولهم : عين الحب عمياء — كما انه لا يمكنه ان يدرك مواطن الاجادة في آراء غيره . وما يصحب هذا العيب انه يملكنا غير شاعرين به ، فقد يتوهم أحدنا انه من اكثر الناس تساهلاً في آرائه ، ومن أنزلهم على حكم العقل ، وهو مع ذلك تجده من اشد المحافظين ومن اكثرهم تصلباً في آرائه . ومن هنا ، على ما اعتقد ، ما تراه في قوم يدعون الى التجديد ، وهم من اشد الناس محافظة واكثرهم جمود فكري . والتصلب في الرأي يُفسّر من وجهة بسيكولوجية في ان رد الفعل الواحد اذا طال تكررّه يتركز أثره في ذهن الانسان بما يحدثه من تغيير في خلايا الدماغ . فتعذر ازالة هذا الاثر . ولعل هذا هو سر المحافظة والرجعية في المتقدمين في السن

ومن عوائق التفكير الصحيح ايضاً عدم المقدرة على تأجيل الحكم في شأن من الشؤون قبل ان يغدو تام الجلاء . وخطورة هذا الشرط تبدو واضحة من ان كثيراً من الاخطاء الفظيعة ، في مختلف العلوم والفنون ، كان ناشئاً من عدم المقدرة على تأجيل الحكم . وتلك طبيعة مركوزة في الانسان لا يطبق عليها صبراً . ففي الانسان شهوة عنيفة ورغبة مُلحّة في تفسير ظواهر الطبيعة على الشكل الذي يتلائم ومعتقداته وتركن اليه نفسه وليست هذه صفة الانسان الحديث فقط ، بل هي احدى صفات اجداده في اقدم اطوار حياتهم ، حينما نسبوا البرق والرعد الى غضب الالهة ، والمطر والخصب الى رضاها وثم مصدر آخر للخطأ في التفكير وهو الجري مع الالهواء ، فقد تكون من الزكاة وحصافة الرأي على شيء كثير ، لكن حكم العاطفة قد يصدك في مواقف كثيرة عن استثمار مواهبك في الطريقة المثلى وعلى الوجه الأصح

والتعويل على ارباب الشهرة مصدر آخر للخطأ في التفكير ! فقد ترفض رأياً صائباً لاحد الاوساط لا لعلّة الا ان احد الفصحاء قال ما يخالفه . وما نقرأه في كتب التاريخ عمن لا قوا من الاضطهاد اشدّه ، ومن التعذيب آلمه ، بسبب جهرهم بما يخالف ما قاله ارسطو وغيره من قدماء الفلاسفة والمعلمين ، شيء كثير

وعيب آخر هو الميل لتقدير قيمة الفكرة بنتيجتها . يحكى عن قولتير انه عند ما وجدت بعض الاسماك المتحجرة في جبال الالب هاجهاً ، لظنه ان ذلك قد يكون اثباتاً لما جاء في العهد القديم بشأن الطوفان ، مما الجأ الى تفسير السبب في وجود هذه الاسماك في ذلك المكان تفسيراً مضحكاً ، وذلك بقوله : اما السياح قد اتوا بها الى هناك ولا حوال الشخص الصحيحة اثر اي اثر في توجيه تفكيره . فالسقيم لا يمكنه ان يرى

الاشياء في وضعها الاصلي ونسبتها الطبيعية. وهذا مشاهد جلياً في المستشفيات والمارسنان ودور العجزة . ومما يذكر في هذا المقام هو ان اكثر المتشامين لم يكونوا في صحة جيدة وان طائفة كبيرة منهم كان مصاباً بعمى والسكر والعمى وغير ذلك ومن العيوب الشائعة في طرائق التفكير — على الاخص في هذا العصر — الحكم على الكتاب بمقدار ما يحويه من حقائق — ايّا كان نوعها . وعلى هذا فكتاب يؤلف في فن السباحة او فن الطبخ يستحق من عنايتنا أضعاف ما تستحقه الياذة هوميروس وروايات شكسبير وأشعار المعري !! كلا ! ليس الامر كذلك ، بل ان افضل ما يفيد المرء من قراءة المؤلفين ليس اختراجه مواد كتبهم في الذّاكرة للباهة بها ، كما يفعل عدد ليس بالقليل من مطالعي الكتب ، بل ان يتعود أساليبهم في التفكير وكيفية معالجتهم لموضوعات درسهم — هذا إذا كانوا ممن يصح الاقتداء بهم . فإذا كنت تقرأ لا ليقال عنك انك انسكويديا متحركة ، وكان من تطالعهم بعيد الغور ، نافذي البصائر ، فأحر بك ان تكتسب هذه الصفات منهم ، لكن بالتأثير وليس بالانتقال ، كما لو أدت قضية مغنطاً من آخر لا مغنطيسية فيه ، دون ان تلمسه به ، فتصبح طريقته في مهاجمة الموضوعات طريقته ، وتطبع أساليبهم في ذهنك ، وقوتهم ، الى حد ما ، تضحي قوتك فكما انك اذا حاولت ان تترسم جباراً في مشيه فتعود الخطو خطأً واسعاً ، كذلك القارئ الذي يتبع المؤلف الفذ يجد نفسه أوسع خطأً في عالم الفكر

وآخر ما نذكره من عيوب التفكير هو ان كثيرين لا يضعون لتفكيرهم هدفاً جلياً ، بحيث يكون كل جهدهم يأتونه مما يساعدهم على بلوغ هذا الهدف ، بل تراهم يندفعون هنا تارة وتارة هنالك كالفينة تقاذفها هوج الرياح . فقد يعنى بال أحدنا ان يكتب شيئاً ، ولكن لا يدري حول اي شيء يكتب هذا الشيء ، فيذهب يكدّ الذهن ويقلب الكتب على خلاف طائل . على ان جلاء الهدف وحده لا يكفي لكي ينتفع المرء باقصى ما لديه من جهد ، فان تقدير المدى لهذا الهدف امر آخر يستحق ان يعطى من عنايتنا اكبر قسط . فالواقع ان هناك اناس لا يحسنون تقدير ملكاتهم بدقة : فهم بين ان يرفعوا اهدافهم الى حد لا يكون بطوقهم ان يصلوا اليه مهما جهدوا ، أو ان ينزلوها الى حد لا يستفز اقصى قواهم ، ويلوح لي ان التمرين المتواصل هو خير ضامن لا يقاف المرء على سعة الحيز الذي يمكنه ان يشغله في أي شأن من شؤون الحياة . وقد يؤخر التمرين الزمن الذي تستوفي فيه الكفاءة حظها من النضوج ولكنه لا بد بالغ بها حدّاً معيناً لا يكون لها مضطرب الا فيما هو دونه ، فلا تتخطاه أبداً



هل للنبات احساس نابض ؟

مسألة علمية خطيرة

بين بوز العالم الهندي وبرسن العالم الاميركي

الاستاذ السر جاغادس بوز الهندي مدير معهد البحث العلمي المنسوب اليه في كلكتا من اشهر علماء العصر واكثرهم استرعاءً للانظار لانه استنتج بالامتحان ان في النباتات اعصاباً تتأثر بالمؤثرات كاعصاب الحيوان. فقد وجد مثلاً ان السنط الحساس يشعر بالكهربائية ولو كانت عشر ما يلزم لشعور الانسان بها. وتختلف سرعة شعوره باختلاف الاحوال فاذا برد قل تأثره واذا اصابته مادة مخدرة انقطع تأثره الى ان يزول المخدر فيعود كما كان. وعنده ان هذا يدل على ان الشعور عصبي لا ميكانيكي. وقد تمكن من تحقيق ذلك بواسطة الآلة الدقيقة التي استنبطها للبحث في حركات النبات. فقد وجد بها ان المدة التي تمقضي بين وقوع المؤثر على هذا النبات والشعور به لا تزيد على جزء من ثلثمائة جزء من الثانية ولكن هذه المدة تطول اذا تعب النبات من توالي المؤثرات. ثم اذا تكرر وقوع المؤثرات بطل تأثيره بها ولكنه يسترد قوته اذا استراح نصف ساعة. وتختلف سرعة التأثير حسب كون الفصن دقيقاً او غليظاً فالدقيق اسرع تأثراً من الغليظ. وقد تبلغ سرعة الحركة في الدقيق اربعين ستمتراً في الثانية من الزمان فهي اشد منه في الحيوانات الدنيا. ووجد ايضاً ان السنط الحساس يتأثر بالمجري الكهربائي ولو كانت قوته عشر القوة الكافية لشعور الانسان به. وانه يتأثر من اعلى الى اسفل كما يتأثر من اسفل الى اعلى اي سواء فعل المؤثر في طرف الورقة او عند متصلها بغصنها. وان هذا التأثير او الشعور طبيعي لا ميكانيكي فالبرد يضعفه او يبطله والمخدرات توقف فعله والسموم تبطله تماماً. وعليه ففي السنط الحساس اعصاب مثل اعصاب الحيوان. وقد عرف الاستاذ بوز محل هذه الاعصاب وفروعها بالكهربائية وباستعمال الاصباغ ووجد ان كل عصب منها مؤلف من خلايا انبوبية طويلة تصل بينها اغشية كما في اعصاب الحيوانات. ووجد في زندكل ورقة اربعة اعصاب تتصل بزوائد الوريقات المنتظمة على جانبي الورقة. ولكل عصب من هذه الاعصاب الاربعة فعل خاص به في تحريك الورقة اما الى فوق او الى تحت او الى اليمين او الى اليسار

وقد اثارت بعض آرائه المتطرفة هذه وما هو من قبلها جدالاً بين العلماء قالت فيه السينتفك اميركان «انه لا يكتفي بان يذهب الى ان في النبات نبضاً من قبيل نبض القلب بل يعدو ذلك الى قوله بأنه يرى دلائل الحياة في المعادن وغيرها من المواد غير العضوية . هذه الآراء الخيالية نالت رواجاً عظيماً على يد الصحافة الاميركية فوصلت الى جمهور كبير ولكننا لا نعرف عالماً اميركياً واحداً من علماء النبات الممتازين يؤيدها مع انها فازت ببعض التأييد في انجلترا واقل من ذلك في بلدان اوربا » ونشرت المجلة المذكورة مباحث عالم اميركي يدعى الاستاذ پرسن Persson اخذ تجارب بوز واتقن وسائلها وادواتها واعادها مراراً وخلص منها الى نتيجة تختلف عن آراء بوز كل الاختلاف والى القارىء خلاصتها على لسان الاستاذ المذكور : —

السر جاغادس بوز عالم هندي مشهور تعلم في جامعة كمبردج بانكلترا وانشأ معهد بوز بكلكتا ولف كتباً

عديدة وصف فيها مباحثه في اسرار حياة النبات وهي المباحث التي نال من اجلها لقب «سر» والقاباً علمية اخرى . هذا العالم يذهب في كتابه الاخير^(١) الى ان للنباتات دورة كدورتا الدموية ويؤيد مذهبه بصور كثيرة تبين ان في اعناف كثيرة من النباتات والازهار نبضاً كنض القلب البشري

هذا اكتشاف خطير . ولكن كاتب هذه السطور يجب ان يعلن انه ، مع احترامه للسر جاغادس بوز ، وفق الى اكتشاف اكثر غرابة وابعد خطراً فقد تمكن مراراً من ان يحصل على نبض شبيه بنض القلب البشري انتظماً في فتيلة مغموسة بعصرة الكرنب ! واصرح ان الدلائل التي اخذت على انها دلائل نبض قلبي لم يكن سببها الا عدم الدقة في وسائل الامتحان وادواته . فلما احترست من الوقوع في الخط لم احصل على شيء من الدلائل المذكورة . واذا سئلت ان الحُص رأيي في هذا الموضوع قلت ان السر جاغادس بوز وجد في النبات نبضاً قليلاً لانه كان يود ان يجده فيها

ولد السر جاغادس تشندر بوز في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٨ وبمد ما تخرج من كلية سانت زافيه بكلكتا التحق بكلية كريست في جامعة كمبردج ففاز بشهادة الامتياز العليا سنة ١٨٨٤ وعين سنة ١٨٨٥ استاذاً للطبيعيات في كلية الآسة بكلكتا واشتغل اولاً بالمباحث الطبيعية كانعكاس الامواج الكهربائية وانكسارها واستقطابها ثم انتقل الى البحث في تأثير الجماد والنبات بانواع مختلفة من المهيجات سواء كانت كهربائية او ميكانيكية فادى به ذلك الى مباحثه البديعة في اعصاب النبات وهو اول هندي فاز بلقب «عضو الجمعية الملكية بلندن» ونال لقب «سر» سنة ١٩١٧

ان موقفي ازاء العالم الهندي الممتاز موقف احترامٍ وعجاب . اني اجلُّ ما بذله من الجهد العظيم في اثناء ثلاثين سنة ليكشف الستار عن كثير من مجاهل الحياة النباتية . ولكنني ارى انه في النتائج التي وصل اليها في كتابه الاخير لم يكبح جماح هواه بضابط من عقله . فلقد اثبت هذا العالم بتجاربه المتعددة — كما قدمنا في طليعة هذا المقال — ان في النبات اعصاباً تتأثر بالمؤثرات ويختلف تأثرها باختلاف الاحوال من برد وحر وتنفل بفعل المخدرات والسموم وهلم جرا . كل هذه الحقائق الجديدة التي اضافها الى ما نعرفه عن حياة النبات ، رغمًا عن شيء من الحماسة الشعرية يمتزج أحياناً بكتاباته العلمية ، لها قيمة كبيرة وقد احرزت للكاشف عنها مقاماً ممتازاً بين العلماء

اما في كتابه الاخير « اسماء النباتات بخطها وما تنبئ عنه » فيصف السر بوز « درة مباحثه » على ما يصفها احد النقاد الانكليز وهو « ان عصير النباتات يُدفع في عروقها بجهاز ميكانيكي يشبه في اصوله جهاز الدورة الدموية في الجسم البشري » . ويأتي بعد ذلك على كثير من تجاربه التي تؤيد في رأيه هذا الزعم ويدعمها بصور بيانية تمثل في خطوط مكسرة التغيير المنتظم في قوة مجرى كهربائي دقيق متصل بنبات من النباتات

لا سبيل الى انكار الشبه الكبير بين هذه الصور التي تبين النبض في النبات والصور الكهربائية التي تبين نبض القلب . ولكن هل التشابه سطحي فقط او هو اعمق من ذلك واصوله في الحالتين متشابهة ايضاً ؟ هذا ما اردت معرفته فخربت طائفة من التجارب في معمل بمونت كلنز من اعمال ولاية ميسغن للاهتمام الى الجواب عن هذا السؤال الخطير

يصف العالم الهندي في كتابه الادوات العلمية الدقيقة التي استعملها في تجاربه . واحدى هذه الادوات مسبار كهربائي مؤلف من سلك معدني دقيق محدّد الرأس مستطيلة متصل بعدد كهربائي . فكان يغرز هذا المسبار في النبات مقدار قطر شعرة حتى يعثر على الطبقة الحساسة في انسجة النباتات . وبواسطة هذا المسبار وهذا الغرز المتدرج حصل على آثار مجرى كهربائي متّزّنة دلّت على وجود نبض قلبي او ما يقابله في الازهار والنباتات التي جرّبت تجاربه فيها . ثم جعل يحقن هذه النباتات بمقادير صغيرة جداً من السموم كالستركنين مثلاً فوجد ان الستركنين زاد النبض قوة فلما زاد مقدار الجرعة وقف النبض تماماً

اما وقد خلصت رأي العالم الهندي وطريقته في تجاربه فلاصف للقارى كيف اتصل موضوع بحثه بي وكيف حملت على اعادة تجاربه . ذلك انه يهمني في عملي طائفة من

الامراض تنشأ عن سموم في الجسم تولدها بعض انواع المكروبات ، واقوم مع مساعدي بتجارب كثيرة نجربها في الارانب والجردان وخنازير الهند لندرس فعل هذه السموم في اجسامها ولنجاول الكشف عن دواء لها فاتصلت بي مباحث السر جاغادس بوز الاخيرة فلمحت حالا امكان استعمال طريقته لتجربة فعل السموم في النباتات على نحو ما كنا نجرب فعلها في الحيوانات فعزمت مع مساعدي الدكتور ولرد بنت والمستر ولتر كريج ان نعيد التجارب التي استنبطت في معهد بوز بكلكتا لكي نتعلم من ذلك وسائلها واساليبها

فصنعنا اولاً المسبار الكهربائي الذي وصفه السر جاغادس بوز في كتابه وكان هذا المسبار مؤلفاً من انبوب شعري مستطيل الرأس محدد وفيه ادخلنا سلكاً من البلاتين قطره جزءاً من ٢٥٠ جزءاً من البوصة وجعلنا كل السلك الا رأسه معزولاً بالانبوب الزجاجي الذي يحيط به . ثم وصلنا هذا المسبار بآلة دقيقة تستطيع ان تقيس حركة هذا المسبار مهما دقت ولو بلغت جزءاً من ٢٥٠٠ جزءاً من البوصة . وقد عنيانا كل العناية حتى نمنع كل اتصال كهربائي الا بين رأس المسبار ونسيج النبات

ثم جئنا بمقياس للكهربائية (غلفانومتر) واقناه على قاعدة ضخمة من الطوب واقناها هي بدورها على ثمانية اركان من اللستك لمنع اهتزاز المقياس وارتجاجه . ثم وضعنا امام المقياس آلة فوتوغرافية تستطيع ان تصوّر على فلم كل انحراف في ابرة المقياس

فلما تم بناء الادوات اللازمة للتجربة اجتمعت لدينا وسيلة علمية دقيقة نستطيع ان نصوّر بها كل نبض يظهر في النباتات اذا كان تمت نبض ما . ذلك ان نبضاً كهربائياً منتظماً في النبات لا بد ان يحرّك رأس المسبار حركة منتظمة فتسري الكهرباء في السلك الى المقياس الكهربائي فتتحرف ابرته الى اليمين او الى اليسار حسب قوة الكهرباء وضعفها وانحرافها هذا يصوّر فوتوغرافياً على فلم . فاذا لم يكن في النبات نبض منتظم لم تتحرّف ابرة المقياس الكهربائي وظهر الخط على الفلم مستقيماً ولكن اذا وجد في النبات قوة تؤثر في مقدار القوة الكهربائية التي في المقياس انحرفت الابرة وظهر الخط على الفلم مكسراً كأنه خط الحرارة لمرضى بالحمى التيفوئيدية

وقد ذكر السر جاغادس بوز اسماء النباتات التي جرب تجاربها فيها فاذا هي من الفصيلة الصليبية التي تضم الكرنب واللفت والقرنبيط والجرجير فاخترنا اللفت وجربنا اكثر تجاربنا به لان لورفته زناداً وجربنا ايضاً تجارب في نباتات اخرى استعملها الدكتور بوز في تجاربه وذكرها في كتابه فوصلنا فيها كلها الى النتيجة عينها

بدأنا التجارب وغايتنا منها تدوين آثار النبض التي وصفها الدكتور بوز كما تشاهد في جذوع النبات ناتجة عن حركة عصارتها وقياس التغيرات التي تحدث في هذا النبض اذا عولجت الجذوع بانواع مختلفة من المخدرات

ولثقتنا العظيمة بمباحث العالم الهندي كنا ننتظر ان نرى نتائجها مكررة في معملنا . ولكن مع كل الدقة والعناية التي توخيناها في وسائل التجارب وادواتها على ما هي موصوفة في كتاب السر بوز عجزنا عن الحصول على شيء من قبيل نبض منتظم في النسجة النباتات الحية . واعدنا التجارب مراراً متوخين في الادوات المستعملة درجة من الدقة تفوق دقة الادوات التي استعملها السر بوز ولكن من غير ان نحصل على شبه دليل على وجود نبض صحيح . جربنا التجارب في اوراق مفصولة عن نباتات حية وفي اوراق لا تزال متصلة بنباتات نامية في اصص . كذلك جربناها في المعمل وفي الهواء الطلق ليلاً ونهاراً وفي احوال مختلفة من الحر والبرد والنور والظل . وفي النهاية رأينا الواجب يقضي علينا ان نذيع نتائج مباحثنا على الجمهور

ثم اورد الاستاذ تفاصيل هذه التجارب مما لا مجال للتبسط فيه في هذا المقام ولكن نتيجهها كانت انه كلما اتقنت وسائل العمل ومنعت الاسباب التي تهز الادوات المستعملة وترجها اقتربت الخطوط المرسومة على الفلم الفوتوغرافي من ان تكون خطوطاً هندسية مستقيمة اي انه لم يكن في النباتات الممتحنة تغير ما يحرف ابرة المقياس الكهربائي حتى يظهر اثر انحرافها خطأ منكسراً . ومن هذا يستنتج ان ما في خطوط السر بوز من التكسر سببه اهتزاز الآلة المستعملة اهتزازاً خارجياً ناجماً عن عدم ضبط التجربة ضبطاً علمياً دقيقاً

ثم اراد الاستاذ برسن ان يضبط النتائج التي وصل اليها فاخذ فتيلة مصباح عادي وغمسها في وعاء ممتلئ بمصارة ورق الكرب وهي في خواصها وقوامها مماثلة للعصارة التي تجري في عروق النبات . ووصل الفتيلة بالمسبار والعداد الكهربائيين فحدثت حركة العصارة في اثناء امتصاص الفتيلة لها انحرافاً منتظماً كل الانتظام تقريباً في ابرة العداد الكهربائي فرسم هذا الانحراف على الفلم خطأ منكسراً انكساراً منتظماً يشبه من وجوه كثيرة « الكارديوغرام » اي الرسم البياني لنبض القلب . فخبذا الحال لو عني قسم المباحث الفنية بوزارة الزراعة باعادة هذه التجارب وانحافنا بنتاجها



مطالعات الصبا ومؤلفات الشباب

كنت وقد نضجتُ مني سن ونجذتني أيام وادبني دهر ، أتحدث الى نفسي في ما قد طالعتُ ازمان الصبا من كتب لو كان الكتاب منها جنباً مصرياً لكنت اليوم من ذوي اليسار املاك الاطيان ووافر العقار ، وكيف اني لم أفد منها شيئاً مذكوراً ولم اع منها الا قليلاً ، بل حاق بي مرة من طائفة منها اذى كبير تخلفت لي عنه في رجولتي آثار بالغة وتبعات غلاظ

وكنت ارجع البصر كركة وكرتين في ما الفت من كتب وترجعت ايام الغرارة وطرارة السن فكنت اجدي كارهاً متندماً على ما أعجبت من عمل كان يتوفر له التام والاتقان لو تركته الى سن التجارب المنضجة والتحصيل الذي ربا ليلغ باذن الله اشده

وكنت من قريب اقرأ كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) للكونت هنري دي كاستري ترجمة المغفور له فتحي باشا زغلول . وكان الكونت دي كاستري مؤلف الكتاب قد شاهد في ريمان شبابه صلاة المسلمين في صحارى بلاد المغرب وقد اذن المؤذن بحج على الصلاة فزولوا من على صهوات خيولهم يقيمونها خُشعاً ساجدين فاكبر الكونت ما قد رأى وراعه جلال هذا القنوت لله واشرب بحب هذا الدين قلبه ، فهم يكتب يومئذ ما جاشت به نفسه في ثورة العاطفة ، ولكنه اناؤد ولم يكتب الا بعد ان مضى به حين طويل . وفي ذلك يقول في ص ٣ : « كنت في سن يستسهل العقل فيها حل المشكلات ويأخذ الاشياء من ظواهرها ويحل الخيال فيها محل النقد والتنقيب ويعتقد المرء في الامور بغير قيد . وهي سن لو انصف اهلوها لما كتبوا وألفوا وكنت ارى ان جمال الدين اصدق شاهد على انه الدين الحق وصرت اكتب في الاسلام غير شاعر بما يخطه القلم طوع الفؤاد

« ولو اني اتبعت مجرد الظواهر وقضيت على الامور بغير تأمل وتدقيق لجاء كتابي مذموماً ورماني المستشرقون بالخفة والطيش كما يرمون بحق بعض مؤلفي الجزائر من الاور وباوين »

اما حين تناهى شباب الكونت وامسى رجلاً مستوياً نضيجاً مستم التجارب ثقیل النظر في الامور خیر الرأي والمعرفة فقد كتب في الاسلام كتاباً يرضي المسلمين والمستشرقين والعقلاء المنصفين

قرأت سطور هذا الكاتب في مطالعات الشباب ومؤلفاته فطاب عندي مذاقها وطربت لهذا الاتفاق في الخواطر بين كاتب وكاتب ، فقلت فلا كتبت في هذا رأيي واختباري فاني احسب ان فيه لنشئنا وقتيانا عظة وان لهم منه درساً نافعاً

نشأت مولعاً باصناف من الكتب ثلاثة : كتب اللغة والادب ، وكتب الحكمة والفلسفة ، وكتب الاقاصيص والروايات . وكان للروايات عندي في سن المراهقة منزلة الصدر . فما ابقت مطالعتي منها على شيء وجدته في خزانة ابي او في خزانة رفاق التلمذة مما كانوا يعيرونني اياه منها . فاما جانب التفكير منها والافادة فشيء يسير الفيتة في بعض روايات الفرنسيين من نساج الحقائق والمقررات العلمية والفلسفية من طائفتي الناتوراليست (naturalistes) والرياليست (réalistes) واحتاج اليوم الى مراجعته لاذكره ذكراً تاماً ولا فيد منه فائدة يئنه مثل روايات ستندال وبلزاك وزولا وموپاسان

اما الجانب النفسي والاخلاقي فجانبا وأسفاه خراب كله خرجت من قراءته بالمضرة البالغة فان في طبيعتي ، وانا رجل عصبي المزاج ، ميل الى لذات الاحلام وتخدير الحيات وما اليهما من افراط التأثير وغلبة العواطف التي هي جميلة في النساء ومكروهة اذا افترطت في الرجال . فلقد قلبت الرواية في عيني الحياة — وحسب الشباب جهلاً بالحياة — وجعلتني اريد ارادة المتعنت القاسي تطبيق الذي اقرأه في الرواية على ما انا صانع بالناس والناس صانعون بي متعامياً عن حقائق الامور ووقائع الدهور فاوذيت من الناس بالخدعة واوذيت من الحوادث بمطاعنتي لها في مجراها ومجادلتي لها في قضائها الذي سن لها وكتب ، فلم افق الا يوم شارفت السادسة والثلاثين وقدكدت آهن واتضعع ويذهب جمعي وكلي ، وليس بيدي من الوف القرص الحسان التي عرضت لي واغرطني بحلاوتها شيء

اما كتب اللغة والادب وكتب الحكمة والفلسفة فما افدته منها على كثرة النوص وامعان النقب كان كروياً الاحلام تذكر منها اشياء وتنسى اشياء لا لحام بينها ولا صلة . وكان علي ان استعيد قراءتها مرات وكان خير هذه المرات مرة النضوج واكتمال التجربة والتفكير

واضرب لك مثلاً بكتاب « فقه اللغة » للشعالي الذي حفظته في الصبا غير مرة وكتاب « اميل » في التربية لروسو وكتاب « التربية الاستقلالية » لافونس اسكروس وكتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » كل اولئك وما اليها من نفائس المصنفات لم افهم

كنهها واقتبس فوائدها واستخرج منافعها الا حين ارجعت البصر فيها كره اخرى هي كرة السن الناضجة المبصرة

واحبان اخصل لك بالذكر من بين هذه الكنوز وافرده بالتنويه كتاب «سر النجاح» للعالم الفاضل صموئيل صميلز وترجمة طيب الذكر فقيد العلم والفلسفة العلامة الدكتور صروف . فانه خير كتاب وقع في يدي ، تعلمت منه كثيراً وغنمت . فاني قرأته ثلاث مرات آخرهن في هذه الايام . أفأنبئك بعجيب ، هو اني قد اهديت في هذه الاخيرة من مطالعاتي الثلاث لهذا الكتاب ، الى اشياء جمّة عظيمة الفائدة لم اكن قد اهديت اليها من قبل ولا افدت منها ما افدته اليوم من فائدة هي خير من كنز ؟

اما مؤلفاتي ومعرّباتي فما انا عنها ، على ما بي من حرص وترجيح لوزن الاتقان في ما صنعت يداي على وزن التجارة وشهوة التكسب منذ ان امسكت يميني بقلم ، ما انا عنها براض كل الرضا واجدها بحاجة الى ان اكتبها من جديد بقلم السن التي هذبها صقال الدهر . وما احسن ما كتب في ذلك الجاحظ اذ يقول :

« وينبغي لمن كتب كتاباً الا يكتبه الا على ان الناس كلهم له اعداء وكلهم عالم بالامور وكلهم متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه يغيب ويختمر ولا يثق بالرأي الفطير فان لا بداء الكتاب فتنة وعجيباً فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرة ، اعاد النظر فيه وتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة انقص من وزن خوفه من العيب » ثم هل تراك وجدت كتاباً قبيحاً مخلداً الا وقد اخرجته صاحبه وهو في الرجال مكتمل نضيج ؟ كل عمل جليل وضع عظيم وبدع بدع كانوا نتاج سن الاربعين او حوالها ، وسير الاولين والحاضرين فيها مصداق ما نقول

فهذا ابن رشد فيلسوف الاندلس كان اعظم مؤلفاته واشهرها شرحه الكبير لمؤلفات ارسطو اخرجته للناس وهو في الخامسة والاربعين . وزولا الروائي الفرنسي المشهور فقد اخذت تطير في الناس شهرته يوم اخرج لهم وهو في الثانية والثلاثين رواياته المعلقة المعروفة بروجون ماكار (Rougon-Macquart) وهي تقع في عشرين جزءاً واتمها وهو في الثالثة والخمسين . واديسون المخترع الاميركي العظيم بدأ يتحف الانسانية بمجزات اختراعاته وهو في سن الثلاثين . وموباسان القصصي الفرنسي المشهور بدأ الناس ينتفعون باطبيب قصصه وهو في الخامسة والثلاثين . وولتر سكوت الروائي الانجليزي

الذائع الصيت اخرج اشهر مؤلفاته وهو في سن الاربعين . ودریدن الشاعر الانجليزي المعروف نضج شعره وجاد ، وهو في سن النانية والاربعين ولدنا من ذلك امثلة كثيرة على ان الصبا قلما يحيد او يبدع وإنما هوسن الاعداد وتهية المجودات والجلائل والبدايع التي هي مواليد الرجولة المحنكة والكهولة المحتمرة الناضجة وما اردنا بهذا ان يجعل الشباب يده مغلوله الى عنقه يمضي في سكون ويمرح في غير ما عمل فليقرأ الشبان ولكن ما كان يليق بهم واجدى عليهم ، وليؤفوا ولكن فليعلموا انه ليس بالتأليف الذي تقر به اعينهم وتناج به انفسهم ، ولكنهم لا بد عابروه ليصلوا الى ما سيجدون به بررد السرور وينالون به مرضاة الناس وثناءهم الحق

ومن العبث والحنف ان تطمع من الحداثة والشباب ان يتعقلا ما يطالعانه من كتب تعقل النضج والاكتمال فان علوم البشر وآدابهم تداولتها عصور وتعاقبت في تكوينها وانضاجها احيال والعقل البشري خاضع لهذه السنة ولا يجد عن سلوك هذه الحادة مصرفاً ولا وسيلة فان له حدوداً معينة وازماناً محددة يبلغ فيها تمامه ويمسى اهلاً للكسب مهياً للاستفادة وجودة الاستقلال . ولا بد له من توفية مدة صقاله وغاية تهذيبه وزمن تقلقله وتقلبه واضطرابه حتى بصير الى حد الاتزان والارتكاز . لهذا كانت استفادة الشباب بمطالعانه سقيمة عرجاء . ولست كتاب واحد يطالع في سن النضج خير من عشرين كتاباً تلتهم في سن الحداثة والشباب

والذي اراه للشباب ان لا يقرأ الا ما له بعلومه مدة الدراسة ، صلة وعلاقة معينة فيطبقه حين يفرغ من الدرس الى العمل ليجود به عمله ويشتهر ، وليجتنب الاحداث والشبان مطالعة الروايات والاقاصيص اي كانت وما اليها من معارض السينما فانها لهم لمشغلة ومضلة واذا بالغ . ذلك ان هذه الروايات اما تقتذي من الخيال وتهيم في وديانه وتريك صوراً من الحياة هي في الغالب غير ما أنت ترى وتصطدم به كل يوم . والذي يعيش بين الناس ويبغي في الحياة النجاح وجب عليه ان يستبضع الحقائق وسعه وان لا يستجلب من هذا الخيال الا بالقدر اللازم له في صنعته او عمله حسب ما يحتاج منه لتكمل ونجود . اما السلوك والمعاملة فما لها بهذا الخيال علم ولا لها بقيمان له اي وزن . وليس بناجح في الحياة مهدي المسالك الا الذي ينظر الى الامور كما هي والى الناس كما فطرهم الله او كونهم عاداتهم وامزجتهم

حتى اذا ما ولج الشاب باب العمل وبلغ زمانه فليكن كما تريده حاله الجديدة مكباً

على صنفته تجويداً لها وإذاعة لشهرته بها مُحدّثاً بعينه في ما يرى ويسمع من الأشياء والناس مستخرجاً مما رأى وسمع العبرة والعظة ، كاسباً لنفسه الدرس والفائدة . من أجل هذا أرى له أن يجعل المطالعة في الكتب العشر وتسعة الأعشار الأخر مطالعة في كتاب الطبيعة . وما تحوي من ناس وحيوان متعرفاً سنتها متبعباً لجاريهما ، متعقباً للأمور ، متقصياً لحركات الناس وسكناتهم ، ليفيد علماً واختباراً ونظراً وهدايةً وصواباً . واولئك جميعاً وسائل النجاح وادوات التوفيق والتيسير . وهو اذا تَكوّن من عصير الاختبار وتجمل ، وبلغ ما شاء ان يبلغ من النضوج والكمال كان ما يقرأه من الكتب منه مفهوماً جلياً قريب التناول ، ولا يغمض عليه شئ مما يسنه له كاتب في كتاب يقرأه او قاعدة من قواعد السلوك يقررها له ، او خطة من خطط النجاح يرشده اليها ، او قانوناً من قوانين الحياة يعرفه اياه . وانما هو يقرأ في الكتب حكمة الغير عن معالجته لامور الحياة ، ويطلع على اختبار مختبر ودرس دارس . فالسبيل التي سلكها فليسلكها هو كذلك وليعالج ما عالجها ذاك . والناس انما يتفاضلون بالاجتهاد والاختبار

وليجعل الشاب الى جانب ما يطالعه من هذا العشر من كتب تغزّرُ بها معرفته في قواعد صنعته او عمله واسرارها ، ويبلغ بها الى الاجادة والنبوغ فيها ، تلك الكتب المتضمنة للحقائق والمعارف وماديات الحياة التي يقوى بها عقله ويستحكم بها تفكيره ، ويسلم بها حكمه مثل كتب العلوم والمعارف ، والكتب التي تذكّي عزيمته وتشجذ همته ، وتقويه بالمعالي وتفتنه بالكدح وجميل الجهد فيكون في الحياة ما قاله الشاعر :

وتحقّر عندي همتي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاوّل

امثال كتب السير التي تُعدّه للاستفادة من الحياة وتكسبه المعرفة والاختبار ما يأمن من الزلل والعتار ، وتفظّنه الى اغتنام الفرص وشدة الحرص على عدم اضاعتها . وأحسن كتاب في نظرنا وانفسه ، يقتنيه الشاب منها ويجعله في رأس ما تحتوي خزائنه من كتب ، كتاب « سر النجاح » الذي اوردنا لك ذكره في صدر مقالتنا واولئك لشباتنا انه ما من كتاب يهديهم الى مسالك النجاح ومواج العظمة مثل هذا الكتاب الذي صح في مؤلفه الفاضل صموئيل صميليّ ومُهنديّه الى شباب مصر والمشرق المأسوف عليه علامتنا الدكتور صروف ، ما أثبتته المؤلف في ص ٢٧٣ من كلام فرنسيس هرنز الذي كان يُثبت في مذكراته اساء الكتب التي طالها فغم منها غمّاً عظيماً فقال في ذلك : « واني اعد الرجل الذي يُظهر للعالم كيفية البلوغ الى العظمة من احكم الناس »

كذلك وجدنا مؤلف الكتاب ومعربة المأسوف عليه . وشباننا اذا طالعوا هذا الكتاب مطالعة الامعان والتروية والاستفادة فانا ضامن لهم في حياتهم النجاح الاوفر وليجعل شباننا هذا العشر مما يقرأون قليلاً مختاراً ، مضموناً نفعه ، غير منكورة قيمته ، فيعاودوا قراءته كل حين من دهرهم مثنى وثلاث ورباع فان الافادة في الاعداء ، وفي التكرار الاجادة . وفي ذلك يقول اللورد ددلي نقلاً عن كتاب « سر النجاح » : « اني مغرم بالاقصرار على الكتب المفيدة التي طالعتها وعرفت فائدها واشهد ان قراءة كتاب عتيق مرة ثانية افضل من قراءة كتاب جديد لم يُقرأ قبلاً وان لم تكن الذم منه » أما حين يخلع الرجل بُرد الشباب ليرتدي ثوب الكهولة واستواء السن فليفرغ للمطالعة ما شاء له الهوى ان يتفرغ وليجعل لها بعد ان يكون جال في الحياة مجاله ، واستوفى علماً وتجربة ، وكدحاً وخبرة ، واستيقظاً لحاضره ومُقبليه ، واعداداً لنفسه ولاهله ، وتوطيداً لمعاشه وحاله ، وادراكاً لمبغاته ونجاحه ، ليجعل لها تسعة الاعشار او عشرة الاعشار فما وجدت في مثل هذه الحال مثل المطالعة خديناً مواتياً ، وسيراً ملاطفاً وأليفاً وفيّاً وناصحاً نصوحاً ومعلماً مجزلاً للفوائد . وحكيماً يهون من اذى الناس وشروهم ويلطف من تنكر الايام وغدرها فان الكتاب كما قال الجاحظ :

« هو المعلم الذي ان افتقرت لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع تلك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك ، وان هبت ريح اعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت منه متعلقاً بسبب او معتصماً بادنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء . ولولم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تازم ومن فضول النظر ومن عادة الخوض في ما لا يعينك ومن ملابسة صغار الناس ومن حضور الفاضل الساقطة ومعانهم الفاسدة واخلاقهم الرديئة وجهالاتهم المذمومة ليكون في ذلك السلامة ثم الغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولولم يكن في ذلك الا ان يشغلك عن سُخف المنى وعن اعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما اشبه اللعب لقد كان في ذلك على صاحبه اسبغ النعمة واعظم المنة »

هذا ما احسب اني كسبته بعد تجربة طويلة وإطالة اختبار عسى ان اكون في مسافه لشباننا قد افدت وفي نصيحهم احسنت وبلغت
احمد ابو الخضر منسي



وانا بقربك كل يوم عيدي

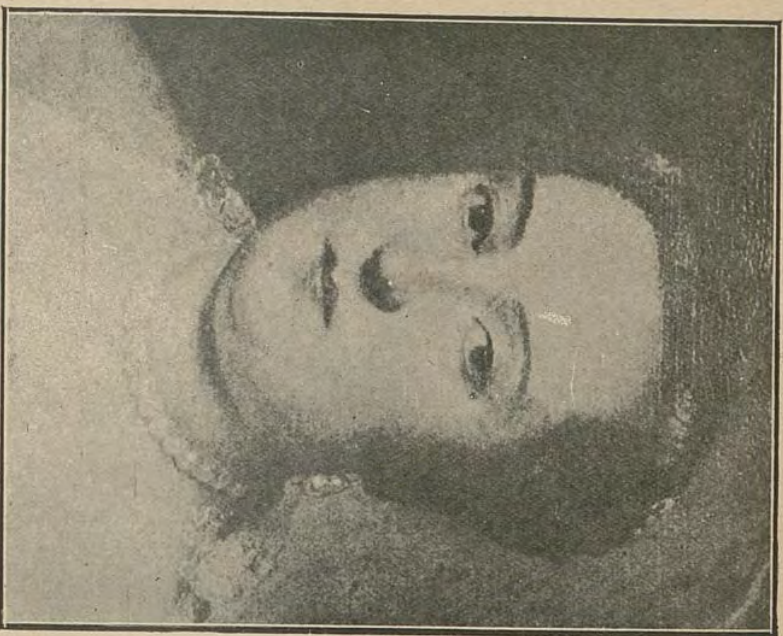
بِكَ يَا كِتَابُ أَهْمٍ لَا بِالْغَيْدِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَالْإِنَامُ شُهُودِي
 إِيَّاكَ أَشْتَاقُ أَشْتِيَاقُ مَتَيْمٍ وَإِلَيْكَ أَلْتَّاحُ أَلْتَّيَا حَ عَمِيدِ
 هَوَايَ مَقْصُورٌ عَلَيْكَ لِأَنْ لِي عَوَزًا إِلَيْكَ كَمَا إِلَى الْمَمْدُودِ
 أَشْدُو وَأُنْشِدُ فِي جَمَالِكَ أَنَّهُ مَدْعَاةُ شَدْوِي بَلْ مَدَارُ شَيْدِي
 وَإِذَا نَثَرْتُ فِي أَمْتِدَا حَك سَا جَعُ وَإِذَا نَظُمْتُ فَأَنْتَ يَتُ قَصِيدِي
 يَا مَوْلَسِي فِي وَحْشَتِي وَمَحْدَثِي عَنْ كُلِّ أَمْرٍ نَافِعٍ وَمُهْمِدِ
 وَجَلِيسَ خَيْرٍ لَا يَخَافُ جَلِيسُهُ مَنْ تَزُغُ نَمَامٍ وَشَرِّ حَسُودِ
 وَصَدِيقَ أَمْنٍ لَيْسَ مَعَ إِخْلَاصِهِ خَطَرُهُ يَهْدِي دُنِي بَنَكْتِ عَهُودِ
 فَإِذَا سَكَتَ فَأَنْتَ أُبْلَغُ نَاطِقٍ كَلِمَاتُهُ تَقْصَارَةُ فِي جِيدِي
 وَإِذَا عَمِسَتْ فَعَنْ وَقَارِ شَائِقٍ مِنْكَ الْعَبُوسُ وَلَيْسَ عَنْ تَهْدِيدِ

يَا قَبْلَتِي حَيْثُ اتَّجَهْتُ فَمَقْلَتِي تَرْنُو إِلَيْكَ بِشَوْقِهَا الْمَعْهُودِ
 فِي الْعَامِ أَعْيَادُ الْوَرَى مَعْدُودَةٌ وَأَنَا بِقَرْبِكَ كُلِّ يَوْمٍ عَيْدِي
 الشَّمْسُ يَهْدِي نَهَارًا نُورُهَا وَالبَدْرُ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ رَشِيدِي
 وَدِي يَجِدُّهُ الْغَذَاءُ فِي تَقِي جَسَدِي الدُّثُورُ بِذَلِكَ التَّجْدِيدِ

وضياء عقلي عنك يصدر مظفراً
ولدي طعم جناك أطيب من جني
فيك العلوم جميعها مذخورة
تغنيه عن استاذه فيقول إذ
هذا علمت بالأختبار فقلته
نفسى بنيل غذائها المنشود
نحل ومن رشف أبنة العنقود
فيفوز من يقنوك بالمتقود
يتلوك مالي حاجة لمزيد
أفبده أخشى من التفنيدي

أخلقت جده هذه الدنيا وما
وطويت في الأرض العصور ولم يزل
وعليك كان تقدم الإنسان من
فلأنت مرآة الحضارة معرض ال
وبك ابن هذا اليوم يحيا إن يشا
منك أجتلى الإنسان أصل وجوده
بل منك سر الوحي ذاع مبلغا
لو أنصف القراء كانوا كلهم
فبك الهيام لكل ذي لب هدى
القاهرة
تشفك مؤخرًا لكل جديد
لك في الورى ذكر كمنشر العود
عهد كما علم الجميع بعيد
ممران والتأسيس والتشييد
في عصر آباء له وجدود
ودرى نهاية عمره المجدود
للخلق أمر الخالق المعبود
من مذهبي وجروا على تقليدي
يحيا سعيداً فيك أي سعيد
اسعد خليل داغر





الصورة كما تظهر للمين الجردة

١٩٢٩
مقتطف
الاصحاح ٢٩



الصورة بعد تمريرها لاشعة اكس وقد ظهرت فيها آثار
التلف في الصورة الاصلية وكيف اصحابها مصور حديث



اشعة اكس في خدمة الفن

الاساليب الكيماوية والفنية

في تمييز الصور الاصلية القديمة من الحديثة المزيفة

تبقى المسائل العلمية مطوية في سجلات الاساتذة والباحثين حتى تقع حادثة تسرعى انتباه الجمهور وعنايته فتنبئ الصحف اليومية اولاً وتليها الصحف العلمية تفصل المسألة العلمية المرتبطة بتلك الحادثة على تفاوت بينها في الایجاز والاسهاب والصحة والخطأ

ومن هذا القبيل البحث في الاساليب العلمية المستعملة الآن لمعرفة الصور القديمة الصحيحة من المزيفة . ذلك ان من الصور القديمة التي خلفها ائمة التصوير الزبقي كرفائيل وده فنشي وروبنس ورمبرانت وتشن وميكل انجلو واضرابهم قد بلغت اثمانها مبلغاً لا يصدق. فقد بيعت في السنة الماضية صورة لرفائيل بمائة وسبعين الف جنيه. وقد اصبحا بتياع صورة مشهورة بمائة الف جنيه امراً مألوفاً. فالمرثي الذي يقدم على دفع مائة الف جنيه او اكثر من ذلك ثمناً لصورة منسوبة لمصور مشهور يريد ان يتحقق هل الصورة صحيحة او مزيفة. وخطورة ذلك ظاهرة في قول فاه به الدكتور وليم بود مدير متحف القيصير وليم ببراين. قال معبراً عن حقيقة تاريخية في قالب من التهمك: لقد صور « رمبرانت » نحو ٧٢٥ صورة عرف منها حتى الآن نحو ثلاثة آلاف اي ان ٢٣٠٠ صورة من الصور المنسوبة اليه مزيفة او صورها تلاميذه المتأثرون بأسلوبه الفني

وفي اوائل الربيع الماضي رفعت سيدة اميركية مثرية تدعى مسز اندره هان قضية على الخبير الفني المشهور السر جوزف دووئين تطالبه بتعويض قدره مائة الف جنيه لانه قال ان صورة في مجموعتها تنسب الى ده فنشي وتدعى « الفرونية الحسناء » ليست الا نسخة مزيفة غير متقنة التزييف للصورة الاصلية المعلقة في متحف اللوفر

فعمدت المحكمة الى طائفة كبيرة من رجال الفن ورجال العلم في الاعراب عن رأيهم في صحة ما ادعاه السر جوزف دووئين. وكان للمسألة دوي في المحافل وطنظنت بها الجرائد وخصوصاً لما اتفق اعضاء المحكمة على ان لا يتفقوا فكتبت اربع من المجلات العلمية التي تصلنا بمباحث في هذا الموضوع فقرأنا ان تلخصها في هذا المقال وتزينه بالصور لتوضح المراد

يظن عامة الناس ان الصور الزيتية اما اصلية واما مزيفة وقد غاب عنهم ان هنالك صنفاً آخرى من الصور كل صنف منها لاهو هذا ولا هو ذاك . فهناك صور قد تكون صورت في معمل المصور الذي تنسب اليه بريشة احد تلاميذه فلما تم تصويرها اخذ المعلم ريشته ومسح الصورة بمسحة من فنه . وهناك صور قد تكون نقلت عن صور قديمة في عهد المصور الذي نسبت اليه فظهرت عليها آثار طريقتيه . وهناك صور قديمة تلف جانب منها فعمد اليها احد المصورين في العصور الحديثة فرمها واعادها بريشته الى ما كانت عليه حسب ظنه ! فاذا عهد الى خير في النظر في صورة قديمة منسوبة الى مصور مشهور وجب عليه ان يعين الطبقة الخاصة التي توضع فيها الصورة المعروضة وهذا من اشق الامور لولم يجد العلم الى ذلك وسائل جديدة تجعل الحكم اقرب الى الصواب

انقسم الخبراء الذين لهم حق الحكم في هذه الامور الى فريقين الفريق الاول يذهب الى ان الخبير يستطيع ، اذا كان واسع الاطلاع دقيق الحس ان يحكم على صورة من الصور من مجرد رؤيتها والنظر الى اسلوبها . فهو في الغالب يحفظ في ذاكرته ما تحتوي عليه المتاحف من الصور المشهورة وما تضمه المجموعات الخاصة في مدن الدنيا ويكون قد توفر على درس مصور خاص وتعرف طريقتيه في الرسم والتصوير وضرب الريشة على القماش . فابناء هذا الفريق يكتفون بعرض الصورة التي يدور عليها الجدل على خير او خيبر من الذين اختصوا بدرس المصور الذي تنسب اليه ويؤخذ قوله او قولها حجة اما الفريق الثاني فيعمد الى المادة يستنطقها ، يفحص الخشب او القماش الذي رسمت عليه الصورة بالكرسكوب ، ويحلل الادهان الزيتية التي دهنت بها . ثم هو من بعد ذلك يعرضها لاشعة اكس والاشعة التي فوق البنفسجي ليرى هل حدث فيها تغيير بعد ما صورها صاحبها . الهوة بين اسلوب الفريقين واسعة يتعذر سدّها الا بالتعاون فدعاة الفريق الاول يقولون ان قطعة من الفن يخرجها متفنن كبير لا بد ان تكون مطبوعة بطابع من شخصيته وروحيه ولا بد ان تظهر فيها اساليبه الخاصة . يقولون اذا صورت صورة حديثة تقليداً لصورة قديمة امكن الكشف عنها بتحليل اصباغها ولكن كيف تستطيع ان تكشف عن صورة غير اصلية صورت في عهد الصورة الاصلية مقلدة لها واستعملت فيها الاصباغ نفسها التي كانت شائعة في ذلك العصر — ان صورة كهذه لا يستطيع ان يكشف عنها الا الخبير الذي درس اسلوب الرجل الفني ويميزاته الروحية وعرف كيف يستدل بها على آثار شخصيته

فيجبهم ابناء الفريق الثاني كل صورة في اساسها جسم مادي — اصباغ وادهان على خشب او قماش. فكل حساب يحسب لمسألة الاسلوب الفني انما هو تكهن لا يثبت حتى تؤيده الادلة المستخرجة من تاريخ الادهان والخشب الذي استعمله المصور. فنحن نستطيع ان نقول لهم ما هي هذه الصورة ومتى صوّرت وهل الادهان التي فيها قديمة او حديثة وهل الصورة كلها قديمة او هل جانب منها قديم والجانب الآخر حديث. فاذا اتممنا عملنا تمهد السبيل لكم حينئذ لمعرفة من مصوّر الصورة ولكن ضمن دائرة عيّنها البحث العلمي

لقد شط الكلام عن موضوع المقال الاصلي وهو الاساليب العلمية في خدمة الفن. وهذا الاستطراد كان لا بد منه لبيان خطورة الموضوع والاركان التي يقوم عليها خذ الاصباغ التي استعملها المصورون في قديم الزمان وحديثه. كان الاستاذ لوري الاسكتلندي اول العلماء الذين عنوا بدراسة الاصباغ القديمة والاصباغ الحديثة وتاريخها فوجد ان الصباغ الازرق المعروف بالازرق الملكي وهو مركب من السلكون واكسيد الكوبلت استعمله المصورون اولاً في القرن السادس عشر واث الازرق الالزوردي Azurite شاع في اواخر القرن الخامس عشر (١٤٨٠) ثم اغفله المصورون الى ان عادوا اليه ثانية في اواسط القرن السابع عشر

ومنذ مدة طلب الى الاستاذ لوري ان يحكم في صورة تدعى « الزهرة » لفلاسكو المصور الاسباني المشهور في اوائل القرن السابع عشر فتخطى اقوال الخبيرين فيما يتعلق بأسلوب الصورة واخذ ذرة دقيقة من الصبغ الازرق المستعمل لتصوير جانب من صورة كيوبد اله الحب فيها واثبت انها مزيج من ازرق الملك والازرق الالزوردي فحضر بذلك اقوال بعض الخبراء الذين ذهبوا الى ان صورة كيوبد في هذه الصورة ترجع الى القرن الثامن عشر فقط

وفي الجدل الذي اثير حول صورة « الفرونية الحسنة » وقف الاستاذ لوري في جانب السر دوفين لانه ثبت له من امتحان بعض الاصباغ التي في صورة اللوثر انها الاصباغ التي يؤثرها ليوناردو ده فنشي التي نسبت الصورة اليه كما جاء في صورته وكتبه وحكم انها الصورة الاصلية وما عداها نسخ منقولة عنها

واستعملت طرق الاستاذ لوري في الحكم على صورة نسبت الى المصور الهولندي روبردايل من مصوري القرن السابع عشر. فاخذ الخبير الكيماوي الذي دعي للحكم فيها ثلاث ذرات دقيقة من ادهانها وامتحنها فحكم ان الصورة حديثة لا يرجع عهدها الى ابعد

من اواسط القرن التاسع عشر وبني حكمه على ان الدهان الابيض الذي فيها هو اكسيد الزنك وهو مركب لم يكن معروفاً من ثلاثمائة سنة اي العصر الذي نسبت اليه الصورة. ومصورو المدرسة الفلمنيكية استعملوا صبغاً ابيض غير ابيض الزنك. فقد اثبت الاستاذ لوري ان ابيض الزنك لم يستعمل في التصوير قبل سنة ١٧٨١. ثم وجد الحبير ان القار المستعمل فيها لا يزال شفافاً ولو كان قديماً كما ادعى لكان فعل النور حوله الى كربون صلد لا يذوب ولا يخرقه النور. ولدى البحث في الخشب الذي صورت عليه الصورة وجد ان البروتوبلازما في خلايا الخشب لم يجف كل الجفاف كما ينتظر في خشب مضى عليه ثلاثة قرون

وقد اضاف الاستاذ لوري الى بحثه في تاريخ الاصباغ وتحليلها طريقة اخرى هي تكبير الصورة بالفوتغراف من ضعفين الى خمسة اضعاف ثم يبحث عن مواضع التزييف فيها. فمذ بضع سنوات ذهبت طائفة من النقاد الى ان صورة رمبرانت التي عنوانها «السامري الصالح» ليست اصلية فأخفم الاستاذ لوري اولئك النقاد حين اخذ جانباً من هذه الصورة وكبره بالفوتغراف ثم اخذ جانباً من صورة ثبتت نسبتها الى رمبرانت وكبرها كذلك ووازن بين الاثنين مثبتاً ان اسلوب التصوير واستعمال الفرشة واحد في الصورتين

نحيي الآن الى استعمال اشعة اكس في الكشف عن حقائق الصور الاصلية والمقلدة وهو احدث الوسائل العلمية في هذا العمل الفني الدقيق. ذلك ان الدكتور اسكندر فابر الالماني وجد منذ بضع سنوات ان اشعة اكس تحترق بعض الاصباغ اكثر مما تحترق غيرها. فاذا كان على قطعة من القماش صورة مصورة باصباغ كشيعة وتلف جانب منها فجاء مصور آخر واصلاح ما تلف بصنع لا يوازي في كثافته الصبغ الاصلي كشفت اشعة اكس عن ذلك من غير ان تدع مجالاً للريب. واخذ بعض علماء فرنسا وهولاندة واميركا هذا المبدأ عن الدكتور فابر وتوسعوا في تطبيقه. وقد عني الاستاذ آلن بروز الاميركي في اثناء السنتين الماضيتين بتصوير كل الصور المحفوظة في متحف فُغ بكامبردج ماس. وقد جمع حتى الآن الف صورة تمثل فيها الصفات الاساسية التي امتاز بها المصورون. تؤخذ اولا كل الاصباغ المعروفة المستعملة في التصوير سواء كانت نقية او ممزوجة وتصب اشعة اكس الى كل منها وتعيين درجة شفافها. فالاصباغ البيضاء تكون كشيعة عادة لان اكثرها مركب من الزنك او الرصاص. والغريب ان احمر الزئبق ليس على درجة عالية من الكثافة. اما الاصباغ المستخرجة من مواد نباتية والاصباغ الكيماوية المستحدثة فشفافة في الغالب ولا يميز بين شفاف الواحد والاخر الا اذا استعملت اشعة ضعيفة لانه اذا



صورة مسز جراحام



الفرونية الحساء



صورة « فينس وادونس » ظلت تحسب نسخة لصورة في البرادو
مدريد حتى ازيات الاقدار عنها فاذا هي لتشن احد عطاء المصورين

مقتطف يونيو ١٩٢٩

امام الصفحة ٧٣

استعملت اشعة قوية نفذتها كلها على السواء . وقد ثبت ان الاصباغ الكشيفة كان لا مندوحة عنها لمشهوري المصورين القدماء فكانوا يستعملون ايض الرصاص والاصباغ الارضية . فاذا اخذت صورة قديمة ورمت باصباغ مستحدثة ثم صورت باشعة اكس ظهرت معالم الصورة القديمة واضحة لان اشعة اكس لدى التحكم فيها تحترق الاصباغ الحديثة ولا تنفذ الاصباغ القديمة

يظن الناس ان كل صورة مشققة صورة قديمة والواقع ان هذا خطأ بل نقيضه هو الصواب . نعم ان سطوح الصور القديمة تكون دائماً مغطاة بشقوق كثيرة ولكنها شقوق تبلغ درجة من الدقة لا تستطيع النظرة العجلى ان تميزها . واما الصور الحديثة اي المصورة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فتظهر على سطوحها شقوق عريضة متقاطعة تبدو للعيان من غير تحديق النظر . فشقوق من هذا القبيل تشاهد في صور رينولدز واضرابه وتظهر الشقوق العريضة في صورة حديثة اذا استعمل مصورها مادة سريعة الجفاف لاذابة اصباغها فتمتص هذه المادة زيت الاصباغ فتتقلص المادة الملونة وتحدث الشقوق ويجب ان نذكر القارئ في ختام هذا المقال انه قلما توجد صورة قديمة لم تصب بشيء من التلف او لحق بها نصيب من الاذى في الثورات والحروب والبيع والشراء . فصورة تشن المعنونة « الزهرة وادونس » ظلت تحسب نسخة عن صورة في البرادو بمدريد حتى ازيل ما علاها من الاقدار فظهرت فيها آثار يد تشن وثبت انها من درر الفن التي لا تقدر بمال . وصورة مسز غراهام التي تعد من ابداع ما اخرجته ريشة غينز بورو ظلت ملفاة في غرفة قدرة في بيت بحاري بلندن نحواً من ستين سنة لان صاحبها توفيت بعد تصويرها فلم يطق زوجها ان يحفظ الصورة في بيته

فالنتيجة العامة التي يخلص اليها الباحث هي وجوب التعاون بين اصحاب المذهب الفني في تحقيق الصور القديمة ودعاة الرأي العلمي في تحليل الاصباغ والاختشاب والاقمشة وتصوير الصور باشعة اكس وغيرها . فالباحث العلمي يستطيع ان يقول هل الصورة قديمة او حديثة او هل هي قديمة وحديثة معاً وما هو قديمها وما هو حديثها فيمهد بذلك السبيل لصاحب العين النقادة والحس الدقيق الذي يستطيع ان يبين الروح الفنية التي تتجلى في كل صورة وان يعين صاحبها — وقد بلغ احد هؤلاء من الدقة انه يستطيع ان يميز بين اساليب تلاميذ كثيرين درسوا على معلم واحد فتأمل



سوريا ولبنان في نظر الغرب

خلاصة لاشهر الكتب الفرنسية

جيلة تحت ظلال الارز — رواد الشرق — في جبل الدروز
على طريق تدمر — اللايدي ستانهورب في الشرق

١

كانت سوريا ولبنان ، منذ عهدها الاول ، غاية الفاتحين والتجار والرواد . وما ان ظهرت المسيحية حتى اصبحا معبراً للحج . فزاد اشتياق عامة الناس اليهما وهرع اليهما جمهور من ابناء الغرب والملوك والامراء والقواد والابطال وخصوصاً ابناء الحرب الصليبية ، كريكاردس قلب الاسد وجود فروى دي بويون ورينودي شاتيون وفردريك بربروسا ولويس ملك فرنسا وجوانثيل وسواهم . ثم زارها من عهد قريب ، الكتاب الافذاذ من ابناء فرنسا ، كشاتوبريان ولامارتين وميشو وغلوم ري ورينان ورينه بازان وبول بورجيه ولويس برتران وموريس بارس وامثالهم . هؤلاء جميعهم قدموها في القرن المنصرم والحاضر الى قبيل الحرب العظمى . ثم تلاهم بعديها ، هنري بوردو ، تصحبه كريمته الباسلة ، والاخوان تارو وبيربنوي وغيرهم كثير . ومن الحال البحث عن اجتاز سوريا من ملوك وامراء وكتّاب مشهورين فعددهم لا يحصى وتمدادهم متعذر . والروابط التي تربط سوريا بالغرب كثيرة واهمها الدينية والتاريخية وهي التي حملت كثيرين من ابناء الغرب على ارتيادها وكما يتعذر ان نعرف من اجتاز سوريا من مشهورى الافرنج كذلك يصعب علينا ان نستقصي ما كتبوه عنها . فنحفر النصرانية كتب الرواد والزوار المذكرات والرحلات عنها وكفانا استقصاء وعلماً ان فروض الحج كانت لحين الحروب الصليبية تخم على الحاج ان يدون ما يشاهده في الاراضي المقدسة ^(١) في رحلته اليها وذلك لاجل بث الدعوة للحج . وقليل عدد الذين ذهبوا ولم يكتبوا شيئاً وانما كان من الفرض عليهم ان يحدثوا القوم بما رأوه للسبب عينه . وان ما يوجد من المدونات في العالم يكفي لان نقص به خزان الكتب العظيمة

اذن ، فالاستقصاء عما كتب عن سوريا ضرب من العبث واضاعة للوقت سدى وانني
 للمرء ان يحصي الكاتبين وما كتبوه لكن يمكننا ان نأتي على ذكر من احسنوا
 الكتابة عنها في القرنين المنصرم والحاضر . واولهم شاتوبريان فقد نشر كتاب رحلته
 الشهيرة وهذا اغرى لامرتين عميد الروماتيزم فانها ونفح الغرب بقصيدته الخالدة
 « ارز لبنان » التي تناقلتها الالسن وترنمت بها كثيراً . ثم تلاها ميشو فافاد تاريخ سوريا
 فائدة جلي وكان الباعث الاول بل الاهم على الاهتمام بعهد الصليبية ذلك العهد الذي هو مع
 خطورته واثره العظيم في تاريخنا الغابر قلما نجد في الشرق من يعيره اقل اهتمام فسكانه
 حادثة بسيطة حدثت وسدلت عليها ستر النسيان . فكتابته وان يكن ينقصه بعض القيمة
 العلمية فهو لآن اجل ما خط في موضوعه . ثم زار سوريا قبل ان تقذف الحرب وبلااتها
 عليها وعلى العالم كاتب من اعظم كتاب الفرنسيين هو موريس بارس صاحب الكتب
 الوطنية القيمة فسار فيها طويلاً وعرضاً ونقّب وبجث وما ان وضع شيطان الحرب سلاحه
 حتى اظهر كتابه الشهير الذي اودعه اثم وادق الملاحظات عن سوريا عموماً وبلاد العلويين
 خصوصاً وشيخ الجبل ايضاً وقد نال هذا الكتاب صيتاً بعيداً في اوربا جمعاء ثم حازت
 بعد ذلك روايته التي انشأها عن سوريا ابان الحروب الصليبية شهرة ذائعة وسمى كتابه
 Une Enquête aux Pays du Levant (استقصاء في بلاد الشرق) وروايته
 Un Jardin sur l'Oronte (حديقة على العاصي)

هؤلاء هم اهم من كتب عن سوريا الى قبيل الحرب وانتشرت كتبهم بين ايدي جمهور
 الغربيين فنشرت صيتاً حسناً للشرق . وما اقل نجم الحرب وغاب شبحها الخيف حتى نهد
 من فرنسا وبرز الى ميدان الشرق كاتب من اكبر كتابها واعز روايتها صيتاً واحد
 اعضاء الاكاديمية الافرنسية فاخترق البحار عام ١٩٢٢ م الى ميناء سوريا وحط رحاله
 في بيروت . هذا الكاتب هو هنري بوردو ولكنه لم يأت وحده بل صحبته كريمته الباسلة
 وما عادا الى الغرب حتى ابرزا عدة كتب هي بالحقيقة اجل وابلغ ما كتب عن بلادنا
 العزيزة . وان ما قاما به لتعجز عنه الفطاحل لما اودعاها من معلومات قيمة ولا يغرب عن
 البال انهما اقاما في سوريا مدة قصيرة جداً فلذا يذكر لهما ما اتياه مقتراً بالشكر

طالما قرأنا كتباً كثيرة عن سوريا ولبنان ولكننا لا نذكر اتنا عثرنا في طريقنا على ما
 نؤثره على كتب المسيو بوردو وكريمته او نضاهيه بها ولذا وددنا ان نأتي بكلمة عنها
 وآثرنا التحدث بها ولكننا امل ان نرى من القراء الكرام حسن الالتفات والعناية

بامثال هذه الكتب المفيدة العظيمة وقدرها حق قدرها وعسانا ان نصيب الهدف ، بما نبسطه « وان لنا في نية الاخلاص عذراً »

HENRY BORDEAUX

لهنرى بوردو

في ربيع عام ١٩٢٢ م ، استقبلت سوريا ، احد اعظم كتاب فرنسا . وطى الشاطئ ، وقد أخذ وهو في عرض البحر بمنظر صين الشيخ ، المكلل بالبياض ، المتوج بالثلج . قطع سوريا عرضاً وطولاً فلم يترك فيها موضعاً يستزار . ثم عاد الى بلاده العزيزة يحمل لسوريا ، اجمال التذكريات ، واطيب التناء . وما لبث ان تفحصنا ، باول كتاب هو رواية جميلة الخالدة . ثم بثان عن رواد الشرق ، ثم بآخر عن جبل الدروز ، وبث في كتابه الاخير فينا الامل بقرب ظهور كتاب آخر ، يبسط فيه رحلته بعد ان يضمه او فر المعلومات ، ليأتي كتاباً حاوياً لادق التفاصيل ، واعم الفوائد ، فعسى ان نرى عاجلاً هذا الكتاب فيملا ما تبقى من فراغ ، ويسد ما لا يزال من ثلم . وهلم بنا الآن ، ولنتناول كتبه

جميلة في ظلال الارز Yamilé sous les Cédres : هذه الرواية الخالدة — اجل خالدة ! — هي اول ما اطرقتنا به قريحة بوردو عن سوريا ، بعد رجوعه منها . فهي ثمرته الاولى . هي تلك الثمرة التي صور بها ، الحياة اللبنانية القديمة الصحيحة . صورة حية لا غشاء عليها . هي خالية من عمل الخيال وليس بها رائحة للتكلف . واغلب ظننا ان المسيو بوردو هو الوحيد بين الغربيين ، الذين استطاعوا ان يصوروا ويرسموا تلك الحياة بذات الوانها المبهجة والكثيية . دعاها Yamilé . واستعاض بها عن جميلة . ليخفف وقعها على الآذان ، اذ لا يخفى عنا ان من اهم دعائم الادب الفرنسي : موسيقى الالفاظ ان روايته هذه ، فاقت جميع ما كتب من روايات بالفرنسية ، عن بلادنا ، فاميرة يسير بنوى (Pierre Benoit : La Châtelaine du Liban) هي ابعد كثير عن ان تفي الحياة اللبنانية الحديثة ، حقها . وجميلة بوردو ، تفوقها كثيراً ، بما تظهره من عادات واخلاق لبنانية كما هي على فطرتها . في حين ان تلك لا تظهر سوى ما يبعد في كثير من الاحايين عن الحقيقة . فهي وان كانت تعد من احسن ما كتب من روايات لبنانية ، الا انها لا تقارب « جميلة » على كل حال

موضوع الرواية ، ليس الاول من نوعه . ولكنه اكبر عظة ، واشد عبرة ... فتاة

مارونية تعشق فتى كريباً مسلماً. فالفرار، فالمطاردة... فأساءة!! حدثت هذه الرواية بعد حوادث جرت فيها الدماء أنهاراً، ولذا كانت نتيجتها مؤلمة محزنة! حدثت بعد مجازر ١٨٦٠ المؤلمة ولم تكن حوادثها قد غابت عن الاذهان، ولا تزال رائحة الدماء تملأ الجو. لذا كان العقاب حقاً صارماً. وكانت الخاتمة فاجعة!

نحامل كثيرون على بورردو وروايته، وزعموا — وزعمهم باطل — انها تظهر اللبنانيين بغير مظهرهم الحقيقي وانها تبعث التعصب الذميم. ولكنهم لو فكروا لحظة. ونظروا الى الخلف نظرة، لعلوا ان بها لنا عبرة وذكرى تمنعنا عن التعصب، وان ما جاء بها لا يخرج عما كان يحدث في غابر الاجيال. غير ان هذه اكبرها عظمة وامرها نتيجة. وذلك لقربها من عهد الدماء! ومما يؤلنا، ويعز علينا ان اسعد داغر، احد مترجميها (ونظنها ترجمت مرة اخرى. وانما فاتنا الاطلاع عليها) قد قال في مقدمته لها انه (اي المترجم) « جنح الى اغفال فكرة، تمثلها ضارة في مجتمعه، أو مخالفة لمصلحة قومه ». وهذا مما لا يحسن باديب — فضلاً عن كاتب معروف — ان يهجه، اذا ترجم شيئاً. فما يشين المرء ان يحذف امراً، توخاه وقصده الكاتب. وان للترجمة آداباً لا يجب ان تغفل قط. ومن الواجب المحتم على المرء ان يترجم ويظهر كل فكرة المؤلف، واما ان يرفع يده عنها. وله الخيار قبل البدء، وهذا ما كنا نودّ من معربها الفاضل ولعله يتدارك ذلك في طبعة تالية

قرأت هذه الرواية اولاً بالعربية. ومع اني لست من عشاق الروايات. فقد شأقتني جداً، اذ هي نعم الصورة، لحياة لبنان. ثم قرأتها بالفرنسية مثنى وثلاث، ولا ازال اعلل النفس بقراءتها، عند سنوح الفرص. ومما يذكر لبورردو بالشكر، انه أتى للشرق خالي البال من مأرب في تأليف قصة. ولكن اراد حسن الحظ، ان تصادفه هذه القصة الحقيقية. فرواها كما بلغت على علاتها. كما فعل في روايته « (البيت المائت) » (وخيال شارع ميكلائنجلو). فهي تاريخ حقيقي، وليس هو مخترع لها

من عرض البحر والباخرة تمخر العباب تقترب من بيروت، اضطربت عيناه، اذ وقعتا على اجمل منظر حواء لبنان. الثلج يتوّج هامة قمة السماء. تساءل عنه، فكان الجواب انه قمة صين « التي يمكن الوصول اليها بطريق طرابلس والارز ». اخذ المنظر بمجامع قلبه — ومثل بورردو من يقدر الحبال، فهو من الساقوى واحد عشاق جبال الالب الشهيرة، وروادها المتيمين. فاذا ما اثني على لبنان الشيخ المجلل بالبياض، علمنا اي قيمة

اعطاها له — عزم على الذهاب اليه . فاستقل السيارة الى بشري . حيث نزل ضيفاً كريماً ، على احدى عائلاتها الكريمة . وهناك تقدم اليه احد ابطال الرواية ، خليل الخوري (كما دعاه) ليأخذه الى الارز

في اليوم التالي صعدا الى الارز . وهناك تحت اشجاره ، المقدسة بالقرب من وادي القديسين ، سقط خليل على الارض وانتحب .. ما بال الرجل ينتحب ؟ بكى اذ تذكر حبيبته جميلة التي رآها لآخر مرة ، وهي صريخة تسبح في دماها الزكي ، منذ نصف قرن . سأله بوردو عن سبب انتحابه ولوعته وكان الجواب .. هذه القصة الحزنة ! .. روى له عشقه في صباه فتاة ، هي البدر بتمامه ، جميلة ابنة رشيد رحمة احد اشراف بشري وسراتها . خطبها من ايها . وبينما الحب ينمو ويفزو قلوبهما اذ بالدهر الخثون ، يعمل على الكيد ، ويصب بوارق غضبه ذهبوا جماعة الى الارز . ورقصت جميلة تحت ظلاله الوارفة وهناك لأول مرة ، وقع نظرها على عمر بك الحسين ، بطل حياتها وموتها . وكان قد أتى الى الارز ، وبصحبته احد اصدقائه عبد الرازق بك العثمان . تلاقي النظران ، نحقق القلبان :

علق القلب بها لما رنت اي قلب ، بالهوى ما علقا ؟
وتصبّأها ، فامست صبةً وتصبّأه ، فأمسى شيقا !

لاحظ ذلك خليل فأحسّ بما وراء الالكمة وعلم بما يطويه الزمان الغادر من مصائب
قلوب العاشقين ، لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون !

اظهر ذلك لبطرس ، شقيق جميلة ، فتحشر بفرسان المسلمين . ولكن لم ينبجح . فتعارف الفريقان . ثم سافر اشراف عكار الى بلادهم ولكن ما هي الا ايام قلائل حتى عادوا وفي صحبتهم فرس وعد بها عمر رشيداً في الارز واذا بالبيت مقفر من جميلة والفرسان المسلمين . ها قد هربت الفتاة التاسعة ! دوى الصوت والعيول ! اجتمع خوري القرية برشيد رحمة وبعض قرياه وقرروا احضار جميلة حية او مصروعة وانتدبوا المهمة بطرس وخليلاً فامتطيا جواديهما ، وتسلما بندقيتهما ، وطارا لتنفيذ الحكم العادل الصارم ! ويح العاشق المسكين ! ويحه ! انتدب لينفذ العدالة في شقيقة الفؤاد ! وصلاً شرار ونزلاً على احد موارثها . وهناك علما ان عمر سيتخذ جميلة زوجة له . كمنها واستعدا . ولكن حين مرّت ارتخت يد العاشق المسكين . ياله من عاشق تعس ! هكذا زفت جميلة الى عمر ورجما (بطرس وخليل) الى بشري والفشل في ركبهما . ولكنهما بعد مضي شهرين ، بعد موت والدة جميلة التي ماتت قهراً طارا الى طرابلس حيث مسكن عمر والعدالة بين ايديهما وهناك احتللا على جميلة فاخرجتها الخادمة المغرورة الى المقبرة بجوار القلعة عشية

يوم لم يكن عمر فيه في طرابلس. وهناك هجما عليها وقبض بطرس شقيقها عليها. اما العاشق البائس فتردد واخيراً حملها الى بشري. وهنا تبثدي الفاجعة. الفت المحكمة العائلية فسئلت فلم تجب لأن عمرأ ملاً فراغ قلبها، فلم يعد فيه مكان للاجابة. ايها الحسنة اما من جواب؟... صدر الحكم باعدامها. وسلم تنفيذه لبطرس. حاول الخليل انقاذها بالتي والتمس. كذب على القضاة العتاه ولكنها اشارت بكذبه. فعرض ان يتزوجها وحاول ان يهديها سواء السبيل فانتحى بها غرفة اراها ما يكن قلبه لها من الحب والاخلاص، حاول عبثاً ردها ولكنها كانت عنيدة فرددت له انها لا تهوى غير عمر فهي لعمر وهو لها. خرجت من الغرفة واوصد عليه الباب وترك يملا فضاءها بصراخه. حاول تحطيم الباب وهيئات استغاث وليس من مجيب. بعد زمن فتحت منتهى — شقيقة جميلة — الباب فخرج منه كقبلة قذفها مدفع ضخمة سائلا اياها عن اختها: ... في الارز!.. هذا هو الجواب حمل بندقيته عازماً على قتال جلاذيتها. ولكن فات الاوان! واذا بالجلادين قادمين من الارز. لقد نفذ الحكم وانتهى تمثيل الفاجعة! هب يسابق الرياح سقط وقام وتعث ولا يزال للامل بقية في فؤاده المنسحق رحمة له! وصل الى الارز حيث الفاجعة الاولى قد مثلت هناك ونحت ظلاله القدسية الذكية سقطت جميلة قتيلة الرصاص كما سقط قلبها تحته قبلا قتل الحب والغرام! نظر خليل الى جثتها الطاهرة فاذا عمر قد وصل ايضاً بعد فوات الاوان. اراد خليل ان يردي من سلبه حبيبته اولاً ثم سلبه آخر نظرة اليها. ولكن يده ارتخت ايضاً كما ارتخت قبلاً في شرار حين صوب بندقيته الى صدر الحبيب!

هذا ما رواه خليل للمسيو بوردو. وهما تحت الارز ثم ذهبا معاً الى منتهى شقيقة جميلة وهناك اظهر خليل ان قتل جميلة كان جوراً وظلماً ولكن منتهى اصررت انه كان في منتهى العدل والحق!

هذا ما يعرفه خليل، ولكن بوردو توصل لمعرفة، اكثر من ذلك. توصل لمعرفة الحاتمة المفجعة. فقد عاد الى طرابلس، وهناك قابل رفيق عمر، عبد الرزاق بك العثمان وكان لا يزال حياً يرزق — وسأله عن حبيب جميلة. فأخبره انه حاول بعد رجوعه بجميلة من الارز، وهي جثة هامة، ان يثير المسلمين، على الموارنة، ولكن العقلاء الكرام رفضوا ذلك ولما خاب رجأؤه بالانتقام ذهب الى قبر جميلة في سفح القلعة وغمد خنجره في فؤاده فانفجرت الدماء على قبر الحبيبة وبل تراها فدفنوه معها... وهذه هي الفاجعة الثانية...

ميشيل سليم كيد

السودان

اسدل الستار وانتهت المأساة!!



الجزية والخراج في أوائل الاسلام

سياسة الخلفاء الاقتصادية

٢

الجزية والخراج

ظهر العرب من جزيرتهم واخذوا يزحفون الى البلاد المجاورة ويدوّنونها وهم على جانب قليل من الحضارة والعلم بادارة البلاد وليس لهم دواوين مدوّنة ولا نظام معلوم للضرائب الا نظام الاعشار او الزكاة او الصدقة^(١) الذي ورثوه عن اجدادهم او اخذوه عن جيرانهم وبعض احاديث عن سنة النبي في ما يتعلق بالضرائب التي وضعها على اراضي اليهود والمشرّكين والنصارى كالتخميم والتنصيف . وكل هذا قليل قد يصلح لبلاد كبلاد العرب في اوائل القرن السابع والقرن العشرين لكنه لا يصلح لبلاد قطعت من الحضارة شأواً بعيداً كدولة بني ساسان ولايات بزنطية الجنوبية ومصر حيث كانت الحضارة والتجارة والفلاحة في ارقى درجة . ولهذا لم تكد الجيوش العربية تحتل البلاد المذكورة حتى اخذ عمر منظم الدولة العربية وواضع دستورها يبحث عن نظام للضرائب جديد يضمن لبيت المال مصلحته ولا يكون مجحفاً بحقوق الاهالي الذين دخلوا في ذمة المسلمين فكان له^{أما} ان يتبع سنة النبي في الجزية واما ان يسير في طريق آخر اقتضته الاحوال وسنة التطور . فرأى بعد التحري والتفكير ان يقرّ الاراضي في ايدي اصحابها السابقين ويأخذ منهم الجزية التي كانوا يؤدونها لاصحاب السلطة قبله فكان من ذلك ان اتبع في السواد وبلاد فارس وتوابعها النظام الفارسي او نظام بني ساسان وفي سوريا ومصر وشمال افريقيا النظام البزنطي وهو ما يؤيده البحث التاريخي ولا ينكره كُتّبة

(١) العشر والصدقة والزكاة واحد قال ابو يوسف (ص ٧٥) « الصدقة على المسلمين والجزية على اهل الذمة » وقال في موضع آخر ان اهل الصدقة هم اهل الفاء ويغلب على ظني ان كلمة زكاة مترجمة عن اليونانية déka (عشرة — déka) او عن diki (diki بمعنى العادة . العرف . العدل الحكم . البراءة . الرخصة (الجواز) الجزاء . الغرامة وربما الضريبة ايضاً ومنها زكى اي ادى ما على ارضه او بضاعته من الضرائب (خلصها) ثم استعملت لمان اخرى ادبية ودينية . وقال ايضاً « العشر زكاة » (ص ٦٩ و ١٧) وذكر البلاذري ان الصدقة والعشر واحد (فتوح البلدان ٣٦٨)

المسلمين. قال الماوردي في « الاحكام السلطانية » (ص ١٣٢ — ١٣٣) « ان عمر حين وضع الخراج ^(١) على سواد العراق ضرب في بعض نواحيه على كل جريب قفيزاً ودرهماً وجرى في ذلك على ما استوفقه من رأي كسرى بن قباد » وقال القاضي ابو يوسف في كتاب الخراج (ص ٣١) ان عمر بن الخطاب « لما اراد ان يمسح السواد ارسل الى حذيفة ان ابعث الي بدهقان من جوخي وبعث الى عثمان بن حنيف ان ابعث الي بدهقان من قبل العراق فبعث اليه كل واحد منهما بواحد ومعه ترجمان من اهل الحيرة فلما قدموا على عمر قال كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم في ارضهم ؟ » وهكذا فعل في الشام ومصر وسائر البلاد المنسلخة عن دولة البرنطين. وهذا ولا شك اهم اسباب الاختلاف بين احكام الجزية او الخراج في العراق وبلاد العجم ومثلها في سوريا ومصر كما سنبينه في محله. ولعل عمر اضطر ان يتبع هذه الحطة اولاً لان دواوين الاراضي المفتوحة لم تكن بعد نقلت الى العربية وثانياً لان الفتوحات العظيمة التي تمت في ايامه شغلته واصحابه عن الانصراف الى هذا العمل فتركه الى خلفائه ^(٢) وانصرف الى ما هو اهم في ذلك الوقت . على ان هذا لم يمنع ان ينظر احياناً في الانظمة التي اتبعها ويدقق في امر الضرائب وموارد الخلافة كما يستفاد من اقوال بعض المؤرخين والفقهاء . فقد ذكر ابو يوسف ان عمر قال للدهاقين الذين دعاهم ليستفسر منهم عن مقدار الضرائب التي كانوا يؤدونها الى الاعاجم وعن طريقها « لا ارضى منكم هذا ووضع على كل جريب عامر او غامر يناله الماء قفيزاً من خطة وقفيزاً من شعير ودرهماً » (ص ٢١) وقال في موضع آخر (ص ٢٢) ان عمر قال لما رفع اليه ما فعله عثمان بن حنيف في السواد « انهم يطيقون اكثر من ذلك » فاذا صحت هذه الاخبار يكون عمر قد ادخل شيئاً من عنده على انظمة الضرائب التي وجدها في البلاد المفتوحة . الا انه يغلب على ظني ان هذه الاخبار وضعت بعد وفاة عمر بمدة طويلة وهي تنبئ عن امور جرت في غير خلافة عمر ثم نسبت اليه والا صعب علينا ان نوفق بينها وبين ما جاء عن الخليفة المذكور من حبه للعدل والرفق باهل الذمة وانه كان يتبع في ذلك سنة النبي الذي جاء عنه في الحديث انه قال « من ظلم معاهداً او كلفه فوق طاقته فانا حجيجه » وانه تكلم يوم حضرته الوفاة وقال « اوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ان يوفي لهم (لاهل الذمة) بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم » ^(٣) زد الى ذلك ان عمر كان يطلب من عماله في الامصار وجباة

(١) الخراج هنا بمعنى الجزية (٢) معلوم ان ديوان الرومية وديوان الفارسية لم ينقلا الى العربية الا في ايام عبد الملك والحجاج (فتوح البلدان ١٩٣ و ٣٠٠ — ٣٠١) (٣) كتاب الخراج لابن يوسف ص ٧١

المال « ان يقصدوا العدل فيما بين اهل الارض وبين اهل النية من غير زيادة نجح
 باهل الخراج ولا نقصان يضر باهل النية » ^(١) . ولا ريب في ان من يدقق في
 اقوال مؤرخي العرب عن سياسة عمر الاقتصادية واقواله في وجوب مراعاة العدل
 ويدرس احوال البلاد المغلوبة درساً منزهاً عن الغرض لا يسعه الا ان يقرر بان الجزية
 التي كان يؤديها اهل الذمة في خلافته لم تكن باهظة ولا مجحفة بحقوقهم وهو
 ما يقول به مستشرقو اوربا ايضاً ^(٢) . فقد أجمع اصحاب التاريخ وكتب الخراج او
 كادوا يجمعون ان جزية مصر كانت في خلافة عمر دينارين على الحالم ما عدا النساء
 والصبيان والشيوخ وكانت جزية اهل السواد درهماً وقفيزاً على كل جريب ومائة واربعين
 درهماً على رأس الموسر واربعة وعشرين على الوسط واثنى عشر على الفقير او العامل يده
 او الصانع ^(٣) فاذا صح ذلك كان ما اقره عمر على اهل الذمة من الجزية يتراوح بين
 دينارين ودينار اي نحو جنيه ونصف جنيه مصري على رأس الحالم كان يؤديها ورقاً
 وذهباً او عرضاً كالذواب والمتاع وخراج الارض كما كانت الحال في ايام الاكسرة
 والرومان والبرنطيين . وهي جزية معتدلة اذا قابلناها بما يؤديه الفلاح اليوم في
 سوريا ومصر والعراق . واذا اعتبرنا ان اهل الذمة لم يكونوا في ذلك العهد يؤدون
 غيرها من الضرائب لا على بيوتهم ولا على تجارتهم الخ وذلك لان الجزية كانت وقفاً
 ضريبة واحدة تشمل كل ما وضع على رقاب اهل الذمة وعلى اراضيهم معاً اذ انهم لم
 يكونوا في اول الامر يفرقون بين رقاب الناس ورقاب الارض وكانت الجزية تؤخذ
 من رقاب او عدد سكان القرية او الرستاق بالتخمين لا عن مساحة الارض ^(٤)
 وقد بقوا متبعين هذا النظام الى اوائل حكم بني امية — كما ارجح — حين بدأوا
 يفرقون بين ضريبة الرؤوس او الرقاب وبين ضريبة الاراضي او بالاحرى خراج
 الاراضي او ايجارها فسموا الضريبة الاولى جزية واطلقوا على الثانية كلمة خراج وهي كلمة
 يونانية ^(٥) كانت دارجة في مصر وسوريا قبل ان يفتحهما العرب وكانت تستعمل للدلالة
 على ما كان المزارع يؤديه عيناً لصاحب الارض اي للحكومة او البلدية ^(٦) او الدير او
 المالك الذي يؤجره ارضه على شروط معروفة وهم في كل ذلك يتبعون نظام الضرائب
 البرنطي او الفارسي الذي كان يفرق بين ضريبة الرؤوس Epikēp hāleon (رأسية)

(١) الاحكام السلطانية للهاوردي ١٣٣ (٢) انظر Becker H. Islamstudien ٢٣٥ — (٣) ابو يوسف . . . — ٦٩ (٤) انظر كلمة «جزية» في Encycl. Musulmane (٥) يجد القارئ تفصيل هذا الرأي في باب الاخبار العلمية (٦) Metropoleis (امهات القرى)

أو andriston (وجولية) ^(١) وبين ضريبة الاراضي او الخراج. الآن العرب لاسباب سوف تذكرها لم تفلح عند هذا التعريف اليقين بل اخذت تخلط بين الكلمتين وكانت تارة تسمي الجزية خراجاً وطوراً تطلق كلمة خراج على الجزية والخراج الى غير ذلك مما استدرج بعض الكتبة المتأخرون الى الخلط وجعلهم يمدون الجزية والخراج من الكلمات للزيادة وهو ما يجب الانتباه له حذراً من اللبس وسوء الفهم. وقد شاع هذا الاستعمال في الامم بني العباس حتى ان ابا يوسف معاصر هارون الرشيد لم يكن يفرق بين الجزية والخراج كما يؤخذ من عباراته الآتية: «الجزية بمنزلة مال الخراج» ^(٢) و«اول من فرض الخراج رسول الله فرسه» على اهل هجر على كل حال ذكرنا وانني فلما كان عمر فرض على اهل السواد ^(٣) وهذا خطأ يشن لان الرسول لم يكن يستعمل كلمة خراج بمعناها الاصطلاحي وكل ما ينسب اليه من هذا القيل نحو في استعماله كان يكون الكاتب اراد بكلمة جزية في العبارة المذكورة آتياً الخراج كما يظهر من عبارة اخرى جاء فيها «ان رسول الله اخذ الجزية من محوس هجر» ^(٤) وعبارة ثالثة قيل فيها «ان رسول الله اخذ منهم الخراج لاجل كتابهم» وذكر عن الشعبي انه سئل عن مسلم اخنق عبداً نصرانياً فقال ليس عليه خراج ولا يترك ذمي في دار الاسلام بغير خراج وانه ^(٥)

فان ترى من الامثال التي ذكرناها ان ابا يوسف لم يكن يفرق بين الخراج والجزية فهو يستعمل كلمة خراج للدلالة على الجزية وبالعكس ومنه البلاذري ^(٦) والماوردي ^(٧) وغيرهم من كتبة الصور السياسية. ومن اسباب هذا الخلط ان العرب المسلمين لم يكونوا يعرفون في بادى الامر معنى الخراج الحقيقي فكانوا يستعملونها بمعنى الخرج او الدخل على الاطلاق كما يظهر من حديث المديني الذي ذكرنا سابقاً فلما عرفت ان الكلمة مشتقة من طاعة عرفت ان معنى الخراج هو الخرج من طاعة المسلمين الى طاعة الكفار او الخرج من طاعة الكفار الى طاعة المسلمين كما يظهر من حديث المديني الذي ذكرنا سابقاً فلما عرفت ان الكلمة مشتقة من طاعة عرفت ان معنى الخراج هو الخرج من طاعة المسلمين الى طاعة الكفار او الخرج من طاعة الكفار الى طاعة المسلمين كما يظهر من حديث المديني الذي ذكرنا سابقاً فلما عرفت ان الكلمة مشتقة من طاعة عرفت ان معنى الخراج هو الخرج من طاعة المسلمين الى طاعة الكفار او الخرج من طاعة الكفار الى طاعة المسلمين كما يظهر من حديث المديني الذي ذكرنا سابقاً

أما أهم أسباب هذا الخط وهو (١) لما كان الخراج اعظم الضرائب وأهمها وكانت تتوقف عليه حياة الدولة ومصلحتها (٢) تباينت هذه الضريبة في النسخ على سائر الضرائب وانما هي كانت كالتجزئة تباينها في استفاضتها — هربا من البس — بكلمة أخرى كالبس (ج. ج. ر. ل.) فصاروا بطلقون كلمة خراج على جميع الضرائب ومنها الجزية كما عرفنا إلى ذلك سابقا. واقوى من كل ذلك أن المسلمين بعد أن كانوا يؤدون في بلادهم الضريبة أصبحوا بعد أن انتقلت إليهم أكثر الأراضي المفتوحة بطريق الانتفاع أو الانتزاع أو الاغتصاب أو الحياوات وبعد أن اختلج الإسلام أكثر سكان البلاد المذكورة — يؤدون عن أراضي الخراج كامل القيمة الذين ظلوا محتفظين على دين أجدادهم فادعى ذلك إلى انتشار كلمة خراج لأن أكثر الأراضي صارت خراجية والمطلة كلمتا عشر وجزءا وقد ساعد على ذلك أن أدرك القيمة مع القانون في البلاد الإسلامية لم يوجدوا يؤدون الجزية — ضريبة الرؤوس — أو صاروا يؤدونها فادعى جدا لأن الدول الإسلامية لم تعد تكثر لها لفظا وادعى القريب أن المتقدمين من كتبة المسلمين كانوا يوسف رضي بن آدم والبلاذري والبكري والبارودي وغيرهم ظلوا يستعملون كلمة خراج البس الأصلية الجزية حتى بعد أن وقعوا على معنى الكلمة الحقيقي وحدوده ببارات تكاد تكون موزعة حروفاً عن اللفظة أو اليونانية كما يؤخذ مثلا من عبارة البارودي وهي « أن الخراج في لغة العرب (٣) اسم الكراء والثلثة (٤) وهو في الحقيقة مثله الأصلي لأن Chawar في البرانية كانت تستعمل في الولايات البزنطية البخرية والخرية للدلالة فقط على مقدار ما كان يؤدى عن أو نقداً — لنفاج المستأجر أو المستغل من الأجر لصاحب الأرض الذي كان يؤجر لأرضه على شروط مختلفة تكاد تكون هي في أيام الفراعنة والتأخرين والطلبة والرومان والبيزنطيين أو في أيام العرب (٥) حتى أوائل حكم بني أمية وقد اشرنا في ماضي إلى أن هذه الشروط لم تكن في الدول المذكورة باهظة ولا بخفة بحيثوق الأهل وهو ما حثب أهالي البلاد إلى العرب وحملهم على مساعدتهم على ما جاء في كتاب الخراج لابن آدم وقرع البلدان للبلاذري إلا أن هذه الحالة الرضية لم تطل كثيرا لأسباب التي سنأتي على ذكرها في مناقشة الآتية

على ما ذكره في مناقشة الآتية بأحواله بدلى جوزي

(١) قال جسر بن يحيى البرمكي « الخراج عماد الملك » (انظر عيون الأخبار لابن قتيبة)
 من الطبعة الأوروبية (٢) الأحكام السلطانية من ١٨٤١ (٣) قال يحيى بن آدم (كتاب
 الخراج ١٨) « فلما ظهر المسلمون على أهل فارس تركوا السواد ومن نظامهم من البس والدمائين على ما هم
 وما كانا قبلوا في الشام ومصر

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن المهددة فيما يدرج فيه على اصحابه فحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظر لك نظيرك (٢) انما الفرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فلعلالات الوافية مع الاجياز تستنار على المطولة

هل أصاب الدكتور الجوزي ؟

نشر الاستاذ بندلي الجوزي في مقتطف مايو سنة ١٩٢٩ مقالاً عنوانه « الجزية والخراج » في اوائل الاسلام — سياسة الخلفاء الاقتصادية ؟ وقد مهد لمقاله بمقدمة قال فيها ان اعظم اسباب سقوط الدول العربية هو سوء سياستها الاقتصادية ، فلم نستغرب منه ذلك ، لان هذه ليست المرة الاولى التي يقف فيها الاستاذ مدافعاً عن التفسير الاقتصادي للتاريخ ، ونحن نعرفه جيداً ميسال الى هذه النزعة متطرفاً بتطبيقها قسراً على مختلف نواحي تاريخ العرب منذ نشر كتابه في الفكر الاسلامي

وليس غرضنا من الاعتراض أن تناقش هذا الزعم كما ليس من غرضنا ان نتحدى الاستاذ بقولنا كيف يتوصل الى معرفة الاسباب في العلوم الطبيعية والاجتماعية — أو بالحري هل يمكن التوصل الى معرفتها ؟ وذلك لأننا على يقين انه لا يمكن الوصول الى نتيجة حاسمة. وليس من غرضنا ايضاً أن نعتز على قول الاستاذ « ان القرآن — الا بضع سور منه — هو كتاب أصول عامة بل هو كتاب ادبي ديني قبل كل شيء لا مجلة احكام او مجموعة اجاث في علوم مختلفة (؟) فهو يبين او بالاحرى يذكر بعض المبادئ العامة ويترك لأصحاب الاجتهاد ان يستنتجوا ما شاءوا . . . » الى ان يقول « بناء على ذلك لا يجب (كذا) ان نستغرب خلو القرآن او تقريباً خلوه (؟) من التفاصيل العملية والاحكام القابلة للتغير بتغير الزمان والمكان » — نقول ليس من غرضنا الاعتراض على هذا القول لأن شرطه الأول ليس بالجديد عند الواقفين على آراء المستشرقين ولأن الشرط الثاني فيه من الغلو والبعد عن البحث العلمي المدعوم بالبراهين ما يجعله غير جدير بالمناقشة

انما اعتراضنا على الاستاذ مقصور على قوله « ان النبي العربي لم يفكر قط (؟) في بناء مملكة ضخمة كاحدى الممالك التي ذكرناها — مملكة اسكندر وامبراطورية الرومان

وممالك المغول والترك — بل جل ما كان يرمي إليه ان تنتشر دعوته بين العرب «
ولسنا ندرى كيف توصل الاستاذ الى هذا الاستنتاج ، ولسنا ندرى كيف جَوَزَ لنفسه
ان يحزم جزماً باتناً في معضلة خطيرة مثل هذه دون بحث او مناقشة. ولعله تابع في ذلك
السير وليم ميور Sir, William Muir والبرنس كايتاني Prince Leone Caetane
اذ يقول الاول ان الفكرة القائلة بوجوب اخضاع العالم لسلطة الاسلام جاءت متأخرة
في تاريخ العرب . ويقول الثاني ان محمداً لم يطمع الى ما وراء حدود الجزيرة العربية ،
بل ان دائرة آماله في هذه الرقعة لم تتعد نطاقاً ضيقاً . فاذا كان الاستاذ قد جاراها في هذا
الزعم او انه توصل الى النتيجة ذاتها بنفسه ، فمن الواجب العلمي أن يذكر ازاء هذا
الرأي عدة آراء تناقضه : نذكر على سبيل المثال منها آراء الدكتور غولدنهير
Goldziher والسير أرنولد Sir T.W. Arnold

وما كان للاستاذ أن يتناسى ، فوق كل ذلك ، سلطة القرآن والحديث والاصول
العربية ، عند ما قرر رأيه في هذا الامر المهم . فنحن وان كنا لا نستطيع ان نتغلغل
في صدور الرجال ، لنحس ديب آمالهم ، ونلمس كوامن نفوسهم ، حتى نحكم على دوافعهم
وأمانهم — فان الباب مع ذلك مفتوح على مصراعيه لمن يود ان يدرس بانصاف وتجرد عن
كل غرض. هذا الباب هو الشواهد التاريخية والنصوص التي لا شك في أصالتها وصحة روايتها .
وليس اصدق من القرآن والحديث والاصول العربية في تفسير ما غمض من حياة النبي
وفي معتقدنا ان القرآن اصدق نص تاريخي يمكن الاعتماد عليه كل الاعتماد عند البحث
في حياة الرسول . وكان القرآن ، كما هو مشهور ، ينزل بحسب الظروف والاحوال . ففي
بدء الدعوة الاسلامية ، يوم لم يكن عدد المسلمين يتجاوز عدد الاصابع ، هدف الوحي
(سورة الشعراء آية ٢١٤) ان « انذر عشيرتک الاقربين » . ولكن سرعان ما اتسع
هذا الافق الضيق بانتشار الاسلام ، فاضى من واجب النبي ان ينذر ، ليس فقط عشيرته
الاقربين ، بل ايضاً « أم القرى (مكة) ومن حولها » (سورة الانعام آية ٩٢) — وهكذا
الى ان اعترى الاسلام ، وصار بإمكان الرسول ان يناضل عن الدين بلا خوف ولا وجل
عندها جاء الوحي (سورة سبا آية ٢٨) « مُعَلِّناً » وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً
ولكن اكثر الناس لا يعلمون » « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (سورة الانبياء آية ١٠٧)
هنا بات من واجب النبي أن يدعو جميع الناس من عرب وعجم الى « دين الله » . ولواردنا
إبراز جميع الشواهد القرآنية المتعلقة بهذا البحث لضاق دونها المقام ، على اننا نود ان
نلفت النظر ، فوق كل ما ذكرناه ، الى ان الله الذي كان محمد يدعو الناس في سبيله هو

« رب العالمين — ربكم ورب آبائكم الاولين ». ولم يرد ذكره كاله خاص بالعرب قط . فالاسلام اذا جاء للناس كافة ، لا للعرب وحدهم . ومحمد ، كني أمين ، لا يمكن قط (هنا نستطيع استعمال هذه الكلمة) ان يتقاعد عن تنفيذ أوامر الله ، ونشر دينه في كل الارض . كيف ؟ بالموعظة الحسنة وبالجهاد ، وبغيرها من ضروب الدعوة

أما الاحاديث فتدل على ما يدل عليه القرآن أيضاً : قال فلهـوزن Wellhausen المستشرق الالماني الشهير ، نقلاً عن الواقدي الصحابي المؤرخ ، ان النبي قال ما معناه « ارسل الله جميع الانبياء قبلي كل الى أمته ، واما أنا فقد ارسلت كافة للناس ». ويروى أن الرسول قال لبلال على طريق تبوك ما معناه « وعدني الله خزان الفرس والروم » وأما التاريخ فيثبت ما جاء بالقرآن والحديث . فالاصول العربية تجمع على ان النبي أنفذ جيشاً تحت قيادة زيد بن حارثة الى مؤتة . وهي تجمع كذلك على أن النبي قاد بنفسه جيشاً الى تبوك . والظاهر أن الرسول كان يمهّد السبيل لفتح عام لولا أن قبضه الله الى جوارحه ، فأهاب بالصعابة وهو على فراش الموت أن سيروا الى سوريا ولا تتوانوا !! ويحدثنا التاريخ بشيء أهم من ذلك ، وهو أن النبي ارسل الى كسرى وقيصر والمقوقس والحاتر أمير غسان — ملوك العالم المعبود آنئذ وحكامه — يدعوهم فيها الى الاسلام . ويقول الطبري ، شيخ ثقات مؤرخي العرب ، أن محمداً لم يتنازل عن شيء من اجزاء هذا العالم فهو ولا شك كان يرغب في التسيطر عليه (تاريخ الرسل والملوك للطبري — مطبوعة الاستاذ دي غويه — المجلد الاول ص ١٧٤٩)

قلنا اننا لا نستطيع ان نتغلغل في صدور الرجال لتعرف دوافعهم ومع ذلك فلا نستطيع « تفسير » جميع هذه الشواهد والحوادث الراهنة الا بشيء واحد ، وهو ان النبي كان يرمي الى نشر دينه ، ليس فقط بين العرب في شبه الجزيرة ، بل كان يرى من الواجب عليه كرسول امين لله أن يجاهد في سبيله لنشر الدين بين جميع الناس قال الاستاذ دي غويه De Goeje ان وصية النبي كانت من اهم اسباب فتح سوريا . وكان نشر الدين هذا بالجهاد في سبيل الله فتحاً وتغلباً كان يتلوه عادة ملوك سياسي لا صلة مباشرة له بالدين . وكانت الحروب التي ما كاد محمد يلفظ أنفاسه الاخيرة حتى هب الخلفاء الى انارتها على الامبراطوريتين القديمتين من مظاهر هذه الدعوة ، ومن وسائل تحقيق تلك الغاية . وكان محمد الذي ائتمنه الله على نشر دينه ، وحباه من لدنه سلطة ليقا تل اعداءه ، اظهر تلك المظاهر ، لا بل رمزها وروحها هذه ملاحظتنا على رأي الاستاذ الجوزي ، لم يدفعا الى كتابتها سوى نصرة الحق

الوردة الذابلة

يا وردة فوق الهضاب ابكيك ام ابكي الشباب ؟
 آنت هذا الكون حيناً ثم آب بك المآب .
 يا ربما ابتسم الصبا ح فكنت آيته العجاف
 قبلت منه وجهه فضى أرجأ يستطاب
 وسرى برّياك النسي م وشاق رؤيتك الصحاب
 ولطالما حنّ الندي — م اليك من بسط الشراب
 الحسن انت وان رآ ه القوم في خود كعاب !!
 ضلّوا فبات غرامهم في حسن زينب والرباب
 يا حلة قد صاغها فوق الثرى كف السحاب
 ماذا بجنبك من جوى حتى تشقق ذي الثياب ؟ !
 والله شجوك مسّني والحزن يعلمه المصاب !
 طوت الليالي دفتسي ك كما طوى المرء الكتاب !
 واستعجلتك يد المنو ن فهم حسنك بالذهاب
 وبدا الغضون بجانيه ك كأنها رقم الحساب
 عانت هذا الدهر في ك وشأنه رفض العتاب
 ايدوم بعدك جندل ويزول حسنك في التراب ؟
 يا كوكبا وافي فله ا أن رأته العين غاب
 ابكي شبابك ام صبا ي كلاهما مثل السراب
 لا تجزعي فالكل في هذي الحياة إلى تباب
 المحمودية عبد الغني الكتبي

ترجمة « افانجيلين » لونغفلو

طلعت اليوم في المقتطف سؤال مستفيد لبناني — هل ترجمت « افانجيلين » لونغفلو الى لغة العرب ؟ فاستجوا لي ان اجيب السائل بان المعلمة جنيفاف طعمه قد ترجمتها نثراً الى لغتنا العربية وهي احدى بنات الشوير ، تلميذة مدرسة الاميركان في طرابلس التي نالت شهادتها سنة ١٨٩٢ . ونشرتها في جريدة لبنان عام ١٨٩٨ وطبعها على حدة في المطبعة العثمانية في بعبداء مركز المتصرفية ، في ٢٥ صفحة بيروت جرجي باز

بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ

وَسَبَبُ النِّزَالِ

قد فتحننا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدير الصحة والطعام واللباس والشراب والسكن والزينة وسير شهور النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في الشعر العربي

اكثر ما يدور الشعر العربي القديم على ثلاثة اغراض هي المرأة ، والحرب ، والحمر ، فاذا انت جردته من هذه الثلاثة فقد ذهبت به كلهُ
واذا علمنا ان العربي لم يحارب الا دفاعاً عن المرأة ، او الحمى الذي فيه المرأة ولم يشرب الحمر الا لذكر المرأة او ينساها ، ثبت لدينا ان المرأة هي انسان عين الشعر العربي وبيت قصيده منذ كانت بدوية تمخض الزق وتلبس العباءة وتأوي الى خيمتها في الصحراء الى ان صارت حضرية تلبس الوشي وتسكن القصر وتمشي تنكسر في مشيتها لرخاء العيش لم يترس واحد بالشعر في ايام الجاهلية وبعدها الا وصف المرأة ، وشبب بالمرأة ولكن على كثرة الشعراء ووفرة ما حاكوا من القوافي حولها يدهشك ان تبحث عنها في قصائدهم فلا تجد غير دمية منحوتة مصقولة قد تكون على كثير او قليل من الجمال ولكنها ليست على كثير من الحس والشعور الا في بعض مواقف الحب حيث تظهر المرأة على المسرح خائفة مضطربة كأنما خلقت لتكون سرّاً مضمراً في خاطر الدهر
تقرأهم وهم الشعراء الذين دقت افهامهم وصفت ارواحهم فاذا المرأة عندهم اما طرف كحيل وخذ اسيل وشر طويل وخصر نحيل واما بدر يضحك عن لؤلؤ او غصن يرفل في الحز ويمشي ويتكلم او ظبية تفرس الاسود وتشق بألحائها القلوب قبل الجلود
ثم تقرأهم وهم العشاق الذين لطفت مشاعرهم واناار الحب قلوبهم فيشجيك منهم انهم لا يرون في المرأة غير ما يراه منها شاب جاهل ينظر اليها من نافذة الهوى الفاني فهي اما هاجرة تتجنى ولا شيء فيها غير انها هاجرة تتجنى يجب استعطافها واسترحامها واما ممنوعة دونها الرقباء فيجب ذم الرقباء والشكوى منهم واما انها دانية مطاوعة ولا شيء غير انها دانية مطاوعة

أما قلب المرأة وما فيه من الاحاجي والاسرار
 وأما وجدان المرأة وما فيه من الاشواك والازهار والآصال والاسحار
 وأما عواطف المرأة وهي تيار لا يتكشف الا عن تيار
 وأما نفس المرأة وما فيها من نور ونار
 وأما المرأة نفسها وهي ذلك الكائن العجيب الجبار
 فليس لها أثر بين في الشعر العربي منذ كان حداً وخيباً ورجزاً الى ان صار قصائد
 وموشحات على كل وزن ولحن

ولا غرابة في انصراف الشعراء قديماً عن كل ما في المرأة من المعاني الى ما تناله
 ابصارهم منها فقد جاء عليهم دهر لم تكن المرأة فيه اعلى منزلة من بقرة الوحش التي شبت
 بها من بعد . ثم كان عهد كانت فيه عاراً يجب ان يطمس ولو برماد الجريمة . وتلاه زمن
 قضى فيه على المرأة ان تكون احدي اثنتين اما قنية تحترن ، أو قينة تشرى وتباع
 ويستطاع القول ان المرأة التي عرفت في الشعر العربي هي التي كان يمكن ان يقال عنها
 انها جميلة ، أما المرأة في أدوارها الاخرى ، في طفولتها وكهولتها وأما البنت والاخت
 والزوجة فقد خلا الشعر منها الا قليلاً لا ينفع غليلاً . حتى ان حظ الناقة العجاء كان من
 هذا الوجه اكبر من حظها . وتلك خطة لم ينفرد بها الشعراء الا قدمون وحدثهم بل كان
 الرجال كلهم كالشعراء من حيث تجاهل وجود المرأة والجهل باسرار نفسها . وربما كانت
 المرأة نفسها تجهل ما فيها من قوة ولا تفهم ما لها من حق . ولعل ذلك منشؤه ان « البيت »
 بمعناه المعروف اليوم لم يكن له أثر في تلك الازمان وانما كان للمرأة مجرد اخباء تستر
 به عن الرجال . أما الرجل فكان يأوي اليه في آخر النهار بعد سفر او معركة او مساجلة
 ليخفف عن نفسه عناءها كما يذهب الرجل اليوم الى المقهى أو النادي للتلهي

وكيفما عللنا هذا الامر فالتنازى في الشعر العربي القديم صورة صادقة للزمان الذي
 قيل فيه . ولا يعاب شعرهم على ما فيه من الفراغ الهائل من هذه الناحية . فالمرأة لم تكن
 الا كما صوروها . واذا كانوا قد اقتصروا على ناحية واحدة منها فلا ان النواحي الاخرى
 لم تسفر لهم عن وجوهها . وأما الذين يحق لنا ان نلومهم فهم الشعراء العصريون الذين ما
 برحوا بصورون المرأة في شعرهم على ما بلغت وبلغوا هم من الحضارة — كما كان يصورها
 شعراء الجاهلية وغيرهم ممن جروا على آثارهم وركضوا في ميادينهم فانها لا تزال عندهم
 تلك الدمية الحسنة . ووجهها قر وقدها غصن بلا ثمر . واسنانها درر . الخ !
 ويميز نك ان تجد من الناس من يطرب لوصف وجه المرأة بالقمر ، وتشبيه قدّها

بالخيزرانة ، وجبينها بالفجر . وان يردد عند سماعه هذه الاوصاف في دهشة واكبار القول الماثور « ان من البيان لسحرا ! »

ان المرأة اكثر من وجهها وشعرها ، وخديها وثغرها وجيدها ونحرها وقامتها وخصرها — فوراء هذه كلها الوف من الصور الجميلة التي لا عذر للشاعر اذا هو لم يتبينها ، ولا فضل له اذا هو رآها ولم يصورها لمن لا يراها . فليس احق من الشعراء بالنقيب عما في نفس المرأة وقلها من الكنوز الثمينة . فاذا لم يفعلوا وهم الامراء في مملكة الارواح . حق للناس ان يثوروا عليهم ثورة هوجاء تدحرجهم عن عروشهم . لانهم لم يحسنوا سياسة مملكتهم . « وكل من لا يسوس الملك يخلعه » كما قال ابن زريق البغدادي

ولعمر الحق . اي خيال هذا ؟ ان يقول شاعر تقدمك بالف سنة ، ان وجه المرأة كالقمر فتقول انت ان وجهها هو القمر ! وان يزعم انها تضحك عن برد نظيم . فتردد انت هذه الاستعارة كانك الصدى !

ليس من الغبن على المرأة ان تبقى حقيقة مجهولة في الشعر العربي الذي وسع كل شيء ؟
ليس من الغضاظة على الشعر العربي ان لا يشتمل من المرأة الا على ظاهرها ؟ لقد تبوأ المرأة مكانها في الشمس فيجب ان تتبوأ مكانها في الشعر
« السمر »
ايلى ابو ماضي

مرام كورى

مباني وعملي

فازت بجائزة نوبل مرتين : مرة بجائزة الطبيعيات والثانية بجائزة الكيمياء
ولعلها الانسان الوحيد الذي فاز بذلك

ولدت في فارسوقيا سنة ١٨٦٧ حيث كان ابي استاذاً في احدى كليات المدينة . وتلقيت العلوم في مسقط رأسي ثم علمت بضع سنوات وكنت منذ نعومة اظفاري شديدة الميل الى العلم وادرك ابي ذلك فساعدني على تقوية هذا الميل وتدريبى على اساليب البحث العلمي . وفي كلية العلوم بياريس تعلمت ثلاث سنوات فاكملت دروسي العلمية وفزت بشهادة في العلوم الرياضية والعلمية . هناك التقيت بالاستاذ بيير كورى فنزوجنا سنة ١٨٩٥ ولكنني كنت قد تعلقمت على البحث العلمي في المواد المشعة فكان زواجنا كان عقداً معنوياً على اشتراكنا في متابعة عملنا العلمي

وقف زوجي حياته على البحث العلمي واشتركت انا معه في ذلك لذلك بقيت في فرنسا وطني الثاني من غير ان افقد الصلة التي تربطني ببولونيا وطني الاول

بقيت سنوات كثيرة اجري مباحثي وتجاربي في مدرسة الطبيعيات والكيمياء فدرست اولاً علم المغناطيس وكان من نتيجة درسي ان جمعية ترقية الصناعة الوطنية نشرت كتابي الاول وموضوعه « العناصر المعالجة كيمياوياً وصفاتها المغناطيسية ». فكان له وقع حسن في الاندية العلمية مما شجعني على الاستمرار في البحث فاخذت اعالج اشعاع الاورانيوم ومركباته وكان هذا الاشعاع من الظواهر الطبيعية التي كشفت حديثاً فاكشفت مع زوجي ان هناك عناصر مشعة في بعض المعادن ووالينا التجربة والامتحان حتى كشفنا عن عنصر ي البولونيوم والراديوم . واستخراج هذين العنصرين من المعادن التي يوجدان فيها امر صعب حتى على الباحث العلمي في هذا العصر فاحر به ان يكون شاقاً منذ ثلاثين سنة او ازيد حين كان هذا الفرع من فروع الطبيعيات لا يزال في مهدهم

وبعد تجارب دقيقة ومعقدة نجحت في استفراد بعض ذرات دقيقة من عنصر الراديوم وتعيين بعض صفاته الجوهرية. وكان لا بد للقيام بهذا العمل من الصبر والمثابرة لان الادوات التي كنا نشتغل بها كانت لا تزال غير وافية بالغرض ومقدار الاملاح كان ضئيلاً . ثم درست مع زوجي خواص البولونيوم والراديوم وكشفنا عن ظاهرات طبيعية جديدة تسبب فيها الانارة او الاشعاع . ودرست كذلك الشحنات الكهربائية السلبية في بعض الاشعة فاعترف العالم العلمي لنا بما بذلناه من الجهد وكافأنا بالاشتراك مع الاستاذ مكرل الفرنسي بجائزة نوبل للطبيعيات عن سنة ١٩٠٣ وكان من اثر اكتشاف الراديوم في العالم العلمي انه حدث انقلاب عظيم في نظرنا الى طبيعة الاشياء وبنائها

وعينت سنة ١٩٠٠ استاذاً بالمدرسة النورمال للبنات في سِقر فبقيت في هذا المنصب ثماني سنوات . ونلت شهادة دكتور في العلوم سنة ١٩٠٤ من كلية العلوم بباريز وفي السنة ذاتها عينت مديرة الاعمال المتصلة بكرسي الطبيعيات الذي اوجد ليشغله زوجي . فلما توفي دعيت لاشغل محله أولاً كمديرة للمحاضرات ثم استاذاً فخرياً . وكانت الدروس التي فيها تدور على موضوع الاشعاع وما يتصل به . وقد بسطته بسطاً وافياً في رسالة نشرت سنة ١٩١٠ . ثم تفرغت للبحث في معلمي فنحت جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩١١ لاكتشاف البولونيوم والراديوم وعندي ان استفراد الراديوم كان من أشق الاعمال العلمية

وقبل الحرب انشأت جامعة باريز معهداً للراديوم ووقفت جهود علمائه على البحث في ظاهرات الاشعاع . وفي هذا المعهد معملان — معمل كوري وغايته البحث في الاشعاع من جهته الكيماوية والطبيعية والثاني معهد باستور وغايته تطبيق حقائق الاشعاع

على مقتضيات الطب . وأهم هذه التطبيقات ما يتعلق بعلاج السرطان . فاشتغلت في إعداد المعدات لإنشاء هذا المعهد واقتراحه . وافتتح في اثناء الحرب
وقد شجعتني الجمعيات العلمية المختلفة باختياري لعضويتها والجامعات بمنحني الدرجات العلمية
الفخرية منها ودعيت للخطابة في مختلف بلدان اوربا واميركا كما اني اشتركت اشتراكاً فعالاً
في تجهيز معمل الاشعاع بفارسوقيا . وقد وقفت حياتي البيتية على تربية بنتي ايرين وايف
واولاهما تشغلن معي الآن في معهد الراديو

التربية الجسمانية

٢

اثرها في مصر

في المدرسة

قديمًا كانت المدرسة تتولى التربية الجسمانية كنوع من اللهو والمرح لا كجزء من عملها وواجباتها . وكان الآباء هم المسئولون عن تربية اجسام ابنائهم . الا ان الحال قد تطورت فادركت المدرسة ان في ترك هذا للآباء خطورة كثيراً ما عرضت التربية العقلية للفشل كلما قصر الآباء في واجباتهم نحو ابنائهم . وادرك الآباء ايضاً ان في اهمالهم تربية اجسام ابنائهم افساداً للتربية العقلية فتركوا للمدرسة امرها

توسعت المدرسة الحديثة في واجباتها وحدودها فباتت مسئولة امام المجتمع عن تربية الانسان تربية كاملة (العقل والجسم) بحيث تورد له شيئاً اصحاء الاجسام مثقف العقول على انهم استعداد لتولي اعمال الفكر والجسم . وتنازل الآباء عن حقوقهم في تربية اجسام ابنائهم الا على قدر ما يوجد لديهم من وسائل المسكن والملبس واكل الصباح والمساء

نعم توسعت المدرسة الحديثة في واجباتها وحدودها فباتت علاوة على ما تقدم مسئولة عن تربية العقول والاجسام في سن الطفولة ايضاً فتسلمت من المنزل الاطفال في سن الخامسة ليمهدهم الى الحياة المدرسية بعد ما كانت تستلمهم في سن السابعة او الثامنة واثني عشر . وهي في هذا قد اصاب كل الصواب لانها اصبحت تضمن اجساماً وعقلاً من جنس ما تهوى ومن روح ما تحب فازالت بهذا التنافر والفضاضة التي كانت تعاني محاربتها في النشء عند ما كانت تتولاه في سن متقدم . ولا غرو فان في هذا العمل توحيداً لسبل التربية وتجنيساً لانواعها

وماذا تفعل المدرسة في الاطفال ؟ سؤال يجيب عن نفس الاجابة التي تحيها عن السؤال الاول وهو : وماذا كانت تفعل الام الرشيدة في الاطفال ؟ . بل زاد على هذا

ان المدرسة وحدث فعال الامهات في اطفالهن في هذا الدور من الطفولة . فمن كان في حضانة ام قاسية ، ومن كان في حضانة ام مهملة ، ومن كان في حضانة ام جاهلة ، ومن كان في حضانة ام لا تعرف في الحياة الا نفسها ، يتساوى ومن كان في حضانة الام المهذبة المطلعة العاملة . لان في اجتماع الاطفال في حضانة بستان واحد بين ايدي مربية واحدة يتغذى ويلعب ويثقف على اسلوب واحد توحيداً للعادات والاخلاق والطباع والمرامي ، وفيه ايضاً تسهيل لغاية المدرسة الاولى يوم تتولى تغذية هؤلاء بالعلوم والمعارف

هذه هي فوائد بساتين الاطفال في التربية العقلية ، اما فوائدها في التربية الجسدية فواضح في اعطاء كل طفل من الحركة والغذاء واللهو بقدر ما يستحق من العناية والدقة . فاذا كانت الام لا تدرك كل هذه التحفظات فهي لا تصلح كلبستان في تلقيها وتطبيقها نظراً للفارق بين الام والمربية في الحنان والعواطف والشفقة ناهيك بالرقابة الشديدة التي تخشاه المربية ولا تخطر على بال الام . كل هذه تخلق في الطفل طوعية لتلقي ما عليه من الواجبات ، وهي تدرجه الى تصور الحياة بصورة حقيقية تخالف كل المخالفة تلك التي كان يتصورها وهو بين احضان امه

الى هنا استطيع ان انتقل الى المدرسة الاولى بشارة اعجاب لما لبستان الاطفال من فضل على التربية الجسدية فاقول ان هذه المدرسة هي من اسعد المدارس حظاً بعد التطور الحديث . فهي تستلم اطفالاً في صور نامية تدرك تعهدتهم الام بتربية صحيحة ، وتهدتهم بساتين الاطفال بتربية صحيحة ايضاً . لكن مع هذه السعادة تجدها مضطرة الى السمو بمداركها الاولى الى حيث تدبر دفة نوع جديد من التربية بني على انظمة ادق بكثير من الاولى علاوة على ما اصبح تواجهه من صعوبة في ادارة قوات نامية وسائرة في سبيل النمو . فما كانت تتطلبه من المجهودات تجاه الاطفال الاولين امست تحتاج الى اضعاف اضعاف تجاه اطفالنا الحاليين

فالمدرسة الاولى تتعهد الاطفال جسدياً تعهداً اجماعياً تجاهه نحوه مسئوليات اقل ما فيها انشغالها بتلقين الاولاد تلك التمارين الدقيقة والتعليمات الادق في علم الصحة بقدر ما يدرك هؤلاء وكما قال الرياضيون ان اقدر الممرنين يجب ان يخصص المبتدئين واقل انا ان المدرسة الاولى يجب ان تتوفر فيها قدرة فن التربية الحديثة خصوصاً وان اجسام هؤلاء سريعة التأثر كثيرة التقلب . وخصوصاً ان الحركة الرياضية اصبحت مع المدنية الحديثة كثيرة القيود . وما تتولاه المدرسة الاولى من التربية يعود على مستقبل الاولاد ويؤثر في فعال المدرسة الثانية والمدرسة الثالثة ويمتد طبعاً الى الاندية . لذلك كانت فوائده

ومضاره ذات خطورة كبيرة على سابق انواع التربية ولاحقها
واما المدرسة الثانية والمدرسة الثالثة فكل اعمالها ، في دائرة لا تستطيع ان تتعدها
وهي تعهد ماترته من الاجسام بما يحفظها ويزيد من نموها بنسبة نمو العقل والادراك

اثر هذا في مصر حالاً

اما اثر هذا كله في مصر فواضح فيما نراه من عناية الحكومة والجمعيات العلمية من
المجبودات . الا أنه اثر ضئيل اذا بحثنا عنه في دائرة التعليم الحرة التي مع تمتعها باشراف
الحكومة علمياً ما تزال محرومة منه جسمائياً

لا ادري لماذا تبيح الحكومة لنفسها الاشراف على التعليم في المدارس الحرة ثم هي
تقص هذا الاشراف وتجعله قاصراً على التعليم مستثنية منه التربية الجسمانية مع انها قد
اشتركت في المبدأ المدني الحديث وهو عدم تجزئة النوعين وضرورة تمشي تربية الجسم مع
تربية العقل خطوة بخطوة . ولا ادري لماذا يحرم طالب بالمدارس الحرة من نعمة يتمتع بها
مواطن له في المدارس الاميرية مع ان المفروض انهما مصريان ابناؤا وطن واحد تظاهما
حكومة واحدة . خصوصاً وان المسلم به ان مدارس الحكومة لا تتسع لكل طلاب العلم في مصر
اما ان نرجع بهذا النقص الى المدارس الحرة نفسها فامر فيه ارهاق للقائمين بامر هذه
المدارس نظراً لان هذه التربية تكلفهم ما لا طاقة لهم به من ايجاد المسكن والممرنين
والمراجع وغير ذلك مما هو موقور لدى المدارس الاميرية

اعود الى التربية الجسمانية في مدارس الحكومة نفسها فاقول انها ما تزال على منوال
ناقص وانها على كثرة تطورها وعلى نشاط الحكومة في اكملها ستظل ناقصة ما دامت
الاساليب المتبعة تتناول عدداً معيناً من الطلبة . وما دامت هذه الاساليب لا تشمل طلبة
المدرسة الواحدة على حد سواء . وما دام الطلبة محرومين من الثقافة الفنية بابتعادهم عن
الحاضرات العلمية في الفن الذي يتلقونه عملياً . وليس المجال مجال تفصيل واسهاب حتى
كنت احلل النقص واستجلي القارئ مواطن ضعفه . اذن فالتربية الجسمانية في مصر
المدارس المصرية على وجه عام ضعيفة ، وعلى وجه خاص ناقصة في مدارس الحكومة
ومعدومة في المدارس الحرة

الاندية

ما خلقت فكرة تأسيس الاندية بادیء ذي بدء الا لتكون الحلقة الاخيرة في سلسلة
التربية الجسمانية . والا لتكون مهد التخصص الرياضي في مختلف فنون الرياضة . لكنها

مع النقص الحادث في التربية المدرسية ومع النقص الحادث من انعدام التربية الجسدية في غير اوساط المدارس كالمعامل والمصانع والمتاجر والمزارع اصبحت احدى الحلقان الهامة والاساسية في هذا النوع من التربية . أما في بلاد المدينة فبلغت كثرة الاندية درجة كبيرة تسكاد تصل في بعض الاحيين الى عدد المدارس الثانوية . وما هذه الكثرة الا علامة حاجة الشعوب اليها في التربية ، ولا ابالغ انها تتناول التربية الجسدية ونشر الاجتماع الصحيح وهو جزء من التربية العقلية الاساسية

النادي في العرف الرياضي هو المكان المهيأ بالمستلزمات الرياضية والصحية الذي تديره هيئة منه تكون على علم تام بانواع التربية الجسدية ، على مقتضى نصوص قانون محكم التشريع وتبعاً للقوانين الفنية المصطلح عليها دولياً . هذا هو التعريف الصحيح للنادي في التربية الحديثة واما مكانته في عالم التربية الجسدية فرئيسي لانه يتولى حضارة اجسام بعضها خريج الام والبستان والمدارس وبعضها لم يعرف غير الام وقد تكون امّا جاهلة . ثم هو يتولى ادارة كل هذه الاجسام بحسنة فيجمع بين الناقص والمعدوم والكامل وشبه الكامل ثم هو في مدة وحيزة يحول كل هؤلاء الى اجسام كاملة التكوين قوية المظهر والباطن وعلاوة على ان النادي يتولى تربية الاجسام بهذه الحسنة والمقدرة فهو يهذب الاجتماع لانه يستمد من قوانين الرياضة ما يقضي به على العروق المختلفة . وهو الذي يصف الكبير والصغير في صف واحد ، ولبس الغني والفقير لباساً واحداً ، ويخرج العقائد الدينية المختلفة عن حد النزاع والجدل الى حد الاحتفاظ بها في الرؤوس والمنازل ، وينسي الاجناس المختلفة حدة الجدل والتنافر ثم يلبسها جميعاً حلة رياضية

ويكفي الاندية شرفاً انها تعود الانسان لاطاعة للقانون والحكم وتعوده عدم التعرض للضعيف او الاقوى مناهضة التمدد في حدود المباح والقانون ، ثم انها تزيل من نفوس الناس شيئاً يسمى الشر او الاذى او الاضرار بالغير

وللاندية في اساليب التربية الجسدية الحديثة تصانيف عديدة ما تزال تتكاثر وتصدر كل يوم بجديد ، وما تزال لبان الصحة وغذاء العافية . فهي تكون الاجسام تكويناً تاماً وتجعل منها ما تحتاج اليه البلاد في قضاء ما عليها من الواجبات لسعادة المجتمع . ولم اخرجت الاندية للانكليز ولا لأميركان ولا لفرنسيين ولا لالمان ولا لاسرائيليين وغيرهم من رجال فطاحل قاموا باعباء الادارة والعمل والحكم بقول راجحة واجسام تحملت جباية العقول ففدتها واشبعها

اثر هذه الاندية في مصر

اما اثر هذه الاندية في مصر فقد بدأ يظهر منذ ربيع قرن ، لكنه اثر ما زال ناقصاً لان هذه الاندية يقوم بها في غير مصر الشعب نفسه فيقيمها بسخاء ويستعين على انشائها بتأسيس الشركات حتى تكون كاملة غير منقوصة . اما في مصر فما زال من هبات القدر ومن فعل الخيرات التي تديرها الحكومة المصرية على الشعب . ولذلك فهي ما تزال في مهد الهبات والعطايا بوجودها الخيرون على قدر استطاعتهم . وغير معقول ان الحكومة ملزمة بانشاء عدد من الاندية الرياضية يسد حاجة الشعب بأكمله . ثم انه غير مسلم به ان تقوم حكومة بادارة او بسن قوانين ورسم خطط الاندية الرياضية

اذن ستظل الاندية في مصر قليلة العدد وفقيرة الاستعداد ما دامت في عداد الهبات والعطايا ولم تخرج الى حيز العمل الجدي الذي يجري مع كل عمل جدي مجرى واحداً فكما يساهم الانسان في المصارف والشركات يساهم في الاندية . وكما يربح من هذه يربح من تلك بل ويربح اكثر من الاخيرة . ولعل هذا هو الذي آخر مصر في فنون الترية الجسمانية لجعلها محرومة من الاندية الرياضية المستعدة

هذه هي الترية الجسمانية الحديثة ، وهذه هي مواردها ومساقها جنباً بها للقارئ الكريم ليكون على علم بما هنالك وبما هنا من مواطن القوى والضعف . والتفصيل يدل على ما لا يدل عليه الاقصاب والاجال ما
ابراهيم علام

نظافة الطفل

٣

العناية بالاطفال



الدكتور — لا يحمم الطفل اذا ظهر على جسمه بثور الاكزيما وغير الاكزيما لان الماء والصابون يهيجانها ويزيدان في ازعاجه منها . وكذلك لا يغسل جسمه في احوال توعك بسيط او زكام خفيف او ضعف شديد اذ قد يحول هذا الزكام الخفيف والتوعك البسيط الى اشد الامراض خطراً على حياته

وردة — لن احمم ممدوحاً اذا لحظت عليه توعكاً او ظهر على جسمه بثرة ولكن هل امتنع في هذه الاحوال عن تنظيف عينيه ووجهه وفه ولاسيا ما بين نخذه ام اغسل هذه الاعضاء في جميع الاحوال ومن غير حذر

الدكتور — ليس من حالة مرضية تحظر عليك تنظيف هذه الاعضاء. ولقد سررت من سؤالك هذا لان معظم الوالدات يخفن في بعض الاحوال ان يغسلن عيون اولادهن فيهدمن اهم ركن من اركان الصحة. لذلك ترى امراض العيون متفشية بين الاطفال تفشياً ذريعاً. وكذلك ترى امراض الاسهال والهلزال والكساح وغيرها منتشرة انتشاراً غير قليل واسباب هذه الامراض كما تعلمين هو الجهل بالقواعد الصحية او اهمال فيها واهم هذا القواعد النظافة. فالام التي تنظف عيني طفلها اكثر من مرة في اليوم وتعتني بنظافة فيه وريديه واعضائه الجنسية يسعد قلبها بسلامة عينيه وجسمه من امراض وبيله العاقبة

وردة — كيف انظف عيني ممدوح

الدكتور — تنظيفان بالقطن المغموس بمحلول خفيف من حامض البوريك مرة في الصباح واخرى في المساء

كريم — واذا ظهر في العين صديد

الدكتور — تنظف العين في هذه الحالة مرة في الساعة ويستمر التمسيل والتنظيف على هذا المنوال الى ان يزول الصديد. ولثلاثا يلتصق الجفنان نضع على الجفن في المساء مرهم البوريك او الفازلين النقي. واذا استمر الصديد على رغم هذه الاجراءات فالأفضل دعوة الطبيب المتوفر على امراض العيون. وطريقة تحضير محلول الحامض البوريك هي ان تضع في لتر من الماء المغلي ملعقتين من مسحوق الحامض البوريك فيتم لك بذلك الحصول على سلاح تدفعين به عن العين امراضها

كريم — كثيراً ما اشاهد على فم بعض الاطفال قلاعا او طفحا فطرياً فكيف ندفع هذه العلة التي لا بد ان يكون لها علة وعلاج

الدكتور — بالنظافة والمحافظة على نظام الرضاعة والتغذية فالفم ينظف مرتين في اليوم بمسواك لينة على طرفه قليل من القطن ينشف به فم الطفل وينظف مما يكون عالقاً به من فضلات واقدار ويعالج القلاع بالجلسرين والبورق الدكتور شخاشيري

بياض الاسنان امر نسي

في مجلة هيجيا الاميركية انه ثبت لطائفة من الباحثين ان بياض اسنان الزنوج سببه سواد وجوههم على حد قول الشاعر « وبضدها تميز الاشياء » فانك اذا اخذت سن زنجي ووضعت قرب سن رجل ابيض وجدت الاول قائماً ضارباً الى الصفر ازاء الثاني وانما يظهر ابيض في فم صاحبه لان سواد الوجه يكشف عن بياض السن

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

تحلية الخيل العرب (١)

٢

فصائلها — للعرب عدة فصائل اشتهر منها في بلاد الشام الكحيلات والعيّات والمعنقيات والسقلاويات والحمدانيات وامهات عرقوب والشويمات والكيشيات والجافات والدم والمليحات والطوقيات (سعدى الطوقان) وغيرها. ويتفرع عنها فروع كثيرة في بعضها وقليلة في بعض. واشهر الخيل هي لدى القبائل الرحل شرقي الشام كالصخور والرولا والعنزة والموالي والحديدين وشمرو وغيرهم. ولا يزال كثير من الاسر الشامية في المدن وكبار ارباب الفلاحة يقتنون حياء الخيل العربية للركوب او السباق ولم تستطع السيارات مع انتشارها وازدياد الطرق المعبدة ان تأتي على تربية الفرس العربي ومع هذا فهي قد قلت استعماله في كثير من الاماكن

العرب في مواطنها الاصلية — قات ان الخيل العرب هي اليوم منتشرة في بلاد واقليم مختلفة فاجودها الخيل النجدية وهي جميلة الاعضاء رقيقة الحس زائدة القناعة لا يشوبها سوى انها صغيرة الجسم. وهذه الصفات التي تتجلى بها نشأت من هواء البلاد النجدية الجاف ومن قلة انواع الاغذية فيها. وتنقل النجديات الى الشام والى خليج البصرة حيث يشتريها التجار ويبيعونها من بعض اغنياء الفرس المواليين بها

وخيل الشام على ثلاثة اصناف البراذين او الاكاديش. والمولدة وهي التي تولد من ام عربية واب اعجمي او على العكس. ثم العرب. فالبراذين يحلب من الاناضول خاصة وعددها يبلغ نحو سبعين في المائة من مجموع خيل الشام اما الخيل المولدة فبين بين وهي تستعمل في جر العجلات في المدن ونسبتها للمجموع نحو ٢٠ في المئة. فيتضح من ذلك ان الخيل العرب في حواضر الشام لا تزيد على ١٠ في المائة من المجموع لكن هذه الخيل هي من اجمل العرب التي استفادت شهرتها لدى الاوربيين وتعرف بقودودها المتوسطة واللونها الحسنة واحداقها الكبيرة وقوائمها الدقيقة. وتكثر فيها الشهب الحديدية

واشتهرت لدى الانكليز خيل عثمان الكبيرة الجثة القوية العضل وهي تنقل من مسقط
ومنها ما ينقل من الحمرة او البصرة الى مدينة بمباي في الهند
وقد جمعت خيل اليمن الرشاقة وارتفاع القامة وكبر الجثة وسرعة العدو وتحمل
الاتعاب . وتكثر فيها الشقر المذهبة ومنها ما تكون جبهتها وقصبه انفها مقعرتين قليلاً كما
في بعض خيل العراق . اما خيل الحجاز فقماماتها قصيرة وهي مرغوب فيها
العرب في البلاد الاوربية — ادخل الخيل العربية البلاد الاوربية منذ امتلاك
العرب بلاد الاندلس ثم نقلت الى بعض الممالك الاوربية في اثناء الحروب الصليبية . وبعد
ان نهض الاوريون في العصور الاخيرة وادركوا مزايا هذا العرق اخذوا يتعاونون من
حياده لتحسين الخيل في بلادهم . فلما ابتاعت عدداً من العرب منذ سنة ١٧٣٢
ميلادية ووضعتها في مركز السفاد الملوكي في ترا كهن Trakehnen من اعمال بروسية
الشرقية حيث كانت تستعملها في اصلاح الخيل البلدية . ثم استعملت معها الخيل الانكليزية
منذ نحو نصف قرن حتى صار عرق الخيل البلدي في بروسية الشرقية عرقاً انكليزياً عربياً
اشقر او كميثا . واستعملت العرب والانكليزية في مركز نوشتاد Neustadt ووايل
Wiel وغيرها

ونقل المجر الى بلادهم عدداً لا يستهان به من الخيل العرب ابتاعوها من الشام
لاصلاح الخيل المجرية . وهذه الخيل هي في الواقع منحدرة من اصل عربي ولهذا يسهل
اصلاحها بالخيل العربية واشتهر مركز بابولنا Babolna بترية جيانا ويقول احد المؤلفين
ان هذا المركز قد ابتاع من الشام كثيراً من الجياد على ست مرات سني ١٨٣٦ و ١٩٠١
ويقول ايضاً ان في بلاد المجر ٣٢ مركزاً تربى فيها العرب

وقد كانت الخيل العربية وبعض عروق شرقية واسطة لايجاد خيل السباق الانكليزية
التي استفادت شهرتها . وليست العرب كثيرة العدد في بلاد الانكليز اليوم لكن لبعض
اغنيائهم كفاً بها وقد ذكر استاذنا دوشامبر في كتاب الخيل الذي طبعه سنة ١٩١٢ ان
احد هؤلاء يملك وحده سبعين رأساً عربياً ذكوراً وإناثاً كلها صالحة للسفاد وكلها منقولة
من الشرق مباشرة

وفي مراكز السفاد في فرنسا نحو مائة رأس من الجياد العربية اهمها تارب Tarb
وبومبادور Pompadour . وبلغ عدد الاناث من الخيل العرب المقيمة سنة
١٩١٢ في دفتر انسال الخيل في تلك البلاد ٢٥٥ فرساً
وفي الروسية مركز شهير في سترالسك Stréletzك اسس سنة ١٨٠٥ ونقلت اليه

الخليل العربية من الشام فريمت وتناسلت وصارت في تلك البيثة اكبر جثة من خيول
 البلاد الشامية. ويذكرون رحلات قام بها احد الامراء الروسيين في بادية الشام والجزيرة
 لشراء الحيات العربية من العشائر المعروفة كالرولا وشمر وولد علي والسبعة
 يتضح من هذه الخلاصة ان الاوريين الذين ادركوا ما للعرب من المزايا قد ابتاعوها
 باغلى الائمان ليضيفوا الى خيولهم رشاقة الفرس العربي وجماله وقوته وصبره
 بعض ما ورد في ذكرها — وردت العرب في القرآن باسم الصافنات الحيات (١)
 وأقسم بها في الآية « والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمنغيرات صبحاً فأثرن به نفعاً
 فوسطن به جمعاً ». وروي عن النبي « الخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة »
 و « المنفق على الخيل كاللباس يده بالصدقة لا يقبضها » و « ما من رجل مسلم الا حق
 عليه ان يربط فرساً اذا اطاق ذلك » و « اكرموا الخيل وجللوها » و « لا تقودوا
 الخيل بنواصيها فتذلوها » و « ان الشيطان لا يدخل داراً فيها فرس عتيق » الخ
 وما من امة تحب الخيل كالامة العربية وقد كان اجدادنا لا يرون العز الا على متونها
 ولهم في حبا احاديث واشعار لا تحصى . قيل لاحدهم لماذا يتضاغى اولادك جوعاً فقال
 « لاتنا نبدأ بالخيول قبل العيال » . وقال آخر

احبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمالا
 اذا ما الخيل ضيعها اناس ربطناها فأشركت العيالا
 نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا
 وقال المقنع الكندي

وفي فرس نهد عتيق جعلته حجاباً ليقي ثم اخدمته عبدا
 وقال شداد بن معاوية العبسي وكانت فرسه تسمى جروة

فمن يك سائلاً عني فاني وجروة كالشجي فوق الوريد
 اقوتها بقوتي ان شتونا وألحفها ردائي في الجليل

ولاشك في ان اهم الاسباب التي تحمل العرب على حب الخيل شدة حاجتهم اليها
 في قطع المسافات الشاسعة والغزو والحروب والبدو هم اشد احتياجاً اليها من الحضرة لاسيما
 في ايامنا هذه التي صارت السيارات فيها قادرة على بلوغ معظم القرى والداكر
 ما يستحب وما يكره منها — قال الاصمعي في « كتاب الخيل » يستحب من الفرس

(١) الصافنات من صنف التوس اي قام على ثلاث قوائم وثني الربعة وهو من الصفات المستمالة
 ويكون في العرب الكريمة . اما الحيات فيجمع جواد اي السريع في جريه

صفاء الأديم وشفاء الحديقة وشفاء الحافر وقصر الشعرة وقصر اوظفة اليدين وقصر الساقين وقصر الظهر وقصر العسيب وطول الذراعين وحدهما وطول الوظيفين في الرجلين وطول البطن وطول العنق وقلة لحمه واضطراب جراحه وحدة الفؤاد والطرف والكعب والمنكب والعرقوب وعرض الجبهة والورك والكتف والجنب والقطاة وسعة البركة أي متسع صدر الفرس مما يستقبلك وسعة النحر وسعة الشدق وعرض القوائم (قلة لحمها) ومشقه وعرق الوجه والمنتن ورهل المنكب (كثرة اللحم في استرخاء) وموج جلده عليه ولين الناصية والعرف ورقته وان يشرف منسجه وتشرف حجبته ويكثر لعابه ويشد صباه وترق جفلاته ويكثر عصبه ويمكن ارساغه ويطول سديمه ويدق مذبجه وتقصر طففاته (شاكلته) ويتسع منخره

وقال يكره من الفرس القنا (ارتفاع مقدم الخيشوم) والحذا (استرخاء الاذنين) والسفا (قلة الشعر في الناصية) والبلق وارتفاع التحجيل الى الفخذين وضفوف الحافر وقلة الدماغ وضعف الضرس واضطراب المتن وكثرة لحمه واضطراب الاذن وعظم الزور وطول الشعر وقصر الاضلاع وطول العسيب وضيق الجلد على الكتف والعضد وغلظ الجفلة وكثرة لحم الوجه واستدارة القوائم ودنو الصدر من الارض وتنكيس الجاعرة وطأنة القطاة وضيق الشدق وموج الربلة وطول النسا والفحج الفاحش والعزل (ميل الذنب في احد الشقين) وتطامن الظهر والهنع (تطامن اصل العنق)

بعض نعوتها — المئرب من الحيل الذي ليس فيه عرق هيين والانثى معربة والجمع عراب. واعرب الفرس خلصت عربيته. والعقيق من الحيل الكريم وكذا الصريح والشرجب والمرحوب وهي نعوت لا تنعت بها الا العرب والمطهمة هي الحسنة التامة كل شيء. والصليدمة الشديدة. والفرس النهج الجسم. والسليج الطويل ومثله السليج. والسمرحوب والقيدود الطوال من الاناث ولا توصف بهما الذكور. والصصام الصلب الشديد وكذا العلندي قال الشاعر

اعددت للحدثان سائفة وعداء علندي

والهيكل الضخم العبل اللين. والمسومة التي لها سمة اي علامة. والجواد الذي يوجد في جريه يقال جاد الفرس في عدوه وجود وعدا عدواً جواداً. والفمر الجواد الكثير العدو وكذا البحر والفيض والسكب. والسبوح الذي يسبح بيديه في سيره. وفيد الاوابد هو الفرس الجواد اللاحق سمي كذلك لانه اذا رأى وحشاً لحقه كأنه مفيد

والخُذْم والعَدَوَان السريع . والنُّهْلُول الجواد الدقيق والاحرد السريع المنجود من الحلبة السابق لها . وعكسه الخيل القوابع وهي المسبوقه انشد احدهم
يثابر حتى يترك الخيل خلفه توابع في غمى عجاج وعشير
واول الخيل في الحلبة هو المجلي او السابق والثاني المصلي وذلك لان رأسه عند صلا
السابق (وسط ظهره) ويليه الثالث فالرابع الى التاسع . والعاشر هو السُكَيْت
والفَيْسُكَل الذي يحى آخر الخيل في الحلبة دمشق مصطفى الشهابي

الاسمدة الكيماوية الصناعية

ومقامها في الزراعة العالمية

ان من يرجع الى تاريخ استعمال الاسمدة الكيماوية قبل الحرب العظمى يجد ان المقطوعية منها كانت تزداد سنة فسنة بمعدل ستة الى سبعة في المائة وقد تقدرت هذه المقطوعية في سنة ١٩٠٠ بنحو ثلاثمائة الف طن من الازوت النقي وبقيت تزداد حتى بلغت في سنة ١٩١٣ اكثر من مضاعف ذلك اي سبعمائة وخمسين الف طن وهذا المعدل يعادل خمسة ملايين طن من نترات الجير الالماني او نترات الصودا كما هو معلوم عن محتويات كل منهما من الازوت (النروجين) بواقع $\frac{15}{16}$ في المئة

الا ان المقطوعية العالمية المذكورة للزراعة توقفت عن نموها في زمن الحرب بل قلت عنها في غضون هذا لحاجة المتحاربين الى الازوت في صنع البارود والمفرقات الحربية التي كانت تفنك بالنفوس وتدمر العمران بدلاً من استفادة البشر منها في زيادة الخصب. قال ذلك الى اقتتار العالم اليها عند ما لم يجد منها في مزارعه ما يسد به زراعته فلم تضع الحرب اوزارها حتى استغنى المتحاربون عنها وعاد اقبال المزارعين عليها اضغاثاً مضاعفة في مدة وجيزة بعد الحرب لان مقطوعية الزراعة منها بلغ في سنة ١٩٢٢ نحو من تسعمائة الف طن من الازوت النقي وهي مضطردة في الزيادة حتى بلغت في سنة ١٩٢٧ نحو الف وخمسمائة الف طن من الازوت النقي اي ما يعادل عشرة ملايين من الاطنان على نسبة محتويات نترات الجير الالماني او نترات الصودا في نترات صودا شيلي كما قدمنا والمتنظر ان يكون الاستهلاك سنة ١٩٢٨ قد فاق ذلك كثيراً

اما الدافع الى زيادة انتاج الاسمدة الكيماوية الصناعية والى زيادة استعمالها فذلك كما اوغناه اولاً يرجع الى زيادة سكان الارض وازدياد الحاجة الى الطعام على نسبة تلك الزيادة ثم الى دافع آخر ذي اهمية ألا وهو رغبة كل امة في الاستقلال واستغنائها قدر

الامكان عن حاصلات البلدان الاخرى فعمدت الى الاسمدة الكيماوية الصناعية تستخدمها اداة في اعماء موارد البلاد الزراعية فنالت باستعمالها وفرة في الحاصلات الزراعية اذ قد ثبت بعد التجربة والاختبار ان الكيلو الواحد من الازوت النقي يعطي انتاجاً قدرته مصالح الاحصاء الالمانية بعشرين كيلو من القمح بشرط ان تكون الارض المزروعة تحتوي على كفايتها من الحامض الفسفوريك والبوتاس. فاذا قدرنا عن الكيلو الواحد من الازوت على ما هو في ملح (سلفات) النوشادر مثلاً بستة غروش صاغ او على ما هو في تران الحير الالمانى والكيلو منه يساوي تقريباً سبعة غروش صاغ امكنا تقدير ما ينالنا من استعمال الازوت في زراعاتنا لو قدرنا مقدار انتاجها على النحو المذكور من القمح بخلاف ما نتحصل عليه من تبنيها والخلفات الاخرى. لان ثمن هذه وحدها يزيد عن ثمن الازوت المستهلك في تغذية الحنطة واعمائها. والى القارئ جدولاً يتبين منه اطّراد الزيادة في المستهلك من الاسمدة الازوتية الصناعية بالطن المتري من الازوت (التروجين) النقي

٨٦٥٠٠٠	١٩٢٣	٤٠٠٠٠٠	١٩٠٥
٩٨٠٠٠٠	١٩٢٤	٤٨٠٠٠٠	١٩٠٧
١١٨٠ ٠٠٠	١٩٢٥	٥٤٠٠٠٠	١٩١٠
١٣٤٠ ٠٠٠	١٩٢٦	٧٤٠٠٠٠	١٩١٣
١٤٤٠ ٠٠٠	١٩٢٧	٨٥٠٠٠٠	١٩٢٢

ثابت ثابت

السرهري رو

توفي السرهري رو العالم الزراعي الانكليزي في ٧ ابريل الماضي عن سبعين سنة قضاه في البحث والتنقيب واشغال المناصب العالية في حكومة بلاده حتى صار يحسب اكبر ثمة في فنون الزراعة من وجهتها الاقتصادية. شغل اولاً منصب مدير لفرع الاحصاء بوزارة الزراعة البريطانية ثم رقي سنة ١٩٠٦ الى منصب سكرتير مساعد فحصر عنايته بالتقارير السنوية التي كانت ترد على الوزارة وما فيها من الاحصاءات ودلائلها على تقدم الزراعة البريطانية. ومن آرائه في خطبة خطبها وهو رئيس الجمعية الاحصاء الملكية ان مقدار الطعام الذي ينتج الآن اكبر مما كان عليه قبيل الحرب وهذا رغمًا عن قلة المساحة المزروعة الآن اذا قيسست بالمساحة التي كانت تزرع قبل الحرب

مكتبة المقتطف

تاريخ الموسيقى العربية

الى القرن الثالث عشر المسيحي

تأليف الاستاذ هنري جورج فارمر طبع عند لوزاك وشركاهم لندن

اهدى الينا الاستاذ فارمر هذا الكتاب النفيس في تاريخ الموسيقى العربية فوجاء دليلاً جديداً على ما لجامعة المستشرقين من العناية الكبيرة باصول تاريخنا السياسي والادبي والفني . والاستاذ فارمر ليس حديث العهد بموضوع الموسيقى العربية اذ له في ذلك ثلاثة مؤلفات قيمة تشهد له بطول الباع اليك موضوعاتها . اثر العرب في الموسيقى النظرية . المخطوطات الموسيقية العربية في المكتبة البُدلية . اثر الموسيقى من المصادر العربية الكتاب الذي بين ايدينا سبعة فصول الاول يتناول الموسيقى العربية في ايام الجاهلية والثاني موضوعه الموسيقى والاسلام والثالث يتناول حالتها في ايام الخلفاء الراشدين والرابع في ايام الامويين والخامس في ايام العباسيين في عصر ازدهارهم والسادس في ايام العباسيين في عصر ضعفهم وانحطاطهم والثامن في ايام العباسيين في عصر سقوطهم

وقد اشار في مقدمته الى ان اصول حضارة العرب ترجع الى الالف الثالثة قبل المسيح قال ما ملخصه : ان كل من كتب في موضوع الموسيقى عند العرب بحث عن اصولها عند اليونان والفرس . وله في ذلك عذره لا تنا لم تكن نعرف الى عهد حديث شيئاً عن حالة بلاد العرب قبل الاسلام الا ما كنا نجمله من المصادر اليونانية واللاتينية ، او من الخرافات والقصص التي تناقلها الكتاب العرب . فكان ذلك باعثاً على حسابان اصول الحضارة العربية في فارس واليونان . والواقع ان حضارة بلاد العرب لم تنشأ في ايام الجاهلية حين كانت شמוש اليونان والرومان والبرنطين والفرس في اوجها ولا نشأت في صدر الاسلام ولكنها ترجع الى عهد اقدم منهما كليهما

ان المباحث الاثرية التي اجريت في مواقع الحضارات السامية القديمة قد قلبت كثيراً من آرائنا في تاريخ الثقافة العالمية واول ذكر لبلاد العرب يعود بنا الى الالف الثالثة

The History of Arabian Music by Henry G. Farmer,
Published by Luzac Co. 46 Great Russell Street London W.C.

قبل المسيح. ففي بعض الألواح المنقوشة بكتابة مسبارية إشارة الى بلدان ثبت بعدئذ أنها واقعة في بلاد العرب وشكراً لما بذله المنقبون والباحثون من الجهود نستطيع ان نعرف ان ممالك العرب القديمة كانت على جانب من الحضارة يضاهاى من نواح كثيرة حضارة بابل واشور . قال الدكتور فرتز همل: «في جنوب بلاد العرب تقع على آثار حضارة زاهرة في عهد قديم جداً». وقد دلت مباحثه التي تلت قوله هذا على ان الحضارة في جنوب بلاد العرب بالهتها وبخوار مذابحها وكتاباتها وحصونها وقلاعها كانت زاهرة في اوائل الالف الاولى قبل المسيح وقد اشار الاستاذ المذكور الى ان عظمة الحضارة العربية القديمة اظهر ما تكون في الثقافة والدين . .

ولكننا نكاد لانجد اثرأ واحداً عن الموسيقى عند العرب القدماء . على ان كتابة من عهد اشوربانيبال (القرن السابع ق . م) تدل على ان موسيقاهم كانت موضع طرب وتقدير وخلاصة هذه الكتابة ان طائفة من الاسرى العرب في قبضة الاشوريين كانوا يقضون ساعات عملهم بالنشيد والموسيقى فكان اسياهم الاشوريون يطربون لها ويطلبون المزيد وهكذا نرى الاستاذ فارمر يسوق الدليل اثر الدليل على قدم الموسيقى عن العرب ثم يفصل تقدمها الى آخر عصر العباسيين في الفصول التي اشرنا اليها سابقاً

الشعر النسائي العصري

وشهيرات نجومه

جمع ونشر مكتبة الوفد — صفحاته ٥٦ — طبع بمطبعة الترقى — الثمن ٣ قروش

أصدرت هذا الكتاب المدرسي المفيد (مكتبة الوفد) بباب اللوق فسدَّت به فراغاً محسوساً في مكتبة البنت المدرسية . واذا كانت قيمة الكتاب بموضوعه ومراميه قبل اي اعتبار آخر ، فعندنا ان هذا التأليف الصغير من خير التأليف النافعة التي أخرجت للناس في هذا العام بل في الاعوام الأخيرة . وآية ذلك ان الذين سوف ينتفعون وينتفعن به في عدد الآلاف ، والاغلبية من طالبات المدارس الابتدائية والثانوية . وهو الى جانب ذلك يشيد اشادة خاصة بشواعر العصر ، ويفتح باب الدراسة للشعر النسائي العصري على مضرأعيه بعد ان كان المؤلف انصراف الطالبات غالباً عن شعر بنات جنسهن ، وان بلغ غاية الجودة الفنية ! فكان هذا الكتاب شهادة بالنموغ النسائي الفني ومرشد الى تقديرهن ، ودليل أمين الى درس مختارات من روائع آثارهن وبعبارة اخرى هو تأليف مدرسي قيم كأنه عونٌ صادقٌ للنهضة النسائية الأديئة وحاثٌ على اطرادها

وقد اختارت (مكتبة الوفد) أن تضمّن الكتاب سِيرَ نخبة من مشهورات شاعرنا : هنّ وردة اليازجي وعائشة عصمت تيمور وأمينة نجيب وملك حفي ناصف ، وأتخفتنا بنماذج عديدة من أشعارهن ، بحيث جاءت هذه المجموعة مثلاً صادقاً لتطوّر الشعر النسائي العصري تُقرأ بفائدة ولذة وافرة

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً ومنسقاً تنسيقاً حسناً كما ان قسمه الشعري مشكول ، وقد تجرّد من الاخطاء المطبعية المشوّهة لكثير من المطبوعات العربية . وفي ذيل الكتاب فصلٌ عن نقد الشعر وأقسامه للعلامة ابن قتيبة ، إماماً لفائدتيه الدراسية . فنشكر (لمكتبة الوفد) هديتها ، ونرجو أن ينال هذا الكتاب الاقبال العظيم الذي يستحقه من جميع مدارس البنات في مصر والعالم العربي

تقرير المعهد السمثصوني

لسنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٧

Report of the Smithsonian Institution

جيمس سمثصن رجل انكليزي توفي سنة ١٨٢٦ فاوصى بكل ثروته لحكومة الولايات المتحدة الاميركية لتنشئ معهداً في واشنطن يعرف بالمعهد السمثصوني غايته ترقية العلوم ونشرها بين الناس . فقبل الكونغرس الاميركي هذه الهبة وقضى بان تتولى الحكومة الاميركية ادارة هذا المعهد فيكون رئيس الولايات المتحدة رئيسه ورئيس المحكمة العليا وكيله ووضع قانوناً لذلك سنة ١٨٤٦ بعد معارضة شديدة قادها كلّهون الخطيب الاميركي المشهور زاعماً فيها ان الكونغرس لا حق له حسب نصوص الدستور على قبول هدية من هذا القليل والمعهد الآن من اشهر المنشآت العلمية ولرجالها آثار مفيدة في العلوم المختلفة كالفلك والطبيعات والظواهر الطبيعية والحيوان وآثار الانسان وما الى ذلك . وهو ينشر كل سنة مجلداً ضخماً يحتوي على تقرير سكرتيره وعلى اشهر الرسائل العلمية التي ظهرت في انكلترا واميركا في السنة السابقة . وقد اهدى الينا في شهر واحد تقريره عن سنتي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ وفي كل منهما نحو ٣٠ مقالة علمية لاعظم علماء العصر نذكر منها : النظر الجديد الى الكون للاستاذ جينز سكرتير الجمعية الفلكية الملكية بلندن . الاشعة الكونية للاستاذ روبرت ملكان . تاريخ النشوء العضوي للاستاذ كولتر . نشوء الكواكب للاستاذ ايت سكرتير المعهد السمثصوني . النور البارد للاستاذ نيوتن هارثي . هذا بعض ما في المجلد الواحد . وفي الآخر : نشوء الطبيعيات في القرن العشرين للاستاذ ملكان . اسحق نيوتن لالبرت اينشتين .

قلب الجوهر الفرد للاستاذ كروذر. اطالة الحياة للاستاذ فشر. عصر الفصح الجديد للمستر ادون سلوسن وهلم جرا . وسنعود الى بعض هذه الرسائل فنلخصها للقراء على صغوبها

ديوان سليمان سلامة

الجزء الثاني

«...الشاعر هو الذي يرسل نفسه على سجيته فلا يشكو الا من الم يحس به ولا يضحك الا من غبطة فيفيض بها نفسه فيفيض بها لسانه . اما الذين « يقولون ما لا يفعلون » فها هم بالشعراء الا في العرف القديم». هكذا يختم الاديب مراد ابو ماضي المقدمة التي قدمها لهذا الديوان الذي يحتوي على ادلة كثيرة على ان نفس صاحبه تلهب شوقاً الى الوطن الذي يملأ حبه جوانبها . . . «فهو شاعر سمح القريحة فياض الخاطر صريح العبارة . . . يخاطبك في غير تكلف ولا تصنع وبأتيك بالالفاظ كما تعرض له ولا يباي وسعت المعنى او ضاقت عنه حتى انه لا يباي ان يصقلها . والسر في ذلك انه نشأ في محيط طبيعي بعيد عن الهرجة الخارجية التي تشوه اكثر مما تجمل وعاش في محيط يكره التبرقع ويحب السفور والصراحة . . . »

اجاد في وصفه قرى البقاع التي تحيط بعلبك حيث يقول

قراها كالكوكب كل ليل تشمشم في السهول وفي الجبال
من رأى قرى البقاع او قرى لبنان من مرتفع يشرف عليها ولا يرى في هذا اليت
وصفاً دقيقاً بل صورة واضحة في تسع كلمات على خلوها من الزخرف الذي ينتظر عادة في
وصف بيت بليغ وقال في قصيدة صفحة ١٧

انا والطير شاعران كلانا	ذو شعور وذو حواس رقاق
هو يشدو لكنه بسرور	في قصور الازهار والاوراق
يصف الحسن في الطبيعة وصفاً	ابن منه تغزل العشاق
كلا هب في الفصون نسيم	يتغنى بقدرة الخلاق
غير شاك جوى التغرب مثلي	من فؤاد معذب بالفراق
أتمنى لو كنت كالطير حراً	في بلاد قد طال عنها افتراق
لست ادري متى اعود اليها	طال اسري متى يكون انقاع
اترى يسمح الزمان فاروي	ظماي من معيها الرقاق

والديوان مطبوع طبعاً متقناً على ورق من نوع ورق المقتطف ويطلب من صاحبه بواسطة المطبعة التجارية السورية الاميركية ١٠٤ شارع غرينتش نيويورك

معجم المطبوعات العربية والمعربة

هذا معجم نفيس لا يستغني عنه باحث في آداب اللغة العربية شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى نهاية ١٣٧٩ هـ ١٩١٩ م غني بجمعه وترتيبه وطبعه يوسف افندي الياس سركيس صاحب مطبعة ومكتبة سركيس بمصر . وصادر منه حتى الآن سبعة اجزاء كل منها في نحو ١٨٠ صفحة كبيرة قطع ٣٣ × ٢٥ سنتيمتراً مرتبة حسب اسماء المؤلفين وتحت اسم كل منهم عناوين المؤلفات المنسوبة اليه ومكان طبعها وتاريخه فتحنا انفاقاً صفحة ٤٩ فوق نظرنا على اسم ابن البيطار تلاه ترجمة موجز له ثم ذكر كتابه المشهور بمفردات ابن البيطار قال : الجامع لمفردات الادوية والاعذية ويعرف بجامع الادوية المفردة او مفردات ابن البيطار امره بجمعه الملك الصالح وهو اجل كتب المفردات واجمعها جزء ٤ بولاق ١٢٩١ . ثم فتحنا صفحة ١٢٤١ فوجدنا اسم الطبراني وترجمته وذكر ديوانه ولايته . وفي الصفحة نفسها ايضاً وجدنا اسم طلعت حرب بك وذكر مؤلفاته ورسائله . والخلاصة ان الكتاب كنز لا تنفذ درره

مطبوعات الحكومة المصرية

- يضيق بنا هذا الباب اذا اردنا ان نتوسع في ذكر المطبوعات التي تخرجها دوائر الحكومة المصرية لذلك نكتفي بذكرها وذكر بعض الحقائق عنها
- (١) التقرير السنوي عن اعمال تفتيش صحة القاهرة لسنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ صفحاته الاول ٤٦ والثاني ٦١ من قطع ٣٣ × ٢٢ سنتيمتراً وقد الحقت بكل منها خرائط بيانية كثيرة
 - (٢) النشرة الفنية رقم ٧٧ موضوعها تجارب تمهيدية لمقاومة حشرات القطن بالتعفير والرش وضعها ابراهيم افندي بشاره الاختصاصي الثاني في قسم وقاية النباتات بوزارة الزراعة
 - (٣) لجنة مقاومة الملاريا . التقرير الاول يشتمل على اعمال اللجنة من سنة ١٩١٩ الى ١٩٢٥ والثاني على اعمالها من سنة ١٩٢٥ الى ١٩٢٦ وفيه المشروعات والطرق التي وضعتها اللجنة لمقاومة الملاريا في القطر المصري
 - (٤) جدول عام يحتوي على مطبوعات الحكومة المصرية الموجودة في مخازن وزاراتها ومصالحها المختلفة
 - (٥) النشرة الشهرية للشؤون البيطرية بصدرها شهرياً قسم الطب البيطري بوزارة الزراعة

(٦) الماخص الشهري للتجارة الخارجية (يناير ١٩٢٩) اصدرة مصاحبة عموم الاحصاء بوزارة المالية . صفحاته ٥٦٨ صفحة وثمنه ١٠ غروش

السمير

تصدر مرتين في الشهر — ٨٥ شارع وشنطن نيويورك — صفحات الجزء ٤٦

كان الاستاذ ايليا ابو ماضي الشاعر المشهور قد عزم على تطبيق الصحافة ليخوض ميدان الاعمال التجارية فاستقال من منصبه في جريدة مرآة الغرب النيويوركية العربية ولكن راحة خبر المطابع ما زالت في انفيه تغريه بالرجوع الى ميدان الصحافة . فلما تقدم اليه اصدقاؤه ومريده في ذلك انشأ مجلة «السمير» وصار يصدرها مرتين في الشهر في ٤٦ صفحة . وصلنا العدد الثاني منها فاذا هو مفتتح بمقال ادبي بليغ موضوعه « المرأة في الشعر العربي » نقلناه في باب شؤون المرأة من هذا الجزء . ومن مباحثه مقالة في اسباب ضعف التجارة السورية في اميركا والسبيل الى تقويتها . واخرى موضوعها قرصان البورصة . والامل ان لا يخلو كل عدد منها من قصيدة بقلم صاحبها ورئيس تحريرها

العدل الالهي

تأليف حسن حسين — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم — صفحاته ٨٨

تتلخص فكرة هذا الكتاب في قول مؤلفه صفحة ٦ « لا نبالغ اذا قلنا اننا نعيش في عصر المادة وقد ملك المذهب المادي على الناس جماع حواسهم ومشاعرهم فصاروا ماديين في كل شيء ، في كل مظهر من مظاهر حياتهم لا يهتمون الا بالمادة ، ولا يأمنون الا لها ولا يفكرون الا فيها — فانتصر المذهب المادي على المذهب الادبي ولكن الى حين . اما المذهب الروحاني — فالرأي عندنا انه — مذهب المستقبل ولقد مل الناس هذه المادة بعد ان قطعوا فيها من عامة عمرهم شطراً كبيراً — وما في هذا المذهب (المادي) من فضل الا في تكييف وتسهيل سبل الحياة الدنيا » وهذا رأي يوافقه عليه طائفة كبيرة من فلاسفة العصر كما يرى القارئ في مقالة للسر اولقر لدج نشرناها في هذا الجزء ص ٨ على ان الاستاذ حسن حسين يعتقد اعتقاداً راسخاً بصحة مناجاة الارواح . ولكن اساس اعتقاده ضعيف اذا كان كله من قبيل القصة التي اوردها صفحة ٤٣ وقال انها « تذهب بمذاهب هؤلاء وبكل شك في الارواح واعمالها ووجودها » نقول ولو كانت هذه الحادثة كافية لان « تذهب بكل شك » بهذه السهولة لما رأينا المؤمنين بالارواح بين رجال العلم والفكر اقلية صغرى . والواقع ان المسألة تحتاج الى كثير من البحث والتقصي قبلما يبت فيها

باب المسائل

فتجنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسأله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا وبمين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر آخر تكون قد اهلته لسبب كاف

(١) العلم والسعادة

القاهرة . هل تقدم العلوم يؤدي حتماً الى سعادة الانسان

ج . قال شوبنهاور « سعي الناس الى الزوة يفوق الف ضعف سعيهم الى احراز الثقافة مع انه من المؤكد تقريباً ان « ماهية » الانسان لها في سعادته اثر اعظم من اثر تمتلكتها . فالرجل الذي لا يشعر بمحاجات عقلية يجب كفاؤها لا يمكن ان يكون رجلاً سعيداً . انه يبحث بجشع عن شهوات يريد قضاءها وفي آخر الامر يقضي عليه الضجر الذي لا يكون الا نصيب الغني الحامل او المنغمس في الشهوات . وقولتر فضل حكمة البرهمي مع شقائه على جهل الفلاحة مع سعادتها لان في طبيعة الانسان دافعاً يدفعه الى سبراغوار الحياة ولو كان نصيبه الالم والحياة . وفرجيل الذي ذاق انواع المسرات وترتع في رعاية الامبراطرة لعب في نهاية الامر من كل شيء الا من

مسررات الفهم . فاذا كملت الحواس الزائفة عن السعي وراء الشهوة لا يجد الانسان شيئاً اعظم من ان يتصافى مع الشعراء والفلاسفة والعلماء ورجال الفن الذين انجبتهم عصور التاريخ

فتقدم العلوم وما يبنى عليه من الاختراعات والمستنبطات يستطيع ان يوفر للجسم الراحة والرفاهة فيتحرر من الهم والالم الى حد بعيد ويوسع امام العقل والنفس آفاق الفكر والمعرفة . فالعلوم الطبية والصحية جعلت الانسان اقوى صحة واطول عمراً والعلوم الطبيعية وما بني عليها من وسائل المحاطبات والمواصلات وانجاز الاعمال وفرت له اوقات الفراغ فاذا عرف كيف يقضيها سعياً وراء ما يحسبه الفلاسفة غاية السعادة كان تقدم العلوم سبيله اليها . ولكنه اذا ترك وقت فراغه فراغاً او شغل وقت فراغه بالسعي وراء المادة او وراء الشهوات كان الضجر والسآمة نصيبه على

ما قال شوبنهاور . على ان المعرفة تأتي بسرعة ولكن الحكمة بطيئة كما نشد تنسن . وما لم يبلغ الناس درجة من الحكمة تعلمهم كيف يقضون اوقات الفراغ التي توفرها لهم المستنبطات الحديثة وما لم يتعلموا ان يستفيدوا من طرق نشر العلم التي كثرت جداً في هذا العصر فالخوف عليهم كل الخوف من ان تجرفهم الحضارة في تيارها المزبد وحينئذ يكون تقدم العلوم سبيلهم الى الشقاء

(٢) الوأد في الجاهلية

البصرة . ما رأيكم في وأد البنات في الجاهلية ، حقيقة لم يكن وذلك نظراً لعدم ذكره في شعر الشعراء الجاهلين وهل سمعتم شعراً جاهلياً ذكر فيه قائله الوأد فان لم يكن شيء من ذلك فعلى اي اساس بنى القرآن ما ذكر وهل يجوز وجوده عند قبيلة واحدة دون الاخرى

ج . عهدنا الى استاذ فاضل في كتابة مقال وافٍ ردّاً على سؤالكم وموعداً به الجزء القادم من المقتطف

(٣) الاختزال العربي

القاهرة . ما هي الكتب التي وضعت في الاختزال العربي وهل اتى احدها بالفائدة المقصودة

ج : وضع عبد الرزاق افندي عوض رسالة موضوعها اختزال الكتابة لمجاعة الخطابة طبعها سنة ١٩١١ ووضع المرحوم

سليمان البستاني مترجم الاياداة رسالة عنوانها الاختزال او الاستنوغرافية طبعها مكتبة العرب بمطبعة الهلال سنة ١٩٢٠ ولم يتصل بنا ان احد الاسلوين انتشر انتشاراً واسعاً والسبب في ذلك يعود الى عدم الحاجة الى هذا الضرب من الكتابة العربية الآن حاجة تجعله من الامور التي لا يستغنى عنها . واكبر حافز لترقيته هوضيق الوقت عن ايجاز المراسلات التجارية والعناية بما يلقي من الخطب الخطيرة في المجالس النيابية او الحفلات العامة . وعندنا انه متى مسّت الحاجة اليه فانه ولا شك يرتقي ارتقاءً سريعاً حتى يبلغ درجة عالية من الاحكام والاتقان

(٤) فائدة السرعة

الاسكندرية . قرأنا في الصحف اليومية ان احد الانكليز بلغ سرعة ٢٣١ ميلاً في الساعة بسيارته . فما هي الفائدة التي تنجم عن مغامرة من هذا القيل

ج . الرجل الذي يشتري سيارة رشيقة ثم يركبها واثقاً انها لن تقلب به وان القضبان المعدنية لن تلتوي وتنكسر وهو يسير بسرعة خمسين ميلاً اوستين لا يدري ان صانعي السيارات ما كانوا يستطيعون ان يتقنوا صنعها ويوفروا له اسباب السرعة والراحة والسلامة على النوال الذي وفروه لولا جرأة الرجل الذي يغامر بنفسه في سيارة تنطلق كقذيفة المدفع .

اما الاصحاء فسواء عندهم هذا وذاك كلاهما مفيد لان الراحة والرياضة في الهواء الطلق اهم ما يطلب في الاضطياف وهذان متوافران في المصايف الجبلية والبحرية على السواء (٦) سبب السرطان

عاليه لبنان . ما هو سبب داء السرطان وهل اكتشف له دواء شاف

ج . لا يعرف سبب السرطان بعد معرفة علمية يقينية كما يعرف سبب الملاريا والتيفوئيد وغيرها من الامراض المعدية . ولم يكشف عن علاج شاف له حتى الان . ولكن العلاج بالراديوم واشعة رنتجن ينجح في بعض الاحوال والعلاج بمركبات الرصاص الالية ينجح في احوال اخرى . وفي غير ذلك لا يفيد الا مبضع الجراح باستئصال النمو السرطاني . وفائدة هذه العلاجات محدودة باحوال الحادثة التي تحت النظر . فقد يستأصل سرطان من مصاب به فيعاوده بعد زمن قصير او طويل في المكان الذي استؤصل منه او في مكان آخر من جسمه وقد يستأصل من آخر فلا يعاوده مطلقاً

(٧) مقياس العظمة

ومنه . ما هو مقياس العظمة في رأيكم ج . خلق الرجل وما يفيد به الناس فباستور في رأينا من اعظم العظماء كان ودبعاً صبوراً بعيداً عن الدعوي يخضع لاحق . كذلك كان المعيا في فكره وما افاد

فسباق السيارات اثبت لسانها مثلاً ان مركز الثقل فيها يجب ان يكون واطناً حتى يصبح انقلابها صعباً او متعذراً . وعلمهم كذلك اموراً كثيرة عن قوة المعادن المستعملة في بنائها وعن شكل السيارة الامثل حتى يكون ضغط الريح ومقاومته لها على اقلها . ولا يزال امامهم امور كثيرة لا بد من ابضاها قبلما تبني السيارة المثلى . فالسباق السريع تجربة علمية عملية تتقدم كل اتقان في صناعة السيارات

ثم هنالك وجه آخر للمسألة وهو وجه تجاري بحث ذلك ان اصحاب المصانع الكبرى يحرصون على ان تفوز سيارة مصنوعة في مصانعهم بقصب السبق في السرعة لان فوزها بمثابة اعلان عالمي عن متانة مصنوعاتهم وتقوتها تنشره الصحف في كل انحاء العالم مجاناً لانه من الانباء التي يتلف الجمهور الى مطالعتها

(٥) المصايف البحرية والمصايف الجبلية

بور سعيد . هجم فصل الصيف وابتدأ سكان مصر يقصدون الى المصايف البحرية والجبلية . فايها اكثر فائدة لصحة الانسان — هواء المصايف البحرية او هواء المصايف الجبلية

ج . هواء الجبال مفيد لغير المصابين بتصلب في الشرايين او امراض القلب والكلى . وهواء البحر لا يوافق المصابين بالروماتزم وسائر الامراض العصبية .

تشع النور في جوانب هذا البحث المعقد
(١٠) المجلة الزراعية المصرية

المنيا . ما هي ارقى المجالات الزراعية
باللغة العربية

ج . نظنكم تريدون مجلة زراعية
تختص بشؤون الزراعة المصرية فنشير عليكم
إذا بمطالعة المجلة الزراعية الملكية التي
تصدرها وزارة الزراعة وتطبع بالمطبعة
الاميرية بالقاهرة

(١١) المنبر وفائده

ريوده جنيرو . من اين يؤتى بالعنبر.
وما هي فوائده الطبية والصحية

ج . هو مادة دهنية تفرز من امعاء
نوع من الحيتان وتوجد طافية على وجه
الماء وملقاة على شاطئ البحر في برازيل
ومدغسكر وافريقية وبلاد العرب والهند
الشرقية والصين واليابان وهو يستعمل
الآن طبيياً لا غير وكان الاقدمون
يكثرون من استعماله طبيياً كمنبه للاعصاب
(١٢) الرشيدى

اسيوط . من هو الرشيدى صاحب
كتاب المادة الطبية

ج . هو احد اطباء المصريين الذين
اتموا دروسهم الطبية في فرنسا في عهد
اسماعيل باشا وبعد عودته جعل يدرس في
مدرسة قصر العيني الطبية وكانت وفاته سنة
١٢٨٢ هـ وكتابه في المادة الطبية من اوسع
الكتب التي وضعت في موضوعه الى عهده

به العمران لا يقدر بمال . قال هكسلي
« ان مكتشفات باستور تساوي المليارات
الخمسة التي اعطاها دولة فرنسا لدولة المانيا
غرامة » ونحن نقول انها تفوق كل اموال
الدنيا لان حياة الناس لا تقاس بالجنهات .
ودارون كان من اعظم العظماء في خلقه
وفي اثره الفكري مع انه يتعذر قياس اثره
في العمران على نحو ما يقاس به اثر باستور
(٨) الاعتقاد فلسفياً

ومنه . ما هو الاعتقاد فلسفياً

ج . راجعوا مقالة السراولقرلدج المنشورة
في الصفحة التاسعة من هذا الجزء وخصّوا
نهايتها بعنايتكم فيها جواب عن سؤالكم
(٩) المقتطف والسحر

ومنه . ما هو رأي المقتطف في السحر
وهل السحر الذي يقوم به الاعجام والهنود
حقيقة

ج . كل الاعمال الغريبة التي تنسب
الى قوى خارقة وبطلق عليها لفظ السحر
انما هي شعوذة وخداع على ما ثبت بالبحث
العلمي حتى الآن . واما الاعمال النفسية
التي يدعيها بعض الوسطاء ويؤيدهم في
صحتها بعض العلماء فلم تثبت بعد امام البحث
العلمي بل ظهر انها في الغالب اما خداع او
انخداع ولكن نفيها نفيّاً باتاً لا يتفق مع
روح العلم واسلوبه ولذلك نقف مع جمهور
كبير من العلماء موقف المنتظر لما يكشف
عنه البحث والتنقيب من الحقائق التي

باب الاختراعات العلمية

السرعة

على غلاف المقتطف هذا الشهر يرى القارئ صورة للسيارة المدعوة « بالسهم الذهبي » على رمال شاطئ ديتونا حيث قادها المايجر سيجريف الانكليزي وفاز بقصبة السبق في سرعة السيارات فبلغ متوسط سرعته على ميل واحد ٢٣١ ميلاً في الساعة . وهذه سرعة لا تكاد تصدق . فلو اتسح للمايجر سيجريف ان يسير بهذه السرعة على سطح مائل طوله ميل وزاوية انقراجيه عن مستوى الارض نحو ٤٥ درجة لممكن في نهاية السطح المائل من ان يقفز فوق نهر عرضه كيلو متر . واذا زيد انقراج الزاوية الى ٥٥ درجة ممكن من ان يقفز بسيارته الى ارتفاع الف قدم او اكثر والهواء الذي يصيب السيارة وهي سائرة بهذه السرعة يلطمها لطمًا شديداً كأنه جسم صلب ولو تجرأ سيجريف واخرج رأسه من مكنته وهو سائر بهذه السرعة للطمته الريح لطمته دقت عنقه على ان سرعة هذه السيارة تقصر نحو مائة ميل عن سرعة الطائرة المائية الانكليزية التي طار بها الملازم دارسي كرج

فبلغت سرعته ٣١٩ ميلاً في الساعة وينتظر ان تبلغ سرعة الطيارات التي تستعد لمباراة كأس شنيدر بكاوز من اعمال بلاد الانكليز في سبتمبر القادم ٣٥٠ ميلاً أو أكثر ويقول الكاتب ان رفنغ وهو المهندس الانكليزي الذي وضع تصميم « السهم الذهبي » انه لا يستحيل ان تبلغ سرعة السيارات يوماً ما ٤٠٠ ميل في الساعة

ان سرعة القاطرات الكبيرة ازاء السيارات والطيارات تكاد تكون كالسلحفاة مع الارنب . فهل من فائدة تجني من العناية بزيادة السرعة الى هذا الحد الفائق ؟ هل يستطيع الجسم البشري ان تحمل مشقة السفر بسيارات تنطلق كالقذيفة ؟ هل يمكن ان تبعد الطرق وتنظم حركة المرور حتى يسمح لسيارة ان تسرع هذه السرعة في المدن والارياف ؟ لا نظن ان الفائدة في زيادة السرعة تجني من هذه الناحية ولكنها تجني من جعل المسابقات لاحتراز قصب السرعة بمثابة تجارب علمية عملية لا بد ان تتقدم كل اتقان في صناعة السيارات . وقد سألنا سائل في ذلك فابديننا رأينا فيه في باب المسائل صفحة ١١٣ من هذا الجزء

نظام البريد الدولي

اجتمع مؤتمر البريد الدولي في الاسبوع الثاني من شهر مايو الماضي بلندن فرأينا ان نذكر فيما يلي نبذة عن البريد الدولي مقتطفة من تقرير وضع في مصلحة البريد المصري

كانت مسألة تبادل المراسلات بين اقطار العالم في القرن التاسع عشر من المسائل المعقدة بسبب التشدد الذي كانت تبديه حكومة كل بلد في وجوب استعمال طوابع البريد الخاصة بها داخل حدود بلادها. فكان اصحاب الرسائل يضطرون ان يلصقوا على مراسلاتهم طوابع البلدان المصدرة والمصدر اليها معاً والا اضطر المرسل اليه ان يدفع غرامة عن المراسلات باعتبار انها بغير طوابع لعدم رغبة هذه الدول في ان تعترف الا بالطوابع التي تصدرها هي

ولم يكن من السهل ان يجد الجمهور في كل بلد طوابع كل البلدان الاجنبية لاستعمالها ولهذا كان يضطر الى تأخير مراسلاته حتى يحصل على هذه الطوابع او يكتفي بوضع طوابع مملكته تاركا للمرسل اليه دفع الغرامة التي تفرضها بلاده ازاء هذه الحالة وما كان يلاقيه الجمهور من المتاعب اخذت البلدان تنشئ بينها علاقات خاصة باتفاقات من شأنها تسهيل

استنباط لاسلكي جديد

اعلن الجنرال سكوير الاميركي لاكاديمية العلوم الوطنية في ١٩ ابريل الماضي انه استنبط جهازاً جديداً دعاه المونوفون يمكنه من نقل الاذاعة اللاسلكية في الاثير وعلى الاسلاك التلفونية في وقت واحد من غير ان تتعارض مع المحادثات التلفونية العادية. فالاثير في اميركا مزدحم بالامواج اللاسلكية من مختلف الشركات والمحطات وهي تتعارض احياناً فتختلط الرسائل وتنشوش. وفضلاً عن ذلك تتمكن الشركة التي تتولى صنع جهاز المونوفون من حصر الاعضاء الذين يصغون الى ما تنذعه من الموسيقى والاغاني والخطب والقصص وغيرها اذ على كل منهم ان يشتري هذا الجهاز فتستغني عن اضطرارها الى الاعلانات للقيام بنفقاتها. والقوة المستعملة في الآلة المرسله قليلة جداً فالقوة الكهربائية اللازمة لا نارة مصباح كهربائي عادي تكفي لان تبعث بالرسائل اللاسلكية السلكية الى نحو خمسة آلاف تلفون. وصاحب التلفون الذي يشترك في هذا النظام يستغني عن كل تعب في دوزنة آتله ولا يعاب بتقلب احوال الجو وكل ما عليه هو ان يدير زرّاً كهربائياً كما ينير مصباحاً فاذا الموسيقى والانغام تملأ فضاء البيت طرباً

يماد النظر فيها في مؤتمر سنة ١٩٢٩ وهذه القرارات تتعلق بالتعريفة وتدوين احصاءات يومية لوزن الرسائل المنقولة وعددها

فيتامين ج في الشاي الاخضر

يظهر ان زراع الشاي اليابانيين يدعون ان نوعاً من الشاي يعرف بالشاي الاخضر يحتوي على فيتامين (ج) وهو الفيتامين الذي يكثر في عصير البرتقال والطماطم وبعض الخضراوات. ويقولون انه في اثناء اعدادهم للشاي العادي الاسود اللون يحصل اختار حين تجفيف الاوراق فيزول ما فيها من الفيتامين المذكور. واما في اعداد الشاي الاخضر فيمنع هذا الاختار ويحفظ الفيتامين فيها وجعلوا يعلنون اعلانات ضافية عن ذلك في اميركا وغيرها

فعمد طبيبان اميركيان من اطباء جامعة روتشستر بنيويورك الى امتحان هذا الشاي في خنازير الهند فثبت لهما ان في الشاي الاخضر قليلاً من فيتامين (ج) ولكن فائدته لا تكاد تذكر في منع الاسكربوط الذي يتجم عن قلة الفيتامين المذكور في الطعام. وعليه يجب ان لا يستعمل مطلقاً ليحل محل الاطعمة العادية التي تحتوي على عناصر الغذاء كاملة سواء كان ذلك في طعام الصغار او طعام المتقدمين في السن

امر التراسل بينها. وكان من اثر هذه الاتفاقات ان الرسائل اصبحت تعتبر مستكملة الرسم متى كان مخلصاً عليها بطوابع بريد البلد الذي تصدر منه اذا كانت مرسلة الى بلد آخر بينه وبين الاول اتفاق

على ان هذه الاتفاقات الخاصة لم تكن الا تخفيفاً لحالة كثيرة الارتباك ولم تكن علاجاً حاسماً. ولهذا فكر في عقد مؤتمر عام يحضره ممثلون من كل البلدان النظامية لتقرير قواعد عامة تسير عليها البلدان كافة وقد عقد هذا المؤتمر في مدينة برن في عام ١٨٧٤ واهم القرارات التي اتخذت في هذا المؤتمر هي ما يأتي

(١) انشاء اتحاد البريد الدولي العام
(٢) رصد رسوم المراسلات للبلد الذي تصدر منه لا للبلد الذي تصدر اليه
(٣) تقرير رسم واحد يعمل به في كل البلدان المنتظمة في عضوية هذا الاتحاد وكان اتخاذ هذه القرارات الخطوة الاولى في تسهيل اتصال الشعوب وتوثيق العلاقات ونموها وتنظيم تبادل المراسلات. وتوالى انعقاد مؤتمرات البريد الدولية للاتفاق على تبادل الحوالات والطرود على انواعها. وكانت مصر ممثلة فيها دائماً

وعقد سنة ١٩٢٧ مؤتمر البريد الجوي في لاهاي فوضع المؤتمر نصوصاً مؤقتة للبريد الجوي الدولي تنفذ على سبيل التجربة اعتباراً من اول يناير سنة ١٩٢٨ على ان

النار كوزان وادمان المخدرات

منذ سنتين دهش العالم الطبي لنشرة صدرت من مستشفى جزيرة بلا كول بنيويورك مؤداها ان طائفة من الباحثين فيها كشفوا عن علاج يشفي من ادمان المخدرات وهو مزيج من المواد البروتينية اطلقوا عليه اسم النار كوزان . فكتبت في ذلك مجلة الجمعية الطبية الاميركية مشيرة الى ان الادلة على صحة هذه الدعوى لاتزال تفتقر الى التأييد وان اسم الرجل الذي تولى صناعة الدواء وبيعه لا يبعث على الثقة فعينت لجنة خاصة بنيويورك برأسها الدكتور الكسندر لمبرت للبحث في فائدة هذا العلاج. وجربت التجارب في مستشفى بلقيو بنيويورك من شهر مايو الماضي فعولج ٦٨ شخصاً بالنار كوزان وروقت حركاتهم وسكناتهم وقوبلت بحركات المدمنين الذين لم يعالجوا به فثبت ان ليس للنار كوزان فائدة ما في شفاء مدمني المخدرات

اصل لفظة خراج

يرى الاستاذ بندلي جوزي الاستاذ بجامعة باكو وصاحب مقالة الجزية والخراج في اوائل الاسلام ان اصل لفظة خراج هو اللفظة اليونانية Chorigia التي كانت دارجة في مصر وسوريا قبل ان يفتحها العرب وكانت تستعمل للدلالة على ما كان

يؤديه المزارع عيناً لصاحب الارض. قال: قد وهم كتبة العرب ومن اخذ عنهم من كتبة الغرب في اشتقاقهم كلمة خراج بمعناها الاصطلاحي من فعل خرج وقد استدرجهم الى هذا الخطأ ورود هذه الكلمة في القرآن (المؤمنون ٧٤) وظاهر القرابة بين خرج وخراج. ولولا استعمال «خراج» في الدواوين البنظية في مصر قبل الاسلام لترددنا في اصل الكلمة ولصدق الماوردي في قوله «والفرق بين الخرج والخراج ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض» (ص ١٣١). انظر La propriété territoriale M. van Berchem : (ص ٢٠): «والخراج كلمة عربية قديمة كانت تدل في الاصل على الخرج وبالاخص على خرج الارض». ولهذا ارجح ان الكلمة كانت شائعة بين سكان سوريا ومصر قبل الاسلام وعندهم اخذها العرب

امتياز اليابان في البحث الطبي

في تاريخ ارتقاء العلوم الطبية نجد العلماء اليابانيين يشغلون مقاماً عالياً. وهذا المقام يعود الى مباحث نفوشي الذي قضى ضخمة للبحث في اسباب الحمى الصفراء والى غيره من الباحثين الذين اضافوا بمباحثهم حقائق اساسية في علمي الميكروبات ووظائف الاعضاء. وقد عمدت الحكومة

الآن محطة للمخاطبات اللاسلكية وللبحث في الظاهرات الجوية ويزوره الوف من السياح كل سنة لينظروا الى باريس من اعاليه . وقد قدر عدد الذين صعدوا اليه منذ تم بناؤه الى اليوم باربعة عشر مليوناً

من لندن الى قرشي

في ٢٤ ابريل الماضي قام الطياران الانكليزيان جوتز-وليمز وجنكنز على متن طائرة من مطار كرانول بغرب بلاد الانكليز قاصدين ان يطيرا بها الى الهند من غير ان ينزلا الى الارض فتحققت امنيتهما حين نزلا في قرشي يوم ٢٦ ابريل بعد ما اجتازوا ٤١٣٠ ميلاً في نحو ٤٨ ساعة . وكانت الطائرة مجهزة بمحرك واحد قوته ٥٣٠ حصاناً وبلغ متوسط سرعتها في نصف الرحلة الاول ٩٦ ميلاً في الساعة ثم هبط الى ٧٠ ميلاً على شواطئ الخليج الفارسي لان الرياح على علو ١٠ آلاف قدم اعاقها عن التقدم ولو هبطت الى علو ٦ آلاف قدم لصادت ريحاً تهب في الجهة التي تقصد عليها

الطيران في الليل

بلغ طول المسافة التي طارتها الطيارات الاميركية ليلاً في السنة الماضية ١٥ الف ميل وكانت في اكثر الاحيان تحمل بريداً وركاباً

اليابانية مؤخراً الى انشاء وسام اورتبة دعتها رتبة الامتياز في الثقافة (بنكوشو باليابانية) تمنح للذين يتفوقون في فن من الفنون او يمتازون بخدمة يؤدونها للاجتماع او للثقافة

وقد منحت هذه الرتبة للمرة الاولى في نوفمبر الماضي حين توج امبراطور اليابان الجديد فكان بين الذين فازوا بها عالمان من علماء الطب الاول الدكتور شيجا الذي كشف مع سيمون فليكسنر باشلس الدوسنطاريا والثاني الدكتور اينادا الذي ينسب اليه الكشف عن الباشلس المسبب للبرقان المعدي وهو من السيروشيتا

الاحتفال بغوستاف ايفل وبرجه

احتفل بباريس في ٢ مايو الماضي بانقضاء اربعين سنة على بناء برج ايفل المشهور وبازاحة الستار عن تمثال نصفي لبانيه غوستاف ايفل اقيم عند قاعدة البرج ورأس الحفلة المسيو مارتن وزير البوستان والتغراف

ولد ايفل في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٣٢ ومات في باريس في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وبعدما تعلم في مدرسة السنترال الشهيرة تخرج بالاعمال الهندسية الكبيرة وسنة ١٨٨٧ بدأ ببناء برج المشهور الذي يبلغ علوه ٩٨٤ قدماً قائمه سنة ١٨٨٩ وما يزال الى الآن اعلى بناء على سطح الارض . وهو يستعمل

الجزء الاول من المجلد الخامس والسبعين

صفحة

كلمات للدكتور صرّوف — الاعصاب وفلسفة الجمال	١
رجال العلم والعمل (مصورة)	٣
هل قوّض العلم اركان الفلسفة ؟ . للسر اوليفر لدج (مصورة)	٩
اوراق الورد . للاستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٢
الرواق : في معبد ادفو . للاستاذ ابو شادي (مصورة)	١٥
اينشتين المفهوم . للاستاذ عباس محمود العقاد	١٦
اشهر الجمعيات العلمية المصرية (مصورة)	٢٣
اصل الانسان ومنشؤه (مصورة)	٢٥
السلطان محمود ومحمد علي الكبير . لسليمان بك ابو عز الدين	٣٠
تاريخ المسكرات عند العرب	٣٥
وسائل النقل والتلغرافات . والتلفونات . لحضرة صاحب المعالي عبد الحميد سليمان باشا (مصورة)	٤١
نقم القتال نعم السلام	٤٥
اركان التفكير الصحيح . لاديب عباسي افندي	٥١
هل للنبات احساس نابض ؟	٥٦
مطالعات الصبا ومؤلفات الشباب . لاحمد ابو الحضر منسي افندي	٦١
وانا بقربك كل يوم عيدي . لاسعد خليل داغر افندي	٦٧
اشعة اكس في خدمة الفن (مصورة)	٦٩
سوريا ولبنان في نظر الغرب . لميشيل سليم كميدي افندي	٧٤
الجزية والخراج في اوائل الاسلام . للبرفسور بندي جوزي	٨٠
—++++—	
باب المراسلة والمناظرة * هل اصاب الدكتور الجوزي ؟ الوردة الذابلة . ترجمة « افانجيلين » لونغفلو	٨٥
باب شؤون المرأة وتدير المنزل * المرأة في الشعر العربي . مدام كوري حياتي وعلمي . التربية الجسدية واثرها في مصر . العناية بالاطفال . بياض الاسنان امر نسي	٨٩
باب الزراعة والاقتصاد * تحلية الخيل العراب . الاسعدة الكيماوية الصناعية . السر هنري رو	٩٩
مكتبة المقتطف *	١٠٥
باب المسائل * وفيه ١٢ مسألة	١١١
باب الاخبار العلمية * وفيه ١٠ نبذ	١١٥